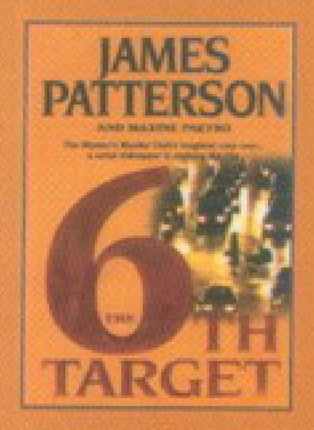


أصعب قضية يواجهها نادي نساء جرائم القتل على الإطلاق، حيث يتسبب مختطف للأطفال في إثارة الذعر في أرجاء المدينة.

الهدف ٦



المحققة بوكسر ونادي نساء جرائم القتل يواجهون قضيتهم الأصعب على الإطلاق

قاتل مرعب

حادث إطلاق نار بشع يقع على ظهر معدِّيَّة مخلفاً عدة قتلى، وامرأة تصارع الموت، وهذه الضحية عضو في نادي نساء جرائم القتل واحدى أربع صديقات يواجهن أصعب قضية بأنفسهن، حينما فشلت الوسائل التقليدية في حلها. فتقوم المحققة ليندس بوكسر بتحري جميع الأدلة في محاولة لإدانة قاتل صديقتها، لكن لا شيء يسير بصورة معقولة في أصعب القضايا التي يواجهها نادي نساء جرائم القتل.

أطفال يختفون

وبينما كانت مساعدة المدعي العام يوكي كاستيلينو تستعد لتولي أصعب قضية في حياتها المهنية، سادت المدينة سلسلة من الجرائم المريعة؛ حيث تعرّض أطفال من أسر ميسورة للاختطاف، إضافة إلى اختطاف مربياتهم معهم. لكن المشكلة هي أن تلك الحوادث كانت تتبعها فترة من الصمت المطبق. حيث لم تأتِ أي رسائل من الخاطفين أو أي طلبات للفدية. وصار الآباء في كل مكان يخافون أن يلقى أبناؤهم المصير نفسه، وتحاول ليندس بوكسر، مع شريكها الجديد، بكل جهدها أن تجد الصلة التي سوف تساعدهم على فهم حقيقة تلك الجرائم المريعة.

من سيكون الهدف القادم؟

الخوف يعمّ المدينة، وليندس بوكسر تظهر بأفضل صورها في القصة السادسة لنادي نساء جرائم القتل. تلك السلسلة التي تبوأت قمة مبيعات السلاسل البوليسية في العقد الماضي، لمؤلفها جيمس باترسون والذي تصفه مجلة التايمز بأنه «الرجل الذي لا يغفل شيئاً».

جيمس باترسون هو واحد من أكثر الكتاب شهرة على الإطلاق وأكثرهم رواجاً في كتبه، وهو مؤلف سلسلتين من أفضل سلاسل الروايات البوليسية رواجاً على مدار العقد الماضي، وهما سلسلة روايات أليكس كروس، وسلسلة نادي نساء جرائم القتل، كما ألّف العديد من الروايات الأكثر مبيعاً. ولقد فاز بجائزة إدجار، وهي أعلى جائزة شرفية في عالم كشف الغموض. وقد تحولت روايتاه «قبل الفتيات» و «جاء العنكبوت» إلى فيلمين بطولة النجم الشهير مورجان فريمان، وهو يعيش حالياً في فلوريدا.

ماكسين باترو روائية وصحفية، تعيش مع زوجها في نيويورك.

لإلقاء نظرة على الأعمال القادمة لجيمس باترسون وأي معلومات أخرى عنه،
الرجاء زيارة الموقع: www.jamespatterson.com

الهدف ٦

جيمس باترسون

و ماكسين باترو



The 6th Target

A NOVEL BY

James Patterson

AND

Maxine Paetro



شخصيات وأحداث هذه الرواية من نسج خيال المؤلف، وإذا حدث أى تشابه مع شخصية راحلة أو على قيد الحياة؛ فإن ذلك يعد مصادفة وليس تعمدًا من قبل المؤلف.

ندين بالشكر والتقدير لهؤلاء المحترفين الذين لم يبخلوا بوقتهم وجهدهم من أجل مساعدتنا، وهم: المؤلفة والطبيبة النفسية ماريا بيج، والدكتور هامفرى جيرمانيوك، وهو طبيب شرعى بمقاطعة ترومبول بولاية أوهايو، والنقيب ريتشارد كونكلين بمقاطعة ستامفورد بولاية كونكتيكت، والطبيب ألين روز بمقاطعة مونتاج بولاية ماساتشوستس، وخبيرا القانون فيليب هوفمان بمدينة نيويورك، وميلودى فيوجيمورى بولاية سان فرانسيسكو ومحامى القضايا الجنائية ميكى شيرمان بمقاطعة ستامفورد بولاية كونكتيكت.

ونوجه شكرًا خاصًا لباحثينا المتازين: دون ماكبين، وإيلى شورتليف، ولين كولوميلو.

مقدمة

المسافر

الفصل ١

كان القاتل، فريد برينكلى، يسير فى تمهل فوق سطح المعدية العلوى متجهًا نحو المقاعد الأمامية المبطنة بالقماش الأزرق. وكانت شمس نوفمبر تسطع فى السماء وكأنها عين بيضاء كبيرة بينما كانت السفينة الصغيرة تقطع خليج سان فرانسيسكو، وكان فريد برينكلى يحدق فى الشمس.

ثم سقط ظل عليه وجاءه صوت طفل صغير يسأله: "هلا التقطت لنا صورة يا سيدى؟".

هز فريد رأسه نفيًا ـ *كلا، كلا، كلا* ـ حيث كان ينتفض من الغضب وهو يحرك رأسه نفيًا فى عصبية، وكأنما كان هناك سلك كهربى يلتف حولها.

كم كان يود لو سحق هذا الفتى مثل الحشرة!

أدار فريد عينيه بعيدًا وهو يتمتم بأغنية مرحة، محاولاً بذلك إسكات *تلك الأصوات التى تتردد فى رأسه*، ثم حاول أن

يطمئن نفسه بأن وضع يده على سلاحه بأسى، وتحسسه من تحت سترته القصيرة المصنوعة من النايلون، ومع ذلك ظلت الأصوات تتوالى على رأسه كضربات مطرقة ثقيلة.

أنت فاشل، حقيرا

كان صياح طيور النورس يتردد من فوقه، وكأنه صياح أطفال صغيرة، بينما كانت الشمس تبزغ من بين السحب التى تتناثر عبر السماء مانحة إياه شعورًا بأنه مكشوف للجميع. *إنهم يعرفون ما فعله.*

كان الركاب الآخرون مصطفين أمام حاجز السفينة وهم يرتدون سراويلهم القصيرة ويعتمرون قبعاتهم، وكانوا يلتقطون صورًا لجزيرة آنجل والكاتراز وجسر جولدن جيت.

مرت بجانب السفينة مركب مزدوج الشراع، وبينما كان الرذاذ يتناثر على حاجز السفينة قبض فريد على الحاجز بقوة بينما كانت الأصوات تتردد فى عقله مثل ضربات السياط. نظر إلى عارضة الشراع وهى تتحرك، وسمع صوت الأزيز العالى، يا إلهى! ذلك القارب الشراعى!

سيدفع أحدهم ثمن كل هذا!

بدأت محركات المعدية فى التوقف، ثم أبطأت المعدية بهزة خفيفة أشعرته بالفزع للحظة.

وقف فريد، وبدأ يشق طريقه عبر الزحام مارًا بثمانى موائد بيضاء وصفوف المقاعد الزرقاء، بينما كان رفاقه المسافرون ينظرون إليه فى ضيق.

ثم دخل إلى قمرة مفتوحة فى مقدمة السفينة؛ حيث كان بها امرأة تعنف ابنها ذا الشعر البنى الفاتح والذى يبلغ من العمر تسع أو عشر سنوات، وتقول صارخة: "إنك تقودنى للجنون!".

شعر فريد برأسه يكاد يتمزق. *لابد لأحدهم أن يدفع الثمن.*

أدخل يده اليمنى عبر جيب سترته ـ وأمسك بمسدسه.

ثم أولج إصبعه عبر فتحة الزناد.

اهتزت السفينة وهى تقف فى المرسى، وأمسك الركاب ببعضهم البعض وهم يتضاحكون، وبدأوا فى الخروج من مقدمة ومؤخرة السفينة.

نظر فريد إلى المرأة التى كانت توبخ ابنها. لقد كانت امرأة صغيرة الحجم، وكانت تلبس بلوزة بيضاء.

صاحت فيه وسط هدير المحركات قائلة: "ما خطبك أيها الرجل؟ إنك تزعجنى للغاية أيها الأحمق!".

أطبق فريد قبضته على مسدسه، وقد شعر أن مسدسه من طراز "سميث أند ويسون" ١٠ طراز قد دبت فيه الحياة.

تردد الصوت فى عقله، *اقتلها، اقتلها، لقد تجاوزت الحد!*

ومن ثم وجه المسدس صوب صدر المرأة.

ثم دوت الطلقة.

شعر فريد بالهزة النابعة من ارتداد المسدس، ورأى المرأة وهى تندفع للخلف مطلقة صرخة مكتومة؛ حيث ظهرت على صدرها بقعة دماء حمراء كبيرة أغرقت بلوزتها البيضاء.

هذا أفضل!

وقع الصبى إلى الأرض إلى جوار أمه وهو يحدق بعينيه الواسعتين المستديرتين وقد تساقطت قطع الحلوى المثلجة من بين يديه وبال على نفسه من أثر الخوف.

لقد ارتكب الفتى خطأً هو الآخر.

ودوت طلقة أخرى!

الفصل ٢

ملأت صورة الأشرعة البيضاء الساطعة عقل فريد بينما كانت
لدماء تملأ سطح السفينة. وكان مسدسه الذى يعتمد عليه مستقرًا
ى يده وقد سخنت فوهته، بينما يجول فريد ببصره عبر سطح
لسفينة.

واصل الصوت الذى يتردد فى عقله الحديث قائلاً: "*اهرب،*
ر من هنا. إنك لم تقصد فعل هذا".

ومن طرف عينيه لمح فريد رجلاً ضخمًا ينقض عليه والغضب
ـادٍ على وجهه وعيناه تشتعلان شررًا. مد فريد ذراعه
حوه.

ثم دوت الطلقة!

حاول رجل آخر، آسيوى الملامح ذو عينين سوداوين وفم
قيق أن ينتزع منه مسدسه.

ثم دوت الطلقة!

كانت هناك امرأة سمراء واقفة بالقرب منه وقد تسمرت فى
مكانها بفعل الزحام فاستدارت نحوه؛ حيث كانت وجنتاها
مستديرتين وعيناها واسعتين وقد حدقت فى وجهه بشدة ...
وقرأت أفكاره.

قالت له وهى تمد نحوه يدها المرتعشة: "حسنًا، يا بنى،
كفى ما حدث. أعطنى المسدس".

لقد علمت بما حدث. كيف تأتى لها أن تعرف؟

ثم دوت الطلقة!

كم كان الشعور بالراحة يغمره، حينما سقطت تلك المرأة
قارئة الأفكار أرضًا. راح الناس الواقفون فى المقدمة الضيقة
يتحركون فى موجات وهم يرتعدون من الخوف ويتحركون يمينًا
ويسارًا كلما أدار فريد رأسه.

إنهم خائفون منه. حقًا خائفون *منه*.

وتحت قدميه أمسكت المرأة السمراء بهاتفها الخلوى فى
يدها الملطخة بالدماء. وبأنفاس متقطعة راحت تضغط الأرقام
بإبهامها. *كلا، لن تفعلى!* داس فريد بقدمه على رسغ المرأة ثم
انحنى نحوها ونظر فى عينيها.

وقال لها وهو يجز على أسنانه: "كان عليك أن *توقفينى،*
كانت هذه هى مهمتك"، ثم دفع فوهة مسدسه فى صدغها.

قالت فى توسل: "*كلا! أرجوك*".

صاح أحدهم: "*أماه!*".

اندفع نحوه فتى أسمر فى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من
العمر رافعًا ماسورة حديدية فوق كتفه ويلوح بها كالمضرب.

وبينما كانت السفينة تهتز ضغط فريد زناد المسدس ـ ودوت
الطلقة!

لكن الطلقة كانت طائشة. سقطت الماسورة الحديدية
وانزلقت على سطح السفينة، واندفع الفتى نحو المرأة وألقى نفسه
فوقها. هل يود *حمايتها؟*

غاص الركاب تحت مقاعدهم وتعالت صرخاتهم من حوله مثل ألسنة النيران. وتزامن صوت المحركات مع صوت نزول الممر المعدنى إلى الشاطئ. أما المسدس فظل موجهًا نحو الركاب بينما ينظر فريد من فوق الحاجز.

حيث كان يقدر المسافة.

كانت المسافة بينه وبين الدعامات الحاملة للممر لا تتجاوز أربع أقدام، وبعد ذلك هناك قفزة طويلة إلى الرصيف.

وضع فريد المسدس فى جيبه، ثم وضع كلتا يديه على الحاجز، ومن ثم قفز من فوقه وهبط على حذائه الرياضى. مرت سحابة حاجبة الشمس عنه، فاختفى.

تحرك أيها البحار، تحرك.

وهو ما فعله؛ حيث قفز مرة أخرى نحو رصيف الميناء وجرى نحو سوق المزارعين، واختفى بين الناس الذين ملأوا جنبات ساحة الانتظار.

واصل السير بصورة طبيعية؛ حيث اقترب من منطقة "إمبراساديرو".

كان يدندن وهو يهبط بخفة فوق سلالم محطة "بارت"، وواصل دندنته وهو يستقل القطار إلى منزله.

لقد فعلتها أيها البحار!

الجزء الأول

هل يعرف أحدكم هذا الرجل؟

الفصل ٣

في ذلك اليوم من صبيحة أحد أيام نوفمبر، وكان يوافق يوم السبت، كنت في إجازة من العمل، لكن تم استدعائي إلى موقع الجريمة لأن بطاقة العمل الخاصة بي وجدت في جيب الضحية.

وقفت في حجرة المعيشة المظلمة في ذلك المنزل المشترك الواقع في الشارع السابع عشر، ونظرت إلى ذلك البائس الحقير المدعو خوزيه ألونزو. كان عاري الجذع ذا بطن ضخمة، وكان ملقى على أريكة متهرئة، وقد كبلت يداه خلف ظهره. وكان رأسه متدليا على صدره تسيل دموعه حتى ذقنه.

لكن لم أشفق عليه ألبتة.

"هل قرأ عليه أحد حقوقه؟" هكذا سألت المفتش وارين جاكوين، زميلي السابق والذي صار الآن مرءوسي، وقد رأى في حياته العملية التي امتدت لخمس وعشرين عاما من جرائم القتل ما لم يره عشرة رجال من الشرطة طيلة حياتهم كلها.

"أجل، لقد فعلت ذلك يا سيادة الملازم، قبل أن يعترف بجريمته"، هكذا رد على جاكوبن وهو يضم قبضتيه إلى جانبه والتقزز يملأ قسمات وجهه الذى أضناه الزمن.

سألت ألونزو: "هل تفهم حقوقك؟".

أومأ برأسه ثم عاود النواح ثانية وهو يقول: "لم يكن على أن أفعل هذا، لكنها أثارت *حنقى*".

اقتربت طفلة تحبو ذات شريطة بيضاء متسخة فى شعرها، وحفاضتها المبتلة متدلية حتى ركبتيها وتعلقت بقدم والدها؛ حيث كان نحيبها يمزق ثنايا قلبى.

سألت ألونزو: "ما الذى فعلته روزا لتثير *حنقك* بهذا الشكل. أود معرفة هذا الأمر حقاً".

كانت جثة روزا ألونزو ملقاة على وجهها فوق الأرضية ذات اللون البنى الفاتح، وقد تهشم رأسها بفعل المكواة التى استخدمها زوجها ليضربها بها، والتى تسببت بالتالى فى وفاتها.

وكانت طاولة المكواة ملقاة إلى جوارها مثل الحصان الميت، وقد تصاعدت فى الهواء رائحة النشاء المحترق.

فى آخر مرة قابلت فيها روزا قالت لى إنها لا تستطيع أن تهجر زوجها لأنه سوف يتعقبها إن فعلت ويقتلها.

كم أتمنى من أعماق قلبى لو أنها أخذت ابنتها وهربت.

خطا المفتش ريتشارد كونكلين، زميل جاكوبن وأصغر وأحدث عضو فى فرقتى، إلى المطبخ، ثم صب بعضاً من طعام القطط فى وعاء وضعه أمام قط عجوز برتقالى اللون والذى كاد يموء وهو واقف على المنضدة المصنوعة من خشب الفورمايكا. إنه شىء مثير للاهتمام.

قال كونكلين وهو لا يزال مولينا ظهره: "قد يظل هذا هنا لعدة أيام".

" استدع له فريق الخدمات البيطرية".

"لقد قالوا إنهم مشغولون أيها الملازم" قالها كونكلين ثم فتح الصنبور وملأ وعاء بالماء.

تحدث ألونزو قائلاً:

"أتعلمين ماذا قالت لى يا سيدتى؟ لقد قالت لى "ابحث عن وظيفة". ولقد فقدت أعصابى لقولها هذا، أتفهمينني؟".

حدقت النظر فيه إلى أن أشاح بوجهه بعيدًا عنى، وصرخ محادثًا زوجته المقتولة: "لم أقصد فعل هذا يا روزا. أرجوك أعطنى فرصة أخرى".

أمسك جاكوبى بذراع الرجل وأوقفه على قدميه وقال له: "نعم، إنها تسامحك يا صاحبى؛ فلنذهب".

بدأت الطفلة نوبة جديدة من الصراخ فى الوقت الذى دخلت فيه باتى ويلك العاملة فى قسم رعاية الأطفال من باب الغرفة.

وقالت وهى تتقدم نحو الضحية: "مرحى يا ليندس، من هى الآنسة الصغيرة؟".

رفعت الطفلة الصغيرة من الأرض، ثم أزاحت الشرائط المتسخة من شعرها المجعد وناولتها لباتى.

وقلت فى حزن: "إنها أنيتا ألونزو، أهلاً بك فى نظامنا العدلى".

تبادلت أنا وباتى نظرات يائسة بينما كانت تتلقف منى الفتاة الصغيرة وتحملها فى وضع مريح.

وتركت باتى تبحث فى غرفة النوم عن حفاضة نظيفة، بينما بقى كونكلين فى مسرح الجريمة فى انتظار محققى الوفيات، وذهبت خلف جاكوبى وألونزو إلى الشارع.

قلت لجاكوبى: "أراك لاحقا" ثم صعدت إلى سيارتى الأكسبلورر التى اشتريتها منذ ثلاث سنوات، والتى كانت تقف بجوار كومة من المهملات فى الشارع، وبمجرد تشغيلى للمحرك

سمعت رنين هاتفى المحمول المثبت فى حزامى. إنه يوم السبت، *دعونى وشأنى بحق السماء.*

أجبت الهاتف فى رنته الثانية.

وكان المتحدث هو رئيس فى قسم الشرطة، أنتونى تراتشينو، وتحدث إلىّ بصوت به نبرة غير معتادة من الشدة حيث كان يرفع صوته ليعلو فوق صفارات الشرطة.

وقال: "اسمعى. لقد وقع إطلاق النار فوق ظهر إحدى المعديات، واسمها "ديل نورتيه"، ولقد قتل ثلاثة أشخاص وجرح اثنان آخران. أريد منك المجىء إلى هنا فورًا. وداعًا".

الفصل ٤

ساورنى إحساس سيئ للغاية وأنا أفكر فى السبب الذى قد يجعل رئيس الشرطة يخرج من بيته المريح فى أوكلاند فى أحد أيام السبت. وتنامى هذا الإحساس بداخلى عندما رأيت ما يفوق عشر سيارات من سيارات الشرطة متوقفة عند مدخل رصيف الميناء، وسيارتين أخريين متوقفتين على الرصيف المجاور للمعدية نفسها.

قال لى أحد رجال الدورية: "من هنا يا سيادة الملازم"، وأشار بيده نحو مقدمة الممشى المؤدى لمرسى المعدية.

تجاوزت عربات الإسعاف وسيارات الشرطة والعلامات التحذيرية المضيئة وأوقفت سيارتى أمام المرسى، ثم فتحت الباب وخرجت أمام المرسى الذى كان يغلفه الضباب. كانت هناك رياح قوية تبلغ حوالى عشرين عقدة تهب على الميناء، وكانت تتسبب فى اهتزاز المعدية "ديل نورتيه" فى مرساها.

جذبت حركة رجال الشرطة انتباه حشد من الناس؛ حيث تجمع حوالى ألف شخص حول كل من مبنى المعدية وسوق المزارعين وهم يلتقطون الصور ويسألون رجال الشرطة عما حدث، وبدا وكأنهم استطاعوا شم رائحة البارود والدماء فى الهواء.

أحنيت رأسى لأعبر من شريط التحذير الذى يحيط بالمرسى وأومأت لأحد رجال الشرطة الذين أعرفهم، بينما أسمع تراتشيو ينادى اسمى فنظرت نحوه.

كان رئيس الشرطة يقف على مدخل "ديل نورتيه".

وكان يرتدى جاكتًا من الجلد وسروالاً، وكان يتحرك بخيلائه المعروفة عنه، وأشار علىّ لكى أصعد على سطح المعدية، *كما يقول العنكبوت للذبابة.*

اتجهت صوبه، لكنى بعدما تحركت لخمس أقدام عبر الممر الخشبى المفضى للسفينة اضطررت للانتحاء جانبًا لكى أفسح الطريق لاثنين من رجال الإسعاف اللذين كانا يحملان محفة بينهما.

نظرت إلى الضحية فوجدتها امرأة سمراء، وكان معظم وجهها مغطى بقناع الأكسجين، وهناك خط أنبوب وريدى مثبت فى ذراعها، وكانت الملاءة الملفوفة حول جسدها بإحكام مغرقة بالدماء.

شعرت بالألم يعتصرنى وارتجف قلبى للحظة، بينما كان عقلى يتدبر حقيقة الأمر.

إن الضحية هى كلير واشبورن!

لقد تم إطلاق الرصاص على أعز صديقاتى وهى على ظهر المعدية!

أمسكت بحاجز النقالة موقفة إياها مما جعل رجل الإسعاف الذى يدفع النقالة من الخلف يصرخ فىّ قائلا: "ابتعدى عن الطريق يا سيدتى!".

"أنا ضابطة شرطة" هكذا قلت لرجل الإسعاف وأنا أفتح السترة لأبرز له شارتى.

رد علىّ قائلاً: "لا يهمنى من تكونين. لابد لنا من الإسراع بها إلى الطوارئ".

كان فمى فاغرًا من الصدمة وقلبى يدق بعنف شديد "كلير"، هكذا صحت وأنا أمشى إلى جوار النقالة التى نزلت من على الممر الخشبى إلى الشارع، وأضفت: "كلير، *أنا ليندس*، هل يمكنك سماعى؟".

لكن لم أتلق إجابة.

سألت رجل الإسعاف: "ما هى حالتها؟".

"ألا تفهمين أنه لابد لنا من الإسراع بها إلى *المستشفى*؟".

"أجبنى بالله عليك!".

"لا أعرف حقًا!".

وقفت شاعرة بالعجز بينما كان رجال الإسعاف يفتحون أبواب سيارة الإسعاف.

لقد مر أكثر من عشر دقائق منذ تلقيت اتصال تراتشينو، ولقد كانت كلير ترقد على سطح المعدية طوال هذا الوقت وهى تنزف الدماء، وتجاهد لالتقاط أنفاسها بعدما مزقت الرصاصة صدرها.

أمسكت بيدها، وعلى الفور ملأت الدموع عيناى.

نظرت صديقتى نحوى وارتجف جفناها بينما كانت تجاهد لتفتح عينيها.

ثم قالت فى دهشة: "ليندس"، أزحت القناع جانبًا لكى تتحدث، فأضافت: "أين ويلى؟".

تذكرت عندئذٍ أن ابن كلير الأصغر، ويدعى ويلى، كان يعمل على المعديات فى الإجازات الأسبوعية، وغالبًا هذا هو السبب الذى جعل كلير تتواجد على متن المعدية "ديل نورتيه" اليوم.

قالت كلير وهى تشهق: "لقد افترقنا، وأعتقد أنه ذهب ليلاحق القاتل".

الفصل ٥

أغلقت كلير عينيها وغابت عن الوعي، ودفع رجال الإسعاف النقالة بعيدًا عنى، وأدخلوها إلى سيارة الإسعاف.

أغلقت أبواب السيارة، وبدأت صفارات سيارة الإسعاف المميزة تهدر، وبعدها انطلقت السيارة فى طريقها إلى مستشفى سان فرانسيسكو العام حاملة أعز صديقاتى.

كان الوقت فى غير صالحنا.

لقد اختفى القاتل، وانطلق ويلى فى أعقابه.

وضع تراتشيو يده على كتفى، وقال: "إننا نحاول الحصول على أوصاف الفاعل، اسمعى ...".

قاطعته قائلة: "لابد أن أجد ابن كلير".

ثم ابتعدت عنه ومشيت نحو سوق المزارعين، وكنت أتفحص الوجوه وأنا أشق طريقى عبر الزحام الذى كان يعوق حركتى.

نظرت إلى داخل كل محل، وبين المحلات، وتفحصت الممرات بحثًا عن ويلى - لكى كان ويلى هو من وجدنى.

حيث شق طريقه نحوى وهو ينادى اسمى قائلا: "ليندس! ليندس!".

كانت الدماء تملأ مقدمة قميصه، قصير الأكمام، وكان يلهث والخوف بادٍ على وجهه.

أمسكت كتفيه بكلتا يدىّ، والدموع تملأ عيناى ثانية وقلت له:

"ويلى، أين أصبت؟".

هز رأسه نفيًا، وقال: "هذه ليست دمائى، لقد أطلق الرصاص على أمى".

"إنها فى طريقها إلى المستشفى"، هكذا قلت له وأنا أتمنى أن أضيف قائلة "وإنها ستكون بخير". لكن بدلاً من هذا قلت له: "هل رأيت القاتل؟ كيف كان يبدو؟".

أجابنى ويلى ونحن نشق طريقنا وسط الناس: "إنه رجل أبيض نحيل، وله لحية وشعر بنى وطويل، وكان يخفض عينيه دومًا. *إننى لم أستطع رؤية عينيه قط يا ليندس*".

"كم يبلغ عمره ؟ ".

"أصغر منك بحوالى بضع سنوات".

"أهو فى أوائل الثلاثينيات من العمر؟".

"أجل، وهو أطول منى. ربما يبلغ طوله ست أقدام وبوصة واحدة، وكان يرتدى بنطالاً واسعًا وسترة زرقاء. لقد سمعته يا ليندس وهو يقول لأمى إنه كان ينبغى عليها أن تمنعه من إطلاق الرصاص، وأن هذه كانت وظيفتها. ما الذى يفترض أن يعنيه هذا؟".

كانت كلير هى رئيسة الأطباء الشرعيين فى سان فرانسيسكو، وهى متخصصة فى الفحص التشريحى، وليست ضابطة شرطة.

"هل تعتقد أن الأمر شخصى، وأنه استهدف والدتك عمدًا؟ وأنه كان يعرفها؟".

هز ويلى رأسه نفيًا وقال: "لقد كنت أساعد فى ربط السفينة عندما بدأ الصراخ. ولقد أطلق الرصاص على عدة أشخاص قبل أمى؛ حيث إن أمى كانت الأخيرة. وكان مسدسه مصوبًا نحو رأسها، فأمسكت بماسورة حديدية، واتجهت نحوه لأسحق رأسه بها، لكنه أطلق الرصاص نحوى، ثم قفز من فوق سطح السفينة. ولقد جريت فى أثره، لكنه اختفى".

هنا تنبهت لأمر ما.

ما هذه الحماقة التى ارتكبها ويلى؟

تحدثت إليه بصوت عالٍ وأنا أمسك كتفيه بيدىَّ قائلة:

"ماذا لو أنك لحقت به فعلا؟ هل فكرت فيما كان سيحدث وقتئذٍ يا ويلى؟ لقد كان هذا "الرجل الأبيض" مسلحًا؟ كان *سيقتلك* وقتها".

اندفعت الدموع من عينى ويلى وأحنى وجهه الغض الصغير؛ فخففت قبضتى من على كتفيه.

وقلت له: "لكنك كنت شجاعاً حقًا يا ويلى. لقد كنت من الشجاعة بحيث وقفت فى وجه القاتل محاولاً حماية أمك، وأعتقد أنك أنقذت حياتها".

الفصل ٦

ودعت ويلى من خلال نافذة سيارة الشرطة المفتوحة، بعدها قام الضابط بات نونان بتوصيل ويلى إلى المستشفى، بينما صعدت أنا على متن المعدية؛ حيث انضممت إلى تراتشيو فى القمرة الأمامية المفتوحة والموجودة على السطح العلوى للمعدية "ديل نورتيه".

كان المشهد هناك بشعًا بحق؛ حيث كانت الجثث ممددة مكان وقوعها على الأرضية المصنوعة من الفايبر جلاس والممتدة على مساحة ثلاثين إلى أربعين ياردة مربعة، وعليها كانت آثار الأقدام مطبوعة فى جميع الاتجاهات. كما تناثرت قطع من الملابس هنا وهناك، مثل قبعة البيسبول تلك التى انسحقت تحت الأقدام، والمختلطة بالأكواب الورقية والمناديل المستخدمة فى لف الأطعمة وكذا الجرائد، وكل هذا كان مختلطًا بالدماء.

شعرت بموجة من اليأس تجتاحنى؛ فقد يكون القاتل فى أى مكان الآن، بينما الأدلة التى من الممكن أن تقودنا إليه معرضة

للتلف والضياع فى كل مرة يمشى فيها أحد الركاب أو رجال الإسعاف أو حتى الشرطة فوق سطح السفينة.

إضافة إلى أننى لم أستطع التوقف عن التفكير فى كلير.

سألنى تراتشيو: "هل أنت بخير؟".

أومأت بالإيجاب خشية أن أبدأ فى البكاء؛ فربما لا أستطيع التوقف.

قال تراتشيو: "هذه هى أندريا كانيلو"، وكان يشير بإصبعه نحو جثة المرأة المرتدية السروال الداكن والقميص الأبيض، والملقاة على السطح، ثم أضاف مشيرًا لفتى مراهق ذى شعر مصفف لأعلى وأنف لوحتها أشعة الشمس: "وطبقًا لما يقوله هذا الفتى فإن الفاعل أرادها أولاً، ثم أطلق الرصاص على طفلها الصغير، والذى يبلغ من العمر حوالى التاسعة".

سألته: "وهل سينجو الصبى؟".

هز تراتشيو كتفيه وقال: "لقد فقد الكثير من دمائه"، ثم أشار نحو جثة أخرى وكانت لرجل أبيض ذى شعر أبيض يبدو فى الخمسين من العمر والذى كان ملقى على الأرضية؛ حيث كان نصف جسده تحت أحد المقاعد وقال:

"هذا هو بير كونراد. مهندس. كان يعمل على المعدية. وغالبًا سمع الطلقة فأسرع للمساعدة"، ثم أشار لجثة رجل آسيوى ملقاة على ظهرها فى وسط السطح، وقال: "أما هذا الرجل فيدعى ليستر إن جى، وهو مندوب تأمين، شخص آخر كان من الممكن أن يصير بطلاً. يقول الشهود إن الأمر كله لم يتعد دقيقتين أو ثلاث دقائق".

بدأت فى تخيل المشهد فى رأسى، مستعينة بما قاله لى ويلى، وما يخبرنى به تراتشيو الآن، وأنا أنظر إلى الأدلة، وأحاول تجميع كل هذا ليكون ذا معنى.

وتساءلت ما إذا كانت حادثة إطلاق النار هذه كان مخططاً لها أم أن شيئاً ما قد أثار القاتل ودفعه لارتكابها، وما هو الشىء الذى دفعه لهذا؟

قال لى تراتشيو: "يقول أحد الركاب إنه رأى القاتل يجلس بمفرده قبل الحادث. وهو يعتقد أنه كان يدخن سيجارة، ولقد وجدنا علبة سجائر من نوع "توركيش سبيشال" تحت إحدى الموائد بالفعل".

تبعت تراتشيو نحو مؤخرة السفينة؛ حيث كان يجلس العديد من المسافرين الفزعين على المقاعد الطويلة المبطنة، والتى كانت مثبتة على طول الجانب الداخلى من حاجز السفينة. وكانت بقع الدماء متناثرة على البعض منهم، وجميعهم كانوا فزعين من رعب الصدمة.

كان ضباط الشرطة لا يزالون يدونون أسماء الشهود وأرقام هواتفهم ويدونون إفاداتهم، استدارت الرقيبة ليكس روز نحونا وقالت: "سيدى الرئيس، حضرة الملازم، إن السيد جاك رونى لديه أخبار طيبة لنا".

تقدم نحونا رجل عجوز يرتدى سترة من النايلون ذات لون أحمر زاهٍ. كان يرتدى نظارة ذات إطار ضخم وكانت هناك كاميرا صغيرة فى حجم قطعة الصابون تتدلى من عنقه بشريط أسود، وكان على وجهه ابتسامة توحى بالسعادة.

قال لنا رونى وهو يمد يده بالكاميرا: "لقد قمت بتصويره؛ لقد قمت بتصوير ذلك المجنون وهو يرتكب جرمه".

الفصل ٧

صعد قائد وحدة مسرح الجريمة، تشارلى كلابر، الممر الخشبى المفضى للسفينة مع فريقه بعد لحظات من انصراف الشهود، ووقف تشارلى أمامنا وحيا الرئيس ثم قال لى: "مرحبًا يا ليندس"، ثم جال ببصره فى المكان.

ثم مد يده فى جيب سترته الصوفية الخشنة وأخرج منه قفازًا مطاطيًا وقام بفرده.

وقال: "يا لها من حصيلة كبيرة".

"فلنحاول أن نظل محتفظين بتفاؤلنا"، هكذا قلت له وقد بدت الحدة واضحة فى صوتى.

قال: "إننى متفائل على الدوام، هذا هو طبعى دومًا".

وقفت إلى جوار تراتشيو بينما انتشر فريق وحدة مسرح الجريمة فى الأرجاء وهم يضعون علاماتهم ويلتقطون صورًا للجثث والدماء المتناثرة فى كل مكان.

حيث قاموا بانتزاع طلقة من هيكل السفينة، ثم وضعوا أحد الأدلة، والذى يمكن أن يقودنا للفاعل، فى أحد الأكياس، وكان هذا الدليل هو علبة السجائر التركية التى وجدت تحت إحدى الموائد فى مؤخرة السفينة.

قال تراتشيو لى، وهو ينظر فى ساعته الرولكس: "سوف أرحل الآن أيتها الملازم، فلدى اجتماع مع حاكم المدينة".

قلت له: "أود أن أتولى التحقيق فى هذه القضية بنفسى".

حدق فىّ بنظرة ثابتة؛ حيث كان كلامى هذا يمس لديه وترًا حساسًا، لكننى لم أستطع تجنب ذلك.

كان تراتشيو رجلاً محترمًا، وهو يروق لى بشكل كبير. لكنه وصل إلى منصبه كرئيس لقسم الشرطة عبر الأعمال الإدارية، ولم يعمل فى قضية واحدة طيلة حياته كلها، وهذا جعله يرى الأمور من جانب واحد.

فهو يريدنى أن أباشر عملى من مكتبى.

لكننى أعمل بأفضل صورة وأنا فى الشارع.

وفى آخر مرة قلت له إننى أريد أن أباشر القضايا بنفسى، فقال لى إننى جاحدة، وإن أمامى الكثير لأتعلمه عن فن القيادة، وأنه على أن أباشر مهام وظيفتى اللعينة وأشعر بأننى محظوظة لترقيتى لمنصب الملازم.

ولقد ذكرنى بشكل قاس كيف أن أحد زملائى قد قتل بالرصاص فى الشارع، وأنه منذ شهور قليلة خلت أصبت أنا وجاكوبى بالرصاص فى أحد أزقة تبندرلين. كان هذا صحيحًا؛ فلقد شارف كلانا على الموت.

لكننى كنت أعلم أنه لن يرفض طلبى اليوم. فأعز صديقاتى قد أصيبت بالرصاص فى صدرها، والفاعل لا يزال حرًا طليقًا.

"سوف أعمل مع جاكوبى وكونكلين، سنكون فريقًا ثلاثيًا، وسوف أجعل ماكنيل وتشى يدعماننا، كما سأستعين بباقى الفرقة إن استدعى الأمر".

أومأ تراتشيو في تردد، لكن كان هذا بمثابة الضوء الأخضر لى. شكرته ثم طلبت جاكوبى بهاتفى الخلوى، وبعدها حادثت المستشفى؛ حيث ردت علىّ ممرضة رقيقة، وقالت لى إن كلير لا تزال فى حجرة العمليات.

غادرت مسرح الجريمة حاملة الكاميرا الخاصة بجاك رونى فى يدى، وأنا أنوى أن أشاهد الشريط المصور فى مركز الشرطة؛ حيث سأرى حادثة إطلاق النار بنفسى.

هبطت الممر الخشبى نحو الرصيف، وقبل الوصول إليه تمتمت فى نفسى قائلة: "مجانين". كان مراسلو ثلاث محطات تليفزيونية محلية وصحيفة "كرونيكل" فى انتظارى، وكنت أعرفهم جميعًا.

دارت الكاميرات واندفعت الميكروفونات نحو وجهى.

"هل كان هذا هجوماً إرهابيًا يا سيادة الملازم ؟".

"من الذى قام بإطلاق النار؟".

"كم عدد القتلى؟".

"مهلاً يا رفاق. لقد حدثت الجريمة هذا الصباح" هكذا تحدثت إليهم وأنا أتمنى لو أن هؤلاء المراسلين قد ذهبوا إلى تراتشيو أو أى شرطى آخر من عشرات الشرطيين الذين يجوبون المكان والذين سيسعدون للغاية لو وجدوا أنفسهم فى نشرة أخبار السادسة مساءً.

"سوف نعلن أسماء الضحايا بعد إبلاغ أسرهم. سوف نلقى القبض على مرتكب هذه الجريمة البشعة"، ثم أضفت وكلى أمل وقناعة: "لن يفلت بفعلته هذه".

الفصل ٨

فى الثانية ظهرًا تحدثت مع الطبيب الذى يتولى حالة كلير، وكان يدعى آل ساسون، والذى كان يقف ممسكًا بتقرير المتابعة الخاص بحالة كلير فى يده، وذلك فى وحدة العناية المركزة.

كان ساسون رجلا فى أواسط الأربعينيات من العمر ذا شعر داكن، وحول جانبى فمه تجمعت تجاعيد بسيطة. بدا لى رجلا صادقًا موثوقًا به، ولقد نال ثقتى على الفور.

سألنى: "هل تحققين فى القضية؟".

أومأت قائلة: "نعم، كما أن كلير صديقة لى".

ابتسم، وقال: "وهى صديقة لى كذلك. إليك بحالتها. لقد تسببت الرصاصة فى كسر أحد ضلوعها وأتلفت الرئة اليسرى، لكنها لم تصب قلبها أو أى شرايين رئيسية".

وأردف: "سوف تعانى من بعض الألم جراء ضلعها المكسور، كما سنضع لها أنبوبًا صدريًا ليساعدها على التنفس حتى تتعافى

رئتها. لكنها بصحة طيبة الآن، لقد كانت محظوظة بحق. كما أنه يوجد هنا أناس صالحون يعتنون بها".

كادت الدموع التي ظللت أكتمها طوال اليوم تنساب من عيني؛ فخفضت عيني، وقلت: "أود الحديث معها، لقد تسبب الشخص الذى أطلق الرصاص عليها في مقتل ثلاثة أشخاص آخرين".

قال ساسون: "سوف تستيقظ قريبًا"، ثم ربت على كتفي وفتح لي باب حجرة كلير لكي أدخل.

كان سرير كلير مرفوعاً قليلاً لكي يساعدها على التنفس، وقد تم وضع أنبوب في أنفها، كما كان هناك كيس محلول مثبت إلى حامل بجوارها ومنه كانت تتدفق نقاط المحلول إلى وريدها. تحت رداء المستشفى الرقيق كان صدرها ملفوفًا بالأربطة، وكانت عيناها منتفختين ومغلقتين. إنني لم أر كلير أبدًا وهي تعاني من المرض طوال كل تلك السنين التي عرفتها خلالها، ولم أرها بذلك الضعف مطلقًا.

كان زوج كلير، ويدعى إدموند، جالسًا على مقعد إلى جوار الفراش، لكنه هب واقفًا عندما رآني أدخل من الباب.

كان شكله مريعًا، وقد عكست ملامحه إحساسًا حادًا بالخوف وعدم التصديق.

وضعت حقيبة التسوق التي كنت أحملها واتجهت نحوه وسلمت عليه، وقال لي إدموند: "يا إلهي، إن هذا كثير يا ليندس".

تمتمت بتلك الكلمات التي ينطق بها المرء حينما يجد أنه لا توجد كلمات ملائمة ليقولها؛ حيث قلت: "ستكون بخير سريعًا يا إدي، أنت تعلم أنني محقة".

قال إدموند: "أتساءل ما إذا كان هذا صحيحًا، فحتى لو تعافت من جراحها، هل ستتغلب على صدمة إطلاق النار عليها؟".

لم أجبه؛ فالحقيقة هي أني لا أزال أستيقظ في بعض الليالي وأنا أتصبب عرقًا من الفزع؛ حيث تراودني الكوابيس بشأن تلك الليلة الليلاء التي مرت بي في شارع لاكرين. مازلت أذكر تلك الأفكار التي كانت تتزاحم في رأسي، وأنا أذكر ذلك العجز الذى كنت أعانيه ومعرفتي بأنني قد أموت.

قال إدموند: "وماذا عن ويلي؟ لقد انقلب عالمه رأسًا على عقب هذا الصباح. دعيني أساعدك في هذا".

أمسك إدموند بجانبي حقيبة التسوق بينما أخرجت منها بالونًا فضيًا مكتوباً عليه "تمنياتي بالشفاء" والذى قمت بتعليقه في الإطار الخاص بفراش كلير، بعدها مددت يدي ولمست يدها، وسألته قائلة: "هل قالت أي شيء بعد؟".

"لقد فتحت عينيها لبضع ثوان وقالت" أين ويلي؟ ولقد قلت لها: إنه بالمنزل، وهو آمن، فقالت لي: لابد لي من العودة للعمل، ثم غابت عن الوعي، وحدث هذا منذ حوالي نصف ساعة".

حاولت تذكر آخر مرة رأيت فيها كلير قبل إطلاق النار. كان ذلك بالأمس. لقد كنا نلوح لبعضنا وداعًا، وذلك في ساحة الانتظار المقابلة لمبنى هول بينما كنا نغادر العمل. لقد كان وداعًا عاديًا.

"أراك لاحقًا صديقتي".

"طاب يومك يا فراشتي".

لقد كانت العبارات المتبادلة بيننا طبيعية للغاية. فكم نأمن مكر حياتنا. *ماذا لو أن كلير قد ماتت اليوم؟ ماذا لو غادرتنا جميعًا؟*

الفصل ٩

كنت ممسكة بيد كلير حينما عاد إدموند إلى مقعده، ثم فتح التلفاز المعلق إلى الحائط بواسطة جهاز التحكم عن بعد. سألني وقد خفض صوت التلفاز: "هل رأيت هذا يا ليندس؟".

نظرت لأعلى ورأيت الإعلان يقول: "إن التسجيل الذى سيعرض عليكم يحتوى على مشاهد دموية ، وينصح بوجود إشراف من الآباء لدى مشاهدته".

قلت لإدموند: "لقد رأيته بعد الحادث مباشرة، لكنى أود رؤيته ثانية".

بعد ذلك بدأ عرض التسجيل الذى التقطه جاك رونى على سطح المعدية لحادث إطلاق النار.

جلسنا معاً نشاهد ما مرت به كلير منذ سويعات قلائل. كانت الصورة فى تسجيل رونى مشوشة وغير مستقرة؛ حيث كان فى البداية يركز على ثلاث من السياح يبتسمون ويلوحون

للكاميرا، وكان هناك مركب شراعى خلفهم. ثم أظهر الفيلم لقطة جميلة لجسر جولدن جيث.

بعدها جالت الكاميرا عبر السطح المكشوف للمعدية حيث مرت بمجموعة من الأطفال الذين يطعمون النوارس بعض فتات الهوت دوج. كان هناك أيضًا طفل صغير يرتدى قبعة بيسبول بالمقلوب؛ حيث يرسم على إحدى الموائد. وكان هذا هو تونى كانيلو. كما كان هناك رجل طويل نحيل ذو لحية يجلس بالقرب من الحاجز عاقد ذراعيه ويبدو عليه القلق.

توقف المشهد وأحاطت دائرة من الضوء وجه الرجل.

قال إدموند: "هذا هو. هل هو مجنون يا ليندس؟ أم هو قاتل متعمد وقام بما انتواه قبلا؟".

قلت له: "ربما كان الاثنان معاً" ثم نظرت إلى الشاشة وهى تعرض لقطة ثانية. كان الركاب يمسكون بالحاجز بينما توقفت المعدية فى مرساها، وفجأة انحرفت الكاميرا نحو اليسار، وركزت على امرأة ارتسمت على وجهها أمارات الخوف الشديد وكانت تمسك بصدرها فى قوة، ثم تهاوت على الأرض.

استدار الطفل، تونى كانيلو، بوجهه نحو الكاميرا. لكن صورة وجهه تم التشويش عليها بواسطة معدى نشرة الأخبار فظهرت غير واضحة.

أجفلت حينما رأيته ينتفض ويقع بعيدًا عن مطلق الرصاص.

بعد ذلك تحركت الكاميرا بصورة عشوائية للحظات وبدا وكأن رونى ملتقط الصورة قد ترنح، بعدها ثبتت الكاميرا واستقرت الصورة.

وضعت يدى على فمى بينما قبض إدموند على ذراعى مقعده حينما رأينا كلير وهى تمد يدها نحو القاتل، وعلى الرغم من وضوح الصورة، إلا أننا لم نستطع سماع ما قالته بسبب صرخات الركاب، لكن كان واضحًا أنها كانت تطلب منه إعطاءها المسدس.

قلت: "يا إلهى، يا لها من شجاعة".

"بل أشجع مما ينبغى"، هكذا تمتم إدموند وهو يمر بيده على شعره الفضى وأضاف: "لقد كان كل من كلير وويلى شجاعاً، ربما أشجع من اللازم".

كان القاتل مولياً ظهره للكاميرا حينما ضغط الزناد. واستطعت رؤية المسدس وهو يهتز من أثر الطلقة، وبعدها أمسكت كلير بصدرها وسقطت أرضًا.

ومجددًا تحولت الكاميرا نحو الوجوه الفزعة للركاب المتدافعين، ثم أظهرت الكاميرا القاتل وهو ينحنى وقد أدار وجهه بعيدًا عن الكاميرا، ثم وقف فوق معصم كلير وهو يصرخ فى وجهها.

صاح إدموند: *"يا لك من وغد حقيراً"*.

ومن خلفى سمعت صوت تأوه كلير.

استدرت لأنظر إليها، لكنها كانت لا تزال نائمة. نظرت مجددًا للشاشة بينما أدار القاتل وجهه والذى صار واضحًا أمام الكاميرا.

كان مخفضًا عينيه وقد أخفت لحيته النصف السفلى من وجهه، حيث كان يتقدم ناحية حامل الكاميرا، والذى فقد أعصابه وتوقف عن التصوير.

قال إدموند: "بعد ذلك أطلق الرصاص على ويلى".

ثم ظهرت صورتى على شاشة التلفاز وقد ظهر شعرى أشعث من جراء عدوى نحو سوق المزارعين، وقد لطخت بعض الدماء سترتى، وظهرت على وجهى نظرة متوترة.

وسمعت صوتى وأنا أقول: "أرجو منكم الاتصال بخصوص أى معلومات قد تقودنا لذلك الرجل".

بعد ذلك ظهرت على الشاشة صورة لوجه القاتل كما ظهر رقم هاتف قسم شرطة سان فرانسيسكو والموقع الإلكترونى له،

وذلك تحت عبارة مكتوبة بأحرف عريضة قائلة:

هل يعرف أحدكم ذلك الرجل؟

استدار إدموند نحوى وقال لى بوجه صارم: "هل لديكم أى معلومات عنه يا ليندس؟".

قلت له وأنا أشير ناحية شاشة التلفاز: "لدينا شريط الفيديو الخاص بجاك رونى، كما أن لدينا تغطية إعلامية متصلة للحادث وحوالى مائتين من الشهود. سوف نجده يا إدى، أقسم لك إننا سوف نجده".

لكن لم أصارحه بما قلته فى نفسى ؛ حيث قلت: *"وإذا ما هرب هذا الرجل منا، فأنا لا أستحق أن أكون ضابطة شرطة"*.

ثم وقفت وأمسكت بحقيبة التسوق.

قال إدى: "ألا يسعك الانتظار لدقائق قليلة؟ سترغب كلير فى أن تراك".

قلت له: "سأعود لاحقًا، هناك شخص ينبغى على رؤيته الآن".

الفصل ١٠

غادرت حجرة كلير الواقعة فى الطابق الخاص، وهبطت الدرج حتى غرفة العناية المركزة الواقعة فى الطابق الثانى، وكنت أهيئ نفسى لما كنت متأكدة من أنها ستكون مقابلة مريعة محطمة للقلب.

فكرت فى تونى كانيلو الصغير الذى شاهد والدته وهى تتلقى رصاصة، وذلك قبل لحظة من إطلاق النار عليه هو نفسه. كان من الضرورى أن أسأل هذا الطفل ما إذا كان قد رأى القاتل من قبل، وإذا ما كان القاتل قد قال أى شئٍ قبل أو بعد إطلاقه للرصاص، وإذا ما كان يعتقد أن هناك سبباً محددًا وراء تعرضه هو ووالدته لإطلاق النار.

نقلت حقيبة التسوق من يدى اليمنى إلى يدى اليسرى وأنا أنزل الدرجة الأخيرة، وأنا أعرف أن طريقة تعاملى مع هذا الموقف سوف تظل عالقة فى ذهن الصبى للأبد.

كان قسم الشرطة يحتفظ بمجموعة من الدمى على شكل دببة وذلك لمنحها للأطفال الذين يعانون من الصدمات، لكن تلك الدمى الصغيرة لم تَبْدُ لى كافية لطفل شاهد والدته تتعرض للقتل بصورة بشعة للتو ؛ حيث كنت قد توقفت قبل مجيئى للمستشفى فى متجر لتجميع ألعاب الأطفال وقمت بتجميع لعبة دب خاصة من أجل تونى. ولقد وضعت قلباً من القماش تم تثبيته إلى صدر الدب، مكتوباً عليه تمنياتى بأن يشفى تون بسرعة، بعدها ألبسته رداءً لكرة القدم.

فتحت باب الطابق الثانى وخطوت داخل الرواق المدهون باللون الفاتح والمفضى إلى وحدة العناية بالأطفال، والذى كانت تزين حوائطه صور مرحة لقوس قزح ورحلات خلوية.

دخلت إلى وحدة العناية المركزة الخاصة بالأطفال وأظهرت شارتى للممرضة الواقفة خلف مكتب الاستقبال، وكانت امرأة فى الأربعينيات من عمرها ذات شعر يميل للرمادى وعيون بنية واسعة، ثم قلت لها إنه من الضرورى أن أتحدث إلى ذلك الطفل وأننى لن أستغرق أكثر من دقيقتين معه.

"هل تتحدثين عن تونى كانيلو؟ الطفل الصغير الذى أطلق النار عليه على ظهر المعدية؟".

قلت لها: "لدى ثلاثة أسئلة له فقط، وسأحاول تسهيل الأمر عليه قدر الإمكان".

قالت الممرضة وهى تنظر فى عينى: "آسفة أيتها الملازم. لقد كانت الجراحة التى مر بها حرجة للغاية؛ حيث خلف جرح الرصاصة تلفاً شديدًا فى أعضاء عدة، ويؤسفنى أن أقول لك إنه توفى قبل حوالى عشرين دقيقة".

أرخيت يدى على مكتب الاستقبال.

وواصلت الممرضة الحديث معى، وسألتنى إذا ما كان يمكنها أن تأتى لى بأى شىء أو أى شخص. ناولتها حقيبة التسوق التى

بداخلها الدب الدمية، وطلبت منها أن تعطيه لأول طفل يأتى إلى وحدة العناية المركزة.

وبصورة ما وصلت إلى سيارتى المتوقفة فى ساحة الانتظار وعدت إلى مبنى وزارة العدل.

الفصل ١١

كان مبنى وزارة العدل عبارة عن مبنى كبير من الجرانيت الرمادى، وكان يطل على شارع بريانت. وكان يضم بين طوابقه العشرة الرثة المظهر كلا من المحكمة العليا ومكتب نائب المقاطعة والقسم الجنوبى لقسم شرطة سان فرانسيسكو. وفى آخر طوابقه هناك زنزانة تحتل الطابق بأكمله.

كان مكتب الطبيب الشرعى يقع فى مبنى مجاور للمبنى الرئيسى، لكن كان يمكن التنقل بينهما بسهولة عن طريق الباب الخلفى للطابق الأرضى لمبنى وزارة العدل. دفعت الباب المصنوع من الصلب والزجاج والواقع فى نهاية الرواق، خارجة من مؤخرة المبنى الرئيسى واتجهت عبر المر الواصل بينهما حتى مبنى المشرحة.

وفتحت باب غرفة التشريح وعلى الفور غمرنى الهواء المثلج. كنت أمشى فى أرجاء المكان كما لو كان ملكا لى، وهى عادة

شجعتنى عليها أعز صديقاتى، كلير، كبيرة الأطباء الشرعيين بالمكان.

لكن بالطبع لم يكن الشخص الواقف بجوار جثة تلك المرأة المسجاة على المائدة ويلتقط لها الصور هى كلير. لقد كان ذلك هو نائبها، وهو رجل أبيض فى الأربعينيات من العمر وطوله خمس أقدام وثمانى بوصات أو نحو ذلك، وشعره أسود تتخلله شعيرات بيضاء، ويرتدى نظارة ذات إطار أسود، ولقد كان هو من حل محلها إبان غيابها.

قلت وأنا أدخل حجرة التشريح: "دكتور. جى".

"احترسى لخطواتك أيتها الملازم".

لقد تولى د. همفرى جيرمانيوك رئاسة قسم الطب الشرعى منذ ساعات لا أكثر، لكنَّ صفوفًا من الأوراق الخاصة به كانت موضوعة إلى جوار الحائط بالفعل. قمت مستخدمة مقدمة حذائى بتعديل كومة الأوراق التى حركتها، وعدلت من وضعها لتعود كما كانت.

وكنت أعرف عن جيرمانيوك أنه شخص عاشق للنظام، حاضر الدعابة، كما أنه متمكن عند الوقوف فى منصة الشهود. وفى الحقيقة كان جيرمانيوك مؤهلاً ليكون كبير الأطباء الشرعيين تمامًا مثل كلير، ويقول البعض إنه لو حدث أن تركت كلير منصبها فسيكون د. جى. هو خير من يملأ فراغ منصبها.

"كيف تجرى عملية تشريح جثة أندريا كانيلو؟" هكذا سألته وأنا أقترب من منضدة التشريح. كانت الجثة المسجاة عارية ووجهها لأعلى وكان جرح الرصاصة يتوسط صدرها.

ملت لألقى نظرة أكثر قربًا، لكن د. جيرمانيوك تقدم ليقف بينى وبين جثة المرأة.

"ممنوع التطفل أيتها الملازم، لا ينبغى لشرطى أن يكون هنا"، هكذا قال، لكنى كنت أرى أنه لم يكن يمزح، وأضاف:

"لقد انتهيت لتوى من تشريح طفل ضحية للعنف، وحادثة مرورية، وامرأة تم شج رأسها بمكواة بخارية".

وأردف: "كما سأقضى اليوم بطوله مع ضحايا المعدية، ولقد بدأت لتوى، وإذا ما كان لديك أى أسئلة فلتسألينى إياها الآن، أو اتركى رقم هاتفك الخلوى على مكتبى وسوف أتصل بك فور انتهائى".

ثم أولانى ظهره وبدأ فى قياس جرح الرصاصة التى أودت بحياة أندريا كانيلو.

تراجعت قليلاً جراء ثورة الغضب تلك؛ فلم يكن من الصواب أن أعادى د. جى الآن، إضافة إلى ذلك كان الرجل يتصرف بكل وجه حق. فبدون وجود كلير كان مكتب الطبيب الشرعى، الذى يعانى أساسًا من قلة عدد العاملين، فى حالة طوارئ. كما أن جيرمانيوك كان يعرفنى بصعوبة، وكان عليه حماية قسمه، ووظيفته، وحقوق الموتى، إضافة إلى الحفاظ على سلامة ونزاهة التحقيق.

ناهيك عن أنه سوف يقوم بتشريح كافة ضحايا المعدية بنفسه.

فلو اشترك معه طبيب آخر فى تشريح تلك الجثث، يمكن لأى محامى دفاع ماهر أن يبحث عن تناقضات بين أقوالهما أو تضارب فى شهاداتهما مما قد يقوض شهاداتهما من الأساس.

هذا على افتراض أننا وجدنا ذلك القاتل المجنون الذى قتل هؤلاء الناس.

وعلى افتراض أيضًا أننا استطعنا إخضاعه للمحاكمة.

كانت الساعة حوالى الرابعة بعد الظهر، وإذا ما كانت أندريا كانيلو هى ضحية د. جيرمانيوك الأولى، فسيكون عليه أن يقضى بقية النهار، والليل أيضًا، مع هؤلاء الضحايا كذلك.

ومع ذلك، كانت لى مشاكلى الخاصة أيضًا، أربعة قتلى.

وكلما مر وقت أكثر، زاد احتمال فرار ذلك القاتل.

"دكتور. جى".

استدار نحوى عابس الوجه.

"آسفة على أسلوبى الحاد، ولكن ذلك القاتل قتل أربعة أشخاص حتى الآن، ولا نعلم من يكون أو مكان وجوده".

قال جيرمانيوك: "تعنين ثلاثة أشخاص، أليس كذلك؟ لدى هنا ثلاث جثث فقط".

قلت له: "لقد توفى ابن هذه المرأة، ويدعى تونى كانيلو، منذ نصف الساعة فى مستشفى سان فرانسيسكو العام. كان عمره تسعة أعوام. وهكذا لدينا أربعة قتلى، إضافة إلى كلير واشبورن التى تتنفس من خلال أنبوب صدرى".

ظهرت لمحة من التعاطف على وجه د. جيرمانيوك الجامد، وقال لى وقد اختفت الحدة من صوته: "أخبرينى كيف لى أن أساعدك؟".

الفصل ١٢

قال د. جيرمانيوك وهو يستخدم مجسًا رفيعًا لينًا لفحص الجرح الذى مزق صدر أندريا: "يبدو أن الطلقة نفذت مباشرة إلى القلب. ومن المرجح بالنسبة لى أن الجرح تسبب بواسطة رصاصة من مسدس عيار إيه ٠,٣٨، لكنى لم أتأكد من ذلك حتى يفحص خبراء المقذوفات الرصاصة".

كان هذا هو ما خطر لى بعد مشاهدتى لشريط الفيديو، لكنى كنت بحاجة للتأكد. لقد أشاحت كاميرا جاك رونى عن أندريا كانيلو بمجرد إطلاق الرصاص عليها. لو كانت قد عاشت للحظات، وكانت تعرف قاتلها، لربما استطاعت النطق باسمه.

"هل كان بمقدورها البقاء حية بعد إصابتها بالرصاصة؟".

قال لى جيرمانيوك: "مستحيل، لقد نفذت الطلقة إلى قلبها مباشرة، ولقد ماتت قبل أن تسقط أرضًا".

قلت له: "يا له من تصويب دقيق، ست طلقات وخمس إصابات مباشرة، وكل هذا بمسدس".

قال د. جيرمانيوك فى جدية: "لقد كانت المعدية مليئة بالناس، بالطبع لابد أن تصيب طلقاته بعضهم بسهولة".

انفتح الباب المعدنى الموجود فى نهاية حجرة التشريح فنظرنا لنجد أحد العاملين يدفع محفة وينادى قائلاً: "أين تريدنى أن أضع هذا يا دكتور. جى؟".

كان الجسد المسجى على المحفة مغطى بملاءة وكان لا يتجاوز طوله خمسين بوصة. لقد كانت هذه "الجثة" جثة الصبى.

قال جيرمانيوك للعامل: "اتركه هنا، سنتولى أمره من هنا".

اقتربت أنا والدكتور من المحفة، وقام الدكتور بكشف الغطاء.

كان مجرد النظر إلى رأس الصبى القتيل كفيلاً بأن يمزق نياط قلبى؛ حيث كان جلد تونى قد اكتسى بلون أزرق، وعلى امتداد جسده كان هناك جرح يمتد بطول اثنتى عشرة بوصة وقد تمت خياطته جراحيًا. قاومت فى نفسى شعورًا بأن أمد يدى لأتحسس وجهه، وألمس شعره، أو أفعل أى شىء يمكن أن يريح ذلك الطفل الذى شاء حظه العاثر أن يقف أمام طلقات ذلك القاتل المجنون.

"أنا آسفة يا تونى".

"هذه بطاقتى"، هكذا قال جيرمانيوك وهو يمد يده فى جيب معطفه، مخرجًا إياها منه وأضاف: "اتصلى بى على هاتفى الخلوى إذا ما احتجت إلىّ وعندما ترين كلير ... قولى لها إننى سآتى لزيارتها فى المستشفى متى وسعنى ذلك. وقولى لها إننا نحاول ملء الفراغ الذى تركته، وإننا لن نخذلها مطلقًا".

الفصل ١٣

قرب أعضاء فرقتى مقاعدهم وتجمعوا حولى. كان الجميع يلقى بالأسئلة ويحاولون الخروج بنظريات تفسر ما حدث من إطلاق النار على متن "ديل نورتيه"، وفى هذا الوقت دق جرس هاتفى الخلوى. ونظرت إلى الرقم فعرفت أنه إدموند فأجبت الاتصال.

قال لى إدموند بصوت متهدج: "لقد خرجت كلير لتوها من غرفة الأشعة، ولديها نزيف داخلى".

"لا أفهم ما تقول يا إدى. ماذا حدث؟".

"لقد أصابت الطلقة كبدها .... ولابد من إجراء عملية جراحية أخرى لها".

لقد شعرت بالاطمئنان عند رؤيتى للابتسامة الهادئة المرتسمة على وجه د. ساسون، وكذلك لكلماته عندما قال إنها ستكون بخير. لكنى الآن صرت أشعر بخوف شديد.

عندما وصلت إلى حجرة الانتظار الخاصة بوحدة العناية المركزة وجدتها ممتلئة بأفراد عائلة وأصدقاء كلير، بالإضافة إلى إدموند وويلى وريجى واشبورن، والآخر هو ابن إدموند كلير الذى يبلغ من العمر واحداً وعشرين عامًا، وقد جاء بالطائرة من جامعته فى ميامى.

صافحت الحاضرين ثم جلست إلى جوار سيندى توماس ويوكى كاستيلانو، أعز صديقتين لى ولكلير، وكنا نحن الأربعة نشكل مجموعة كنا نطلق عليها مازحين اسم "نادى النساء القاتلات"، جلسنا سويًا فى تلك الغرفة المقبضة فى انتظار أى أخبار جديدة .

وعبر تلك الساعات الطويلة المشوبه بالتوتر حاولنا إخفاء خوفنا عن طريق تذكر بعض المواقف الضاحكة التى كانت كلير طرفًا فيها، وتناولنا أقداحاً من القهوة وقطعاً من الحلوى التى أتينا بها من ماكينة الحلوى، وخلال الساعات الأولى من الصباح طلب منا إدموند أن نتضرع إلى الله أن يشفيها.

تشابكت أيدينا فى دعاء صامت بينما كان إدموند يدعو الله بصوت مسموع أن يخفف عن كلير محنتها، وقد كنا نأمل جميعاً أن تنجو كلير بدعائنا سويًا وبإيماننا الصادق.

وعبر تلك الساعات الحزينة عدت بذاكرتى للوقت الذى تعرضت فيه لإطلاق الرصاص، وتذكرت كم وقفت كل من كلير وسيندى بجوارى وقتها.

كما تذكرت تلك الأوقات الأخرى التى انتظرت فيها فى حجرات مشابهة لتلك الحجرة، عندما كانت والدتى تعالج من السرطان، وعندما قتل رجل رمياً بالرصاص وهو فى الخدمة، وعندما أصيبت والدة يوكى بجلطة.

ولقد توفوا جميعًا.

قالت سيندى: "أين يمكن أن يكون ذلك القاتل الحقير الآن؟ هل يدخن سيجارة بعد أن تناول العشاء؟ هل ينام فى فراش وثير وهو يخطط لجرائم قتل أخرى؟".

قالت يوكى: "إنه لا ينام فى فراش. أظن أنه ينام فى صندوق حقير".

وفى حوالى الخامسة صباحًا ظهر د. ساسون ليبلغنا بالأخبار وقد بدا عليه الإجهاد الشديد.

وقال لنا: "إن كلير بخير الآن. لقد عالجنا التلف الذى حدث لكبدها، وعاد ضغط دمها للارتفاع لمستواه الطبيعى، وجميع وظائفها الحيوية جيدة".

عمت الفرحة وبدأنا جميعًا فى التصفيق لا إرادياً، واحتضن إدموند ولديه وقد ملأت الدموع عيونهم.

ابتسم الطبيب، ولابد أن أعترف أنه كان له مظهر المحارب الشجاع.

ثم عدت إلى منزلى وقت شروق الشمس لكى أخرج فى نزهة سريعة مع كلبتى مارثا حول منطقة بوتريروهيل.

وبعد ذلك، وبينما كانت الشمس تسطع فوق سقف سيارتى اتصلت بجاكوبى. وبالفعل قابلته هو وكونكلين أمام المصعد الخاص بمبنى وزارة العدل فى الثامنة صباحًا.

كان اليوم هو الأحد.

وقد أحضرا معهما قهوة وفطائر الدونت.

كم أحب هذين الرجلين.

قلت لهما : "فلنبدأ العمل".

الفصل ١٤

بمجرد دخولي بصحبة كونكلين وجاكوبي إلى غرفة مكتبي ذي الحوائط الزجاجية، والذي يقع في ركن قاعة الغرفة انضم إلينا كل من المفتش بول تشي وكابي ماكنيل في تلك القاعة الرثة البالغ حجمها عشرين في ثلاثين قدمًا والتي هي مقر فرقة التحقيق في جرائم القتل البالغ عدد أعضائها اثني عشر شرطيًا.

كان كابي يزن مائتين وخمسين رطلا، وحينما جلس على المقعد أصدر المقعد أزيزًا خفيفًا. أما تشي فكان رشيق القوام وقد استند على خزانة صغيرة للكتب بجوار جاكوبي، الذي كانت تنتابه إحدى نوبات السعال المتواصلة التي اعتاد عليها.

ولأن كل الأماكن صارت مشغولة، اختار كونكلين أن يقف خلفي؛ فوقف مسندًا ظهره إلى النافذة المطلة على الطريق السريع وهو واضع قدمًا أمام الأخرى في وضع مريح.

بدا مكتبي مزدحمًا، كما لو كان صندوقًا زجاجيًا امتلأ بالأقلام.

كان كونكلين قريبًا مني، بجسده البالغ من الطول ست أقدام وبوصة واحدة، وجسده الممشوق وشعره البني الخفيف ينسدل على عينيه البنيتين، لقد كان في التاسعة والعشرين من العمر، وذكرني شكله بأحد أبناء عائلة كينيدي الذي كان يخدم على الأرجح في قوات المارينز.

كان تشي قد أحضر جريدة صنداي كرونيكل ووضعها على المكتب الأمامي.

كانت صورة القاتل، والمأخوذة من شريط جاك روني الأقل وضوحاً منشورة على الصفحة الأولى، وتحتها كان هناك تعليق يقول: "هل يعرف أحدكم هذا الرجل؟".

اقتربنا جميعًا ـ ممعنين النظر في ذلك الوجه ثانية.

كان شعر القاتل الداكن منسدلا حول كتفيه، وقد أخفت لحيته ملامحه التي تبدأ من شفته العليا وصولاً إلى تفاحة آدم.

قال كابي: "غير واضحة"، فنظرنا نحوه متسائلين.

فأضاف: "قلت إن الصورة غير واضحة".

قلت: "لن نستطيع الحصول على أي نتائج من المعمل في صباح يوم أحد مثل هذا، لكن لدينا هذه".

ثم أخرجت صورة لعلبة السجائر التركية الملفوفة بورق بني اللون من درج مكتبي.

"كما أن لدينا كل هذا".

ووضعت يدي على كومة الأوراق التي تحوي إفادات الشهود والتي يبلغ ارتفاعها بوصتين، إضافة إلى رسائل هاتفية، ورسائل البريد الإلكتروني التي قامت مسئولة العلاقات العامة بريندا بتحميلها من الموقع الإلكتروني الخاص بقسم شرطة سان فرانسيسكو.

قال جاكوبي: "يمكننا تقسيمها علينا".

تبع ذلك مناقشات عالية لم ينهها إلا تشي عندما قال فى توكيد: "حسنًا، إن موضوع السجائر هام حقًا، والأماكن التى يمكن لها أن تبيع مثل هذه النوعية من السجائر محدودة، ولابد لأحدهم أن يتذكر وجه القاتل".

قلت: "حسنًا يا رفاق، فلتبدءوا العمل".

أخذ جاكوبي وكونكلين ثلثى الملفات الخاصة بتقارير الشهود إلى مكاتبهم فى قاعة الفرقة وبدءوا الاتصالات الهاتفية، بينما أجرى تشي وماكنيل عدة مكالمات هاتفية قبل أن يخرجا لاستكمال مهمتهما.

بقيت وحدى فى مكتبى وأخذت أتصفح ما قامت بريندا بجمعه من معلومات عن الضحايا، وكانوا كلهم، بلا استثناء، مواطنين محترمين.

ترى، هل هناك من علاقة بين القاتل وأى من هؤلاء القتلى؟

بدأت فى محادثة بعض الشهود هاتفيًا، لكن لم تثمر المكالمات الأولى عن أى شىء ذى أهمية. بعدها بدأت محادثة أحد الشهود، وكان يعمل رجل إطفاء؛ حيث كان يقف على بعد عشر أقدام فقط من أندريا كانيلو وقت أن أطلق عليها القاتل الرصاص.

قال لى هذا الشاهد: "لقد كانت تصرخ فى ولدها عندما أطلق القاتل عليها النار. ولقد كنت على وشك أن أطلب منها أن تهدئ من نفسها، لكن فى اللحظة التالية، قتلها الرجل".

"ماذا كانت تقول؟ هل تذكر تحديدًا؟".

"إنك تصيبنى بالجنون يا فتى، وأشياء من هذا القبيل، ياله من أمر بشع ... هل نجا الفتى؟".

"يؤسفنى أن أقول لك إنه لم ينج".

دونت بعض الملحوظات، محاولة تجميع أجزاء ذلك اللغز حتى أخرج منها بشىء ذى معنى. بعدها ارتشفت ما بقى فى

قدح القهوة واتصلت بالرقم التالى فى القائمة".

كان اسم صاحب الرقم هو أيك كوينتانا، وقد اتصل بقسم الشرطة بعد ظهر الأمس، وقال إنه ربما يكون القاتل هو صديق له كان يعرفه منذ خمسة عشر عامًا.

قال لى كوينتانا: "يبدو أنه نفس الرجل بكل تأكيد. وإذا كان هو هذا الشخص؛ فلقد كنا سويًا نزلاء فى مصحة نابا ستيت فى أواخر الثمانينات".

أحكمت قبضتى على سماعة الهاتف وضغطتها على أذنى؛ فلم أكن أريد لأى كلمة أن تفوتنى.

قال كوينتانا لى: "أتفهمين ما أعنى؟ لقد كنا حبيسين فى عش المجانين معًا".

الفصل ١٥

قمت برسم نجمة إلى جوار رقم هاتف كوينتانا.

ثم سألته وأنا أضغط السماعة إلى أذنى حتى لا تفوتنى كلمة قائلة: "وما اسم صديقك هذا؟"، لكنه صار مراوغا.

حيث قال: "لا أريد أن أصرح باسمه، فى حال إذا لم يكن هو المقصود. إن لدى صورة له، بمقدوركم القدوم الآن لرؤيتها إذا أردتم، لكن هذا يجب أن يكون الآن لأن لدى أشياء عديدة لأقوم بها بقية اليوم".

"إياك ومغادرة المنزل! إننا فى طريقنا إليك على الفور!".

خرجت إلى القاعة، وقلت: "لدينا دليل مهم. والعنوان فى شارع سان كارلوس".

قال كونكلين: "أود مواصلة العمل على المكالمات الهاتفية؛ حيث إن هناك المزيد من شرائط الفيديو التى صورت الحادث وتم إرسالها إلى موقعنا الإلكترونى".

وقف جاكوبى وارتدى سترته، وقال: "سأقود أنا يا أيتها الملازم".

كنت أعرف جاكوبى منذ عشر سنوات، وعملنا سويًا كزملاء لثلاث سنوات قبل أن تتم ترقيتى لأصير ملازمًا. وخلال هذه الفترة كنت أنا وجاكوبى نشكل فريقًا واحدًا، وصارت بيننا صداقة عميقة وصلت تقريبًا إلى حد توارد الخواطر. لكنى لا أعتقد أن أحدنا كان يعترف فى نفسه بمدى عمق هذه الصلة حتى تلك الليلة التى تعرضنا فيها سويًا لإطلاق النار من قبل بعض المراهقين. لقد شارفنا على الموت سويًا، وهذا زاد من قوة الرابط بيننا بحق.

والآن كان جاكوبى يقود السيارة بنا صوب مجموعة من المساكن الرثة الواقعة فى ضواحى منطقة تيندرلوين.

اتجهنا صوب العنوان الذى أعطانيه أيك كوينتانا، وكان عبارة عن مبنى من طابقين تشغل طابقه الأرضى دار عبادة صغيرة بينما تشغل طابقه العلوى شقتان.

قمت بدق جرس الباب ثم سمعت صوت القفل الكهربى يفتح، فقمت بدفع المقبض المعدنى للباب ودخلت أنا وجاكوبى إلى ردهة مظلمة، ومنها صعدنا درجات السلم الذى كان يصدر أزيزًا وصولاً إلى رواق علوى مفروش بالسجاد وتصدر عنه رائحة العفن.

كان هناك باب واحد فى بداية الرواق وآخر فى نهايته.

قمت بقرع الباب المكتوب عليه (R٢) وبعد انتظار لنصف دقيقة بدت كالدهر انفتح الباب.

كان أيك كوينتانا رجلاً أبيض فى منتصف الثلاثينيات، وكان شعره الأسود يرتفع عن جانبى رأسه بصورة حادة، وكانت ملابسه عجيبة الشكل؛ حيث بدا كما لو كان يرتدى طبقات متوالية من الملابس؛ حيث ظهر قميص داخلى مقفول الأزرار، وفوق كل ذلك كانت هناك سترة من الصوف والتى تدلت من فوق خصره؛ حيث كان لونها يشبه لون الصدأ.

كان يرتدى بنطال بيجاما مخططاً بالأزرق وخفًا بنيًا وعلى وجهه كانت هناك ابتسامة رقيقة هادئة، وقد مد يده لمصافحتنا، وبعد أن صافحناه دعانا للدخول.

تقدمنا جاكوبى وتبعت أنا الرجلين، وطفقنا نمر عبر ممر ضيق تتراءى على جانبيه أكوام مترنحة من الجرائد وأكياس القمامة الشفافة المتلئة بزجاجات الصودا والتى كانت تملأ الردهة من الأرضية وحتى السقف، وفى غرفة الاستقبال تراصت صناديق ورقية مليئة بالعملات المعدنية وصناديق منظفات خالية، والعديد من الأقلام ذات البلية الدوارة .

غمغم جاكوبى: "أعتقد أنك مستعد لكل شىء".

قال كوينتانا: "بالضبط".

ثم دخلنا المطبخ، وهناك رأيت أوانى وأوعية فى كل مكان، وكانت طاولة المطبخ عبارة عن أرشيف متعدد الطبقات من قصاصات الجرائد والمغطاة بمفرش مائدة، ثم المزيد من القصاصات والمغطاة بدورها بمفرش آخر، وهكذا، وكان يصل ارتفاع تلك الكومة إلى قدم.

قال كوينتانا بخجل : "لقد اعتدت تتبع أخبار جريدة الـ "جايانتس" طوال حياتى"، ثم عرض علينا بعض القهوة، لكننا رفضنا.

ومع ذلك بدأ كوينتانا فى إشعال موقد الغاز، ووضع فوقه إناء من الماء كى يغلى.

فسألته: "ألديك صورة تود أن ترينا إياها؟".

رفع كوينتانا صندوقاً قديماً خاصًا بالصابون من على الأرضية ووضعه على الطاولة المكدسة، ثم بدأ التنقيب عبر كومات من الصور والقوائم والسجلات المتنوعة والتى لم أستطع معرفتها جميعًا، وكانت حركة يديه تتسبب فى بعثرة الأوراق.

ثم قال: "ها هى ذى"، ورفع يده حاملاً صورة باهتة حجمها خمس بوصات فى سبع بوصات وأضاف: "أعتقد أنه تم التقاط هذه الصورة حوالى عام ١٩٨٨".

كانت الصورة تظهر خمسة مراهقين ـ فتاتان وثلاثة أولاد ـ وهم يشاهدون التلفاز فى غرفة تبدو وكأنها فى إصلاحية ما.

"هذا هو أنا". هكذا قال كوينتانا وهو يشير إلى صورته حيث كان يجلس مسترخياً فى مقعد ذى ذراعين، وحتى وقتها كان متدثرًا تحت طبقات من الملابس.

"هل تريان هذا الشخص الجالس على مقعد بجوار النافذة؟".

نظرت إلى الصورة. كان الصبى نحيلاً ذا شعر طويل وذقن نام، وكان وجهه يظهر من الجانب. لكنه قد يكون هو القاتل، وقد يكون أى شخص سواه.

قال كوينتانا: "أترين كيف يعبث بشعر ذراعه؟".

أومأت له بالإيجاب.

"لهذا أعتقد أنه سوف يكون على الأغلب الشخص المعنى. لقد اعتاد أن يفعل هذا لساعات، لقد كنت أحب هذا الفتى. وكنت أطلق عليه "فريد آليتو ليندو" وهو الاسم الذى استوحيته من أغنية اعتاد التنغم بها".

سألته: "وما اسمه الحقيقى؟".

قال كوينتانا: "لقد كان مكتئبًا للغاية. ولهذا دخل مصحة نابا رغماً عن إرادته. فكانت هناك تلك الحادثة؛ حيث توفيت أخته الصغرى، فى حادث له علاقة بمركب شراعى على ما أعتقد".

أطفأ كوينتانا الموقد وابتعد عنه، وراودتنى فكرة ما: *أى معجزة تلك التى منعت هذا المبنى من الاحتراق حتى الآن؟*

زمجر جاكوبى قائلاً: "سيد كوينتانا، لا تدعنا نكرر سؤالنا، اتفقنا؟ مـ اسم ذلك الرجل؟".

استدار كوينتانا نحو المائدة حاملاً قدح القهوة فى يده وعلى ملامحه تعابير الثقة والتحفظ كما لو كان رجلاً ثريًا يتجول فى ضيعته الخاصة.

ثم قال: "اسمه فريد. ألفريد برينكلى. لكننى مازلت لا أدرى كيف تأتى له قتل هؤلاء الناس؛ لقد كان فريد ألطف فتى فى العالم".

الفصل ١٦

بينما كان جاكوبى يقود السيارة عائدًا بنا إلى بريانت ستريت اتصلت بكونكلين من السيارة وأعطيته اسم برينكلى وطلبت منه أن يتحرى عنه.

كان كل من تشي وماكنيل فى انتظارنا فى مطعم "ماكبين بيرز أوف ذى وورلد"، وكان ذلك عبارة عن مطعم صغير يقع بين مبنيين مخصصين لاحتجاز المجرمين المنتظر إخراجهم بكفالة؛ حيث كان يقع قبالة مبنى وزارة العدل.

انضممت أنا وجاكوبى إليهما وطلبنا مشروبين، ثم سألت تشي وماكنيل عما لديهما من أخبار جديدة.

قال تشي وهو يدخل فى صلب الموضوع: "لقد قمنا باستجواب شخص يعمل فى محل لبيع التبغ فى فاليجو، وهو رجل عجوز يملك المكان، ولقد قال لنا: "أجل، إننى أبيع السجائر التركية تلك، أبيع حوالى صندوقين كل شهر لزبون معين"، ثم أزاح

الغطاء الكارتونى من على الرف ليرينا ما يعنى ـ وبالفعل كان هناك صندوقان ناقصان".

انضم إلينا كونكلين، وجلس ثم طلب مشروبًا وشطيرة برجر غير تامة النضج.

بدا وكأن لديه شيئاً معينًا يشغل باله.

قال كابى: "لقد أثرت اهتمام زميلى بفكرة صندوق السجائر تلك".

قال تشى مخاطبًا ماكنيل: "من هو الأحمق إذن؟".

زمجر جاكوبى وقال: "ادخل فى صلب الموضوع، اتفقنا؟".

جاءت المشروبات، ورفع كل من جاكوبى وكونكلين وأنا كئوسنا تحية لصورة دون ماكبين ، مالك المطعم والذى كان نقيبًا سابقًا فى قسم شرطة سان فرانسيسكو وكانت صورته معلقة على الجدار.

أكمل تشى حديثه قائلاً: "يقول العجوز إن هذا الزبون هو رجل يونانى، عمره حوالى ثمانين عامًا، ثم أضاف: لكن، دعونى أرى الصورة ثانية".

أكمل كابى حديث تشى قائلاً: "وهكذا دفعت الصورة الخاصة بالقاتل أمام عينيه، فقال: هذا الرجل؟ لقد اعتدت رؤية هذا الرجل كل صباح وهو يشترى الجرائد. أهو حقًا المسئول عن جرائم القتل تلك؟".

نادى جاكوبى النادلة ثانية وقال: "سوف أتناول شطيرة برجر أنا الآخر، لكنى أريدها متوسطة النضج ومعها بطاطس مقلية".

تحدث تشى قائلاً:

"وهكذا يقول صاحب المتجر إنه لا يعرف اسم المشتبه به، لكنه يعتقد أنه كان يعيش على الجانب المقابل من الشارع فى منزل رقم ١٥١٣، فاليجو".

قال كابى: "وهكذا ذهبنا إلى هناك ...".

قال جاكوبى: "فلترحمونى وتنتهوا من هذه القصة".

وقد أخفض مرفقيه على المائدة وكان يدفع راحتى يديه على عينيه منتظرًا أن ينتهيا من القصة أو يخبراه بالنتائج.

قال كابى: "ولقد حصلنا على اسم. لقد تعرف صاحب العقار رقم ١٥١٣ فاليجو على صاحب الصورة، وقال إن المشتبه به قد طرد من مسكنه منذ حوالى شهرين، بعدما فقد وظيفته مباشرة".

قال تشى: "فليستمع الجميع .... إن اسم القاتل هو ألفريد برينكلى".

ساءنى أن أرى الإحباط والحزن على وجه تشى وماكنيل، لكن كان لابد لى من أن أبلغهما أننا نعرف ذلك بالفعل.

"شكرًا يا بول، لكننا نعرف اسمه بالفعل. هل عرفتما أين كان يعمل؟".

"أجل سيادة الملازم. فى محل لبيع الكتب، واسمه متجر سام للكتب ويقع فى شارع مايسون".

استدرت نحو كونكلين وقلت: "إنك تبدو مثل القط المتحفز. ماذا لديك؟".

كان كونكلين يجلس وقد أرجع كرسيه إلى الخلف بحيث كان يستند على قدميه الخلفيتين فقط، وكان واضحًا أنه يستمتع بالحوار الذى يجرى. والآن قام بإنزال القدمين الأماميتين للكرسى واتكأ على المائدة، وقال: "ليس لبرينكلى أى سجل إجرامى. لكنه ... خدم فى أحد المواقع العسكرية لمدة سنتين. وقد تم تسريحه لأسباب طبية فى عام ١٩٩٤".

تساءل جاكوبى: "هل استطاع دخول الجيش بعدما كان نزيلاً لمصحة عقلية ؟".

قال كونكلين: "لقد كان صبيًا حينما دخل مصحة نابا ستيت وملفاته الطبية غير متاحة، إضافة إلى ذلك أن المسئولين عن الالتحاق بالجيش لم يكونوا على تلك الدرجة من الدقة عند الاختيار".

بدأت الصورة الضبابية للقاتل تتضح أكثر وأكثر، وبالرغم من كونها مرعبة، إلا أنها أجابت عن سؤال ظل يتردد في عقلي منذ حادثة القتل.

لقد كان برينكلي مصوبًا ماهرًا؛ لأنه تدرب على ذلك في الجيش.

الفصل ١٧

في التاسعة من صباح اليوم التالي أوقفت أنا وجاكوبي وكونكلين سياراتنا في شارع ماسون بالقرب من نورث بوينت، وكنا على بعد شارعين من منطقة فيشر مانز وارف، وهي منطقة سياحية شهيرة مليئة بالعديد من الفنادق الضخمة والمطاعم وأماكن تأجير الدراجات ومتاجر التذكارات؛ حيث يصفّ الباعة بضائعهم على الأرصفة.

كنت أشعر بالحماس ونحن ندخل متجر الكتب الهائل، ولقد قام جاكوبي بإبراز شارته لأقرب العاملين وسأله إذا ما كان يعرف المدعو ألفريد برينكلي.

أرسل العامل في طلب المدير الذي اصطحبنا إلى المصعد نزولاً إلى القبو، وهناك قام بتعريفنا بمدير المخازن، وهو رجل ذو بشرة سمراء في الثلاثينات من عمره ويدعى أديسون جونز،

والذى كان يرتدى قميصًا قصير الأكمام من ماركة دوران دوران ويضع فى أنفه قرطًا معدنيًا صغيرًا.

اصطففنا داخل حجرة المخزن، وكانت تلك الحجرة ذات جدران مليئة بالأرفف المتحركة، وكان لها باب يفضى إلى الجزء الخلفى من المبنى، ومنه كان العاملون يدخلون ويخرجون حاملين صناديق الكتب من حولنا.

قال جونز: "لقد كنا أنا وفريد صديقين. ولا أعني بهذا أننا كنا صديقين مقربين، فلم نكن نتقابل بعد العمل مثلا، ولكنه كان ذا روح مرحة وكنت معجبًا به. لكنه بدأ يتصرف بغرابة"، ثم خفض صوت التلفاز الموضوع على منضدة معدنية بجوار العديد من الفواتير والأدوات المكتبية.

سأله كونكلين: "ماذا تعنى بقولك " يتصرف بغرابة"؟".

"أحيانًا كان يقول لى: "هل سمعت ما قاله لى وولف بليتزر للتو؟" كما لو كان التلفاز يتحدث إليه. ثم كان ينتابه الشرود؛ حيث يبدأ فى الدندنة والغناء لنفسه. ولقد صارت الإدارة غير مرتاحة بخصوص تصرفاته تلك". هكذا قال جونز وهو يمرر يده بهدوء عبر قميصه، ثم أضاف: "وعندما بدأ يهمل فى عمله، أعطى هذا للإدارة المبرر الكافى لطرده".

ثم أضاف: "لقد احتفظت بكتبه" ثم مد يده إلى أحد الأرفف وسحب صندوقًا ووضعه على المنضدة أمامنا.

فتحت الصندوق ورأيت كتبًا عديدة لمؤلفين مثل "يونج" و "نيتشه" و "ويلهلم رايش"، كما ظهرت قطعة من الغلاف الورقى لكتاب "*أصل الوعى وظهور العقل المنقسم*" للكاتب "جوليان جاينى".

أخرجت ذلك الكتاب من الصندوق.

قال أديسون: "كان هذا هو كتابه المفضل، من العجيب أنه لم يأت لاستعادته".

"ما هو موضوعه؟".

"حسبما يقول فريد فإن جاينى له نظرية مفادها أنه حتى ثلاثة آلاف عام خلت، لم يكن نصفا المخ البشرى متصلين معاً، وهكذا لم يكن نصفا المخ قادرين على التواصل بصورة مباشرة".

سأله جاكوبى: "وما المقصود من هذا؟".

"يقول جاينى إنه فى هذا الوقت كان البشر يعتقدون أن أفكارهم تأتيهم من مصدر خارجي، خارج أنفسهم، وأن تلك الأفكار ما هى إلا توجيهات مباشرة من الآلهة".

سأله جاكوبى: "إذن فإن برينكلى كان ... ماذا؟ ... يسمع أصوات من آلهة التلفاز؟".

"أعتقد أنه كان يسمع أصواتًا على الدوام، ولعل تلك الأصوات كانت تملى عليه ما يفعل".

سببت كلمات جونز ارتجافة فى أطراف أصابعى، لقد مرت أكثر من ثمانى وأربعين ساعة على حادثة المعدية، وبينما تتجمع الأدلة، لا يزال برينكلى حراً طليقاً فى مكان ما، يتلقى أوامر من تلك الأصوات، ويحمل مسدسه.

سألته: "ألديك فكرة عن مكان تواجد برينكلى الآن؟".

قال جونز: "لقد رأيته يتسكع خارج إحدى الحانات منذ شهر تقريبًا، وكان يبدو مشتتًا، وقد نمت لحيته بكثافة. ولقد مازحته قائلاً إنه يبدو فى طريقه للعودة إلى البرية، لكنه رسم تعبيرًا عجيبًا على وجهه، ولم ينظر إلى عينى قط".

"أين رأيته؟".

"خارج حانة دوبل شوت بار فى منطقة جيرى. إن فريد لا يرتاد الحانات؛ لذا أظن أنه يعيش فى أحد الفنادق بالقرب من تلك الحانة".

كنت أعرف المكان المعنى؛ فقد كان فندق بارباى واحدًا من بين عشرات الفنادق هناك والمخصصة للسياح فى تيندرلوين.

وحيث كانت بها غرف تؤجر بالساعة والتى عادة ما يستخدمها المدمنون والعاطلون عن العمل. لقد كان مكانًا سيئًا بحق.

لو كان فريد برينكلي يعيش فى فندق باربای منذ شهر، فمعنى هذا أنه لا يزال يقيم هناك إلى الآن.

الفصل ١٨

لقد قالت الأرصاد الجوية إن الجو قد يمطر، لكن الشمس كانت بيضاء ساطعة فى كبد السماء، وعندما رفع فريد برينكلى يده لأعلى، *كان بمقدوره أن يرى الشمس من خلالها*.

كان متجهاً صوب محطة مترو الأنفاق، وبدأ بالفعل فى نزول درجات السلم المؤدى لمحطة سيفيك سنتر بارت، وهو نفس الطريق الذى كان معتاداً على سلوكه حينما كان لا يزال فى وظيفته.

خفض برينكلى عينيه وهو يركز على خطواته التى يخطوها فوق البلاط الرخامى الأبيض ذى الحواف الجرانيتية السوداء وهو يمر عبر الطابق الأرضى. لم يكن يرفع عينيه ولم ير الركاب الآخرين، عمال الشركات، وهم يشترون التذاكر والزهور والمياه المعدنية قبل القيام برحلتهم. لم يكن يريد أن يلتقط أى أفكار من

أفكارهم الخاوية، لم يكن يرغب فى رؤية نظراتهم المتطفلة وهى تلتمع فى عيونهم.

ارتقى السلم الكهربائي نزولاً حتى نفق القطار، لكن بدلاً من أن يشعر بالهدوء، أدرك أنه كلما نزل لأسفل، ازداد شعوره بالغضب.

كانت الأصوات تتردد بداخل رأسه تناديه بأسماء.

خفض برينكلي رأسه وثبت عينيه على الأرضية وبدأ يغنى داخل عقله محاولاً التغطية على تلك الأصوات وإسكاتها تمامًا.

نزل من السلم الكهربائى فى الدور الثالث تحت الأرض، لكنه بمجرد أن فعل هذا أدرك الخطأ الذى ارتكبه. كان رصيف القطار مليئًا بهؤلاء الحمقى العائدين من أعمالهم إلى منازلهم.

لقد كانوا يشبهون السحب الرعدية، بمعاطفهم الداكنة وعيونهم التى تقترب منه وتتطفل عليه أينما يقف.

تسللت الصور المعروضة على أجهزة التلفاز في واجهة متجر الإلكترونيات إلى عقله: *لقد كانت صورته هو نفسه، وهو يطلق الرصاص على الركاب فى المعدية.*

لقد كان هو من فعل هذا!

شق برينكلى طريقه وسط الزحام، وهو يمر بهم ويغنى فى عقله حتى وقف على حافة الرصيف، وقف على بلاطة واحدة فقط، وقد شعرت أصابعه بالفراغ من تحتها.

إنه لا يزال يشعر بالكراهية والاحتقار نحو من حوله، إضافة إلى الغضب الذى كان يتصاعد من داخله. وبدت الحوائط البيضاء وكأنها تنبض وتتحرك، ومن جانب عينيه استطاع فريد رؤية الناس من حوله وهم ينظرون إليه، ويقرءون أفكاره.

كان يريد أن يصرخ قائلا: "*لقد كان علىّ فعل هذا! احذروا؛ فقد تكونون أنتم التالين*".

حدق لأسفل فى القضبان، وظل ساكنًا ولم ينظر لأحد، وقد احتفظ بيديه في جيوبه؛ حيث كانت يده اليمنى ملتفة حول مسدسه بأسي.

تصاعدت الأصوات فى عقله تقول: "*إنهم يعلمون. إنك مكشوف أمامهم يا فريد*".

وفجأة سمع صوتًا حادًا ينادى من خلفه: "مهلاً"، استدار برينكلى ليرى امرأة ذات فم حاد وعيون سوداء ضيقة تشير بإصبع مرتعش نحوه وتضيف:

"*إنه هو، لقد كان على المعدية، إنه هو، القاتل.* فليتصل أحدكم بالشرطة".

كانت الأمور تتداعى من حوله الآن، لقد علم الجميع بما فعل.

فاشل، أحمق.

اى، باى، باى، باى

أخرج فريد مسدسه من جيبه وأخذ يلوح به فى وجه من حوله، وعلى الفور بدأ المحيطون به فى الصراخ ومحاولة الاختباء منه.

ثم بدأ صوت القطار يأتى عبر النفق.

وبدأ القطار بعرباته ذات اللونين الفضى والأزرق فى دخول المحطة، وطغى صوته فوق جميع الأصوات والأفكار.

ثم توقف القطار وبدأت حشود الناس فى الخروج من عرباته مثل الجرذان وحشود أخرى تندفع داخله، وكلها تتقاذف فريد مثل موجات المد، دافعة إياه نحو البوابة.

كان ذلك يسبب له اختناقًا شديدًا.

حرر فريد نفسه ثم اتجه صوب السلم الكهربائى، وبقفزات واسعة ـ صعد متجاوزًا الركاب الآخرين الموجودين على السلم المتحرك حتى خرج إلى هواء الشارع الطلق.

ظل الصوت داخل عقله يصرخ قائلاً: "*اخرج! اهرب من هنا أيها الأحمق!*".

الفصل ١٩

كانت الساعة الرقمية الموجودة على جهاز المايكروويف تشير إلى السابعة وثماني دقائق، وكنت منهكة جسديًا وعقليًا لأقصى حد بعد أن قضيت اليوم بأكمله فى تمشيط منطقة تندرلوين، لكن هذا لم يسفر إلا عن قائمة بكل الأماكن التى لم يتواجد بها ألفريد برينكلى.

لم أكن محبطة فقط ، بل كنت مرتعبة. إن فريد برينكلى لا يزال حراً طليقاً.

وضعت طبقاً من المكرونة والجبن فى الميكروويف وضبطت الميقات على خمس دقائق.

وبينما كان يتم تجهيز عشائى، بدأت أسترجع أحداث اليوم فى عقلى، باحثة عن أى شىء قد نكون أهملناه خلال جولتنا فى عشرات الفنادق ومحاوراتنا مع موظفى الاستقبال عديمى الفائدة ومقابلاتنا لعشرات المستأجرين.

اقتربت مارثا وأخذت تلعق جسدها بجوارى، فربت على أذنيها ثم صببت لها بعضًا من طعام الكلاب فى وعاء. فخفضت رأسها تهز ذيلها الكث.

فتحت زجاجة عصير ثم سمعت جرس الباب يدق.

ما الأمر يا ترى؟

اقتربت من النافذة لأرى ذلك الذى جرؤ على دق جرس بابى، لكن لم أتعرف على ذلك الرجل الذى كان واقفاً يحدق فىَ من الرصيف.

كان رجلاً حليق اللحية، وكان نصف جسده يلفه الظلام، وكان يمسك بمظروف فى يده.

"ماذا تريد؟".

"لدى شىء لك يا سيادة الملازم. الأمر عاجل. لابد أن أسلم لك هذا بصورة شخصية".

من هو؟ مجرد عامل توصيل؟ ايرغب فى إكرامية؟ ومن خلفى تصاعد صوت صفارة المايكروويف لتعلمنى بأن عشائى صار جاهزًا.

صممت قائلة: "اتركه فى صندوق البريد أمامك".

قال الرجل: "بمقدورى فعل هذا، لكنك قلت بنفسك على شاشة التلفاز" هل يعرف أحدكم هذا الرجل؟" أتذكرين؟".

سألته قائلة: "*اتعرفه؟*".

"بل أنا هو. أنا من ارتكب تلك الجريمة!".

الفصل ٢٠

انتابتنى لحظة من الدهشة والارتباك.

هل يقف سفاح العبارة على عتبة بابى؟

ثم عدت لصوابى.

صحت قائلة له: *"سانزل لك حالاً"*.

سحبت مسدسى من جرابه المعلق على ظهر أحد المقاعد، ثم ثبت القيود الحديدية فى حزامى، وبينما كنت أنزل الدرج من الطابق الثانى متجهة إلى الباب الأمامى فى الطابق الأرضى قمت بالاتصال بجاكوبى على هاتفى الخلوى وأنا أعلم جيدًا أننى لا أستطيع انتظار وصوله.

قد يحدث تبادل لإطلاق النار، لكن إذا كان الرجل الواقف على الباب هو ألفريد برينكلى حقًا، فلا يسعنى أن أدع تلك الفرصة تمر دون اقتناصها.

كنت أشهر مسدسى فى يدى وأنا أفتح الباب بمقدار بوصتين، مستخدمة إياه كستار.

ثم صحت: *"ابق يديك حيثما أستطيع رؤيتهما"*.

بدا على الرجل التردد وعدم الاتزان؛ حيث خط للخلف نحو الشارع ثم للأمام نحو الممشى الأمامى لمنزلى. كانت عيناه تجولان فى كل مكان، ولاحظت أنه كان يدندن بأغنية ما بصوت خفيض.

يا إلهى، إنه مجنون، وخطير حقًا. ترى أين مسدسه؟

صحت فيه مجددًا: "ارفع يديك. ولا تحرك ساكنًا".

توقف الرجل عن الحركة ثم رفع يديه وكان يلوح بالمظروف الذى كان يحمله فى يده كأنه علم.

ألقيت نظرة سريعة على وجهه محاولة مقارنة ملامح وجهه بالصورة العقلية التى تخيلتها للقاتل. لقد قام هذا الشخص بحلاقة لحيته، لكنه فعل هذا بصورة سيئة؛ حيث لا تزال هناك بقايا داكنة للشعر على وجهه الشاحب.

فيما عدا ذلك كان شكله يطابق الصورة تمامًا. كان طويلاً نحيلاً يرتدى ملابس مشابهة، إن لم تكن مطابقة ، لتلك الملابس التى كان يرتديها القاتل والتى رأيتها منذ حوالى ستين ساعة.

هل هذا هو ألفريد برينكلى حقًا؟ هل يمكن لذلك القاتل السفاح أن يأتى إلى باب منزلى بنفسه؟ أم هل هذا نوع آخر من المجانين الساعين نحو الشهرة؟

خطوت إلى الرصيف الذى يضيئه ضوء القمر وأنا أقبض على مسدسى بكلتا يدى، وأصوبه نحو صدر الرجل، وعندما اقتربت منه اجتاحتنى رائحته القذرة التى تدل على عدم استحمامه منذ فترة طويلة.

قال لى وهو يحدق فى قدميه: "إنه أنا، لقد قلت إنك تبحثين عنى. لقد رأيتك على شاشة التلفاز فى متجر الفيديو".

صحت فيه: "انبطح أرضًا، ضع وجهك قبالة الأرض، وشبك

أصابعك فوق رأسك بحيث أستطيع رؤيتها".

حرك قدميه مترنحا فصحت فيه: "*انبطح أرضًا، الآن*".

وبالفعل نزل إلى الرصيف ووضع يديه فوق رأسه.

ضغطت على فوهة المسدس في مؤخرة رأسه وبدأت تفتيش المشتبه به بيدى بحثًا عن أى أسلحة، بينما ظلت صور عملية القتل التى رأيتها فى شريط جاك رونى تتوالى فى عقلى طوال الوقت.

سحبت مسدسًا من جيب معطفه وأدخلته في حزامي وفتشته بحثًا عن أى أسلحة أخرى لكنى لم أجد.

وضعت مسدسى فى جرابه وسحبت القيود من حزامي.

سألته وأنا أكبل يديه بالقيود: "ما اسمك؟" ثم أمسكت بالمظروف الموضوع على الرصيف ووضعته فى جيبى الأمامى.

قال لى بصوت متهدج: "فريد برينكلى. أنت تعرفينني، لقد قلت لى أن آتى، أتذكرين؟" سوف نجد من ارتكب هذه الجريمة البشعة "هكذا قلت أنت، لقد دونت ما قلت".

توالت الصور التى رأيتها فى شريط جاك رونى على رأسى. لقد رأيت هذا الرجل يطلق الرصاص على خمسة أشخاص. لقد رأيته يطلق الرصاص على كلير.

سحبت محفظته من جيب سرواله بيد مرتعشة، ثم فتحتها ونظرت إلى رخصة القيادة الخاصة به على الضوء الخافت الذى يصدر من عمود الإضاءة الموجود فى الجانب المواجه من الشارع.

إنه هو ألفريد برينكلى حقًا.

لقد أمسكت به!

قرأت على برينكلى حقوقه لكنه تجاهلها وقال مجددًا: "أنا الذى ارتكبت الجريمة، أنا القاتل الذى كان على ظهر المعدية".

سألته: "وكيف عرفت مكانى؟".

أجابنى برينكلى قائلاً: "لقد كان عنوانك موجودًا على الإنترنت، فى المكتبة. هلا وضعتنى فى السجن؟ أعتقد أننى قد أكرر فعلتى مجددًا".

فى هذه اللحظة توقفت إلى جوارنا سيارة جاكوبى بصوت مكابح عالٍ، ثم خرج جاكوبى بسرعة من مقعد السائق حاملاً مسدسه فى يده.

"ألم تستطيعى انتظارى أيتها الملازم؟".

"إن السيد برينكلى متعاون يا جاكوبى. كل شىء تحت السيطرة".

لكن ما أراحنى حقًا هو رؤية جاكوبى ومعرفة أن الخطر قد انتهى. شعرت بالراحة تجتاحنى وشعرت بالرغبة فى أن أضحك وأبكى وأصرخ فرحًا، كل هذا فى نفس الوقت.

سمعت جاكوبى يقول: "عمل طيب". تنفست بعمق محاولة تهدئة نفسى بينما تعاونت أنا وجاكوبى على إيقاف برينكلى على قدميه.

وبينما كنا نجلسه فى المقعد الخلفى لسيارة جاكوبى، استدار برينكلى نحوى.

ثم قال وعيناه المجنونتان تجولان ووجهه يتغضن وهو ينفجر فى البكاء: "شكرًا لك أيتها الملازم، كنت أعلم أنك ستساعديننى حقًا".

الفصل ٢١

تبعنى جاكوبى إلى داخل مكتبى، كانت أعصابنا مشدودة بصورة هائلة. ولقد وقفنا إلى جوار طاولة المكتب نحتسى القهوة ونتحدث عما سنفعل بعد ذلك فى انتظار بدء استجواب برينكلى.

لقد اعترف برينكلى أنه قاتل المعدية، ولقد رفض الاستعانة بمحاميه، لكن الاعتراف المكتوب الذى أعطانيه كان مجرد هراء ليس له معنى بخصوص ضوء أبيض وأناس كالجرذان ومسدس من طراز باكى.

كان لابد من تسجيل اعتراف برينكلى بصورة رسمية بحيث نؤكد أنه حتى إذا كان برينكلى فى غير قواه العقلية وقت ارتكاب الجريمة، إلا أنه عاقل تمامًا الآن.

بعدما اتصلت بتراتشيو اتصلت بسيندى، والتى لم تكن مجرد صديقتى الحميمة، ولكن كانت ترأس قسم الجريمة فى

جريدة "كرونيكل"؛ وذلك لكى أعطيها ذلك السبق الصحفى بإلقاء القبض على برينكلى، ثم رحت أذرع الغرفة جيئة وذهابًا وعيناى معلقتان على عقارب الساعة فى انتظار وصول تراتشيو.

وبحلول الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة تم أخذ بصمات الفريد برينكلى والتقاط صور له واستبدل بملابسه التى كان يرتديها ملابس السجن؛ وذلك حتى يتم إخضاع ملابسه لفحوص إذا ما كانت هناك آثار لدماء أو طلقات نارية.

طلبت من برينكلى أن يسمح بأخذ عينة من دمه وفسرت له قائلة: "أود التأكد من أنك لست واقعًا تحت تأثير الكحوليات أو المخدرات عندما تدلى باعترافك".

قال برينكلى وهو يشمر كمه: "لا تقلقى، لست كذلك".

والآن كان برينكلى ينتظرنا فى حجرة الاستجواب رقم اثنين، أى داخل ذلك الصندوق الذى توجد به كاميرا الفيديو المعلقة التى تدور طوال الوقت تقريبًا.

انضممت وجاكوبى إلى برينكلى فى الحجرة ذات الأرضية الرمادية وجلسنا على مقعدين إلى المائدة المعدنية ذات الخدوش قبالة القاتل مباشرة.

كان جلدى يقشعر كلما نظرت إلى ذلك الوجه النحيل الشاحب.

وتذكرت ما قاله لى.

"أنا الذى ارتكبت الجريمة!".

الفصل ٢٢

كان برينكلى متوترًا، وكانت ركبتاه تتحركان فى عصبية وترتطمان بالجانب السفلى من المائدة، وقد جلس عاقدًا رسغيه المكبلين بالأغلال حتى يتمكن من العبث بشعر ذراعه.

سألته: "سيد برينكلى، هل تفهم أن لديك الحق فى التزام الصمت؟". أومأ بالإيجاب فأعدت تكرار حقوقه عليه وعندما سألته: "هل تفهم حقوقك كلها؟" أجابنى: "أجل".

وضعت أمامه إقرارًا بالحقوق وقام هو بالتوقيع عليه، وفى حجرة المراقبة الواقعة خلف الزجاج سمعت صوت أزيز المقعد، كما تناهى لسمعى الهدير الخفيف لكاميرا الفيديو فوقنا. كان تسجيل المحادثة مستمرا.

"أتعلم فى أى يوم من أيام الأسبوع نحن؟".

أجابنى: "الاثنين".

"أين تسكن؟".

"محطة بارت، وفى متاجر الكمبيوتر، وأحيانًا فى المكتبة".

"أتعلم أين أنت الآن؟".

"مبنى وزارة العدل، ٨٥٠ شارع بريانت".

"ممتاز يا سيد برينكلى، والآن، هل يمكن أن تخبرنى ما إذا كنت قد سافرت على متن المعدية "ديل نورتيه" يوم السبت الماضى، أى يوم قبل أمس؟".

"أجل، لقد فعلت. لقد كان يوماً لطيفاً. لقد وجدت التذكرة حينما كنت فى سوق المزارعين. لا أعتقد أن استخدامى لتلك التذكرة كان جريمة، أم أنها كذلك؟".

"هل أخذتها من شخص ما؟".

"كلا، لقد وجدتها ملقاة على الأرض".

قال جاكوبى لبرينكلى: "سوف نتجاوز هذه النقطة، اتفقنا؟".

كان برينكلى أكثر هدوءًا الآن، وقد بدا بالفعل أصغر من عمره الحقيقى. ومما أدهشنى أنه بدا بالفعل ذا مظهر طفولى، بل بدا وديعًا، كما لو كان هو الضحية.

وفكرت فيما سوف تفكر به هيئة المحلفين. هل سيجدون أنه يستحق تعاطفهم؟

هل سيجدونه "غير مذنب" لأنه يبدو لطيفاً ولأنه مجنون كذلك؟

قلت له: "وفى رحلة العودة يا سيد برينكلى....".

"يمكنك أن تنادينى بفريد".

"حسناً يا فريد، بينما كانت "ديل نورتيه" ترسو فى سان فرانسيسكو، هل أخرجت مسدسك وقتلت بعضاً من الركاب؟".

قال بصوت متهدج: "كان لابد لى من فعل هذا" ثم أضاف فى جهد: "كانت الأم .... اسمعى، لقد فعلت شيئاً سيئاً. أعلم ذلك، وأريد أن تتم معاقبتى".

سألته فى إصرار: "هل قتلت هؤلاء الأشخاص رمياً بالرصاص؟".

"أجل، لقد فعلت ذلك. لقد أرديت تلك الأم وطفلها. وكذلك هذين الرجلين، وتلك المرأة الأخرى التى كانت تنظر إلى كما لو كانت تعلم ما كان يدور فى رأسى. إننى آسف حقاً، لقد كنت أمضى وقتاً طيباً حقاً حتى ساءت كل الأمور".

"لكنك خططت لإطلاق النار منذ البداية، أليس كذلك؟" هكذا سألته وأنا محتفظة بهدوئى، بل إننى كنت أمنح برينكلى أيضاً ابتسامة مشجعة، وأضفت: "أليس صحيحاً أنك كنت تحمل مسدساً محشواً؟".

قال برينكلى: "إننى أحمل مسدسى معى دوماً. لكنى لم أرد أن أؤذى هؤلاء الأشخاص. إننى لم أعرفهم. إننى حتى لم أظن أنهم بشر حقيقيون حتى رأيت شريط الفيديو ذلك على التلفاز".

سأله جاكوبى: "حقا؟ لماذا إذن أطلقت الرصاص عليهم؟".

حدق برينكلى فوق رأسى فى المرآة ذات الزجاج المزدوج وقال: "لقد أمرتنى الأصوات بهذا".

هل ذلك حقيقى؟ أم هل يقوم برينكلى بتمثيل دور المجنون من الآن؟

سأله جاكوبى عن ماهية الأصوات التى يتحدث عنها، لكن برينكلى امتنع عن الإجابة، وأخفض ذقنه فوق صدره وهو يدمدم قائلاً: "أريدكم أن تضعونى فى السجن، هلا فعلتم؟ أريد أن أحظى ببعض النوم".

قلت: "أنا متأكدة أننا سنجد لك زنزانة خالية فى الطابق العاشر".

ثم طرقت الباب فدخل الرقيب سيف هول لحجرة الاستجواب ووقف خلف السجين.

قلت بينما كنا نقف: "سيد برينكلى، إنك متهم بقتل أربعة أشخاص والشروع فى قتل شخص آخر، إضافة لحوالى أربع عشرة تهمة أقل درجة، احرص على الحصول على محام ماهر".

قال برينكلى لى وهو ينظر فى عينى لأول مرة: "شكراً لك؛ إنك إنسانة محترمة، وأنا أقدر حقاً كل ما فعلته من أجلى".

الفصل ٢٣

كانت الصحيفة موضوعة أمام باب منزلى صبيحة اليوم التالى، وعلى رأس الخبر الذى كتبته سيندى كان هناك عنوان مكتوب بخط عريض يقول: "القبض على سفاح المعدية".

وحينما وصلت إلى مبنى وزارة العدل وجدت زمرة من مراسلى الصحف فى انتظارى.

"ما هو شعورك أيتها الملازم؟".

قلت مبتسمة: "شعور رائع، على أفضل ما يكون".

أجبت عن أسئلتهم وامتدحت فريقى، وابتسمت لكى تلتقط لى بعض الصور قبل أن أدخل المبنى وأستقل المصعد إلى الطابق الثالث.

ولدى دخولى إلى قاعة الفرقة دقت بريندا على جرس صغير تحتفظ به على مكتبها محيية إياى ثم نهضت وعانقتنى. وفى

الجانب الآخر من الغرفة كانت هناك باقة من الزهور موضوعة على مكتبى.

قمت بتجميع الفريق وشكرت الجميع على مجهوداتهم، وحينما سألنى المحقق ليمك إذا ما كنت أنوى إعطاء دروس فى كيفية اجتذاب القتلة وجعلهم يسلمون أنفسهم، انفجرنا ضاحكين.

وقال: "إننى أواصل الربت على مقدمة أنفى لكى يحدث هذا، لكنه لا يجدى".

صاح رودريجيز قائلاً: "عليك أن تربت على أنفك وتعقد ذراعيك وترمش بعينيك فى نفس الوقت!".

بعد ذلك وبينما كنت أصب لنفسى بعض القهوة فى حجرة الطعام استعداداً للخوض فى كومات الأوراق والتقارير التى تحتل نصف مساحة مكتبى، أطلت بريندا برأسها من فرجة الباب وقالت لى: "رئيس الشرطة يطلبك على الخط رقم واحد".

ذهبت إلى مكتبى وأزحت باقة كبيرة من الزهور موضوعة عليه، وألقيت نظرة على البطاقة الملصقة عليها فوجدتها مرسلة من جو؛ ذاك الرجل الرائع.

كانت الابتسامة مرتسمة على وجهى وأنا أضغط الرقم المضىء على هاتفى، وجاءنى صوت الرئيس وهو يطلب منى أن أصعد إليه فى مكتبه.

قلت له: "دعنى أقم بتجميع الفريق"، لكنه رد قائلاً: "كلا، فلتأتى بمفردك".

أعلمت بريندا أننى سوف أعود بعد عدة دقائق وارتقيت السلم نحو مكتب تراتشيو المكسرة جدرانه المصنوعة من ألواح خشب الجوز والواقع فى الطابق الخامس.

وقف الرئيس ليحيينى فور دخولى، ومد لى يده المكتنزة من فوق مكتبه ليصافحنى وهو يقول: "إن قبضك على هذا المخبول

جعل هذا يوماً سعيداً علينا فى قسم شرطة سان فرانسيسكو. أود أن أشكرك مجدداً على عملك الرائع هذا أيتها الملازم".

قلت له: "أشكرك سيدى الرئيس، وشكراً على مساندتك لى"، ثم تأهبت للانصراف ، لكننى لمحت نظرة إحراج على وجه الرئيس، نظرة لم أر مثلها على وجهه من قبل.

أشار لى بالجلوس وجلس هو الآخر ثم تأرجح مقعده إلى الأمام والخلف على الأرضية المصنوعة من الأكريليك لمرتين ثم عقد يديه أمام صدره، وقال:

"ليندس، لقد توصلت إلى قرار صعب على اتخاذه بشدة".

أتراه سيخولنى المزيد من السلطة؟

أم سيزيد من ميزانية العمل الإضافى؟

"لقد تابعت بنفسى كيف توليت أمر هذه القضية، ولقد انبهرت بمدى المهارة والتصميم اللذين أظهرتهما خلال هذا التحقيق".

"أشكرك...".

"وعلىّ أن أعترف أنك كنت محقة بينما كنت أنا مخطئاً".

محقة بخصوص ماذا يا ترى؟

كان عقلى يعمل فى سرعة محاولة استباق كلماته ولو حتى بنصف ثانية، لكنى فشلت.

أكمل تراتشيو حديثه قائلاً: "كما قلت لى من قبل، إنك تحبين العمل فى الشارع، وليس عمل المكاتب الرتيب، ولقد فهمت هذا الآن. فهمته أخيرًا. وبكل بساطة أقول إننى أدركت أخيراً أن العمل المكتبى الإدارى ما هو إلا مضيعة لموهبتك".

حدقت فى الرئيس وهو يضع شارة على المكتب أمامى ويقول:

"تهانئى لك أيتها الملازم؛ لقد أنزلت رتبتك إلى درجة رقيب!".

الفصل ٢٤

فجأة انتابتنى حالة من الدوار المزوج بعدم التصديق.

كنت لا أزال أسمع تراتشيو وهو يتحدث، لكن بدا كما لو أن مكتبه قد غاص للوراء فى الحائط وأنه يتحدث إلىّ من بعيد.

"سوف تقدمين تقاريرك لى مباشرة، وبالطبع سوف تحتفظين براتبك الحالى ...".

كنت أصرخ داخل عقلى قائلة: *"أنزل فى الرتبة؟ هل تنزل أنت رتبتى؟"*.

أمسكت بحافة مكتبه حيث كنت بحاجة لشىء أستند عليه. ورأيت تراتشيو يغوص فى مقعده. وكان التعبير المرتسم على وجهه يخبرنى بأنه كان مندهشا من رد فعلى، تماماً كما اندهشت أنا مما أعلمنى به للتو.

"ما الأمر يا بوكسر؟ أليس هذا ما أردت؟ لقد ظللت تلحين على لشهور و....".

"كلا، أعنى نعم. لقد فعلت. لكن لم أتوقع أن...".

"بالله عليك يا بوكسر. ماذا تحاولين إخبارى؟ لقد قضيت الليل كله أذلل العقبات لحدوث ذلك الأمر لأن هذا هو ما قلت إنك تريدينه".

هممت بقول شيء ما لكنى تراجعت ثم تمتمت قائلة: "امنحنى بعض الوقت حتى أتمكن من استيعاب هذا الأمر، اتفقنا؟".

قال تراتشيو: "إننى أستسلم"، ثم أمسك بالدباسة وضرب بها على سطح مكتبه وأضاف: "أنا لا أفهمك، ولا أعتقد أننى سأفهمك مطلقاً، أنا أستسلم يا بوكسر!".

لا أذكر كيف أو متى غادرت مكتب الرئيس، لكنى أتذكر الرواق الطويل الذى مشيته نحو الدرج تعلونى ابتسامة متوترة على وجهى كلما هنأنى الناس وأنا أمر بمكاتبهم.

كان عقلى يدور فى دوائر مغلقة.

ما الذى دهانى؟

وما هذا الذى كنت أريده؟

وجدت طريقى إلى أسفل الدرج ومضيت مستندة على الحاجز وأنا أشق طريقى نحو غرفة الفرقة، وعندئذٍ شاهدت جاكوبى قادماً فى الاتجاه المعاكس.

"لن تصدق ما حدث معى للتو يا وارين".

قال لى: "دعينا نخرج من هنا أولاً".

نزلنا السلالم حتى الطابق الأرضى وصولاً إلى شارع بريانت واتجهنا نحو محل الزهور.

وبينما كنا نمشى قال جاكوبى: "لقد اتصل بى تراتشيو بالأمس"، نظرت إليه فى اهتمام. لقد كنا أنا وجاكوبى مقربين ولم نكن نخفى عن بعضنا أية أسرار، لكنى لمحت الألم المرتسم على ملامح وجهه، وهو ما أربكنى كثيراً.

"لقد عرض على منصباً يا ليندس، منصبك أنت. لكنى قلت له إننى لا أستطيع قبوله إلا إذا كنت لا تمانعين".

كانت الأرض ترتج تحت قدمى بفعل مترو الأنفاق الذى يدخل إلى المحطة الآن، لكنى شعرت وكأن هناك زلزالاً يضرب الأرض تحت قدمى.

كنت أعلم أنه من الحرى بى أن أقول: *تهانئى لك، إنه اختيار صائب بحق، سيكون المنصب ملائماً لك بالفعل يا جاكوبى.*

لكنى لم أستطع أن أنطق بهذه الكلمات.

قلت فى وهن: "أريد بعض الوقت لكى أفكر يا جاكوبى، وسوف آخذ باقى اليوم إجازة".

"بالتأكيد يا ليندس، لن يفعل أحد أى شيء بدون...".

قاطعته: "ربما آخذ يومين".

"توقفى يا ليندس! تحدثى معى".

لكنى ذهبت.

عبرت الطريق غير مبالية بإشارات المرور متجهة نحو سيارتى ثم أخرجتها من ساحة الانتظار؛ ثم وقفت متجهة من شارع بريانت صوب الشارع السادس، ومنه اتجهت نحو الشارع الجنوبى رقم ٢٨٠، متجهة نحو بوتريرو هيل.

أخرجت هاتفى الخلوى من حزامى وطلبت رقم هاتف جو الخلوى بينما كنت أقود السيارة، وأخذت أستمع لجرس الهاتف بينما كنت أقود سيارتى الفورد اكسبلورو.

كانت الساعة الآن الواحدة ظهراً فى واشنطن.

أجب الهاتف يا جو!

استمر الهاتف فى الرنين إلى أن أجاب البريد الصوتى، فتركت له رسالة قلت فيها: "فلتتصل بى يا جو".

بعدها اتصلت بمستشفى سان فرانسيسكو العام.

وطلبت من عامل التحويل أن يوصلنى بغرفة كلير.

الفصل ٢٥

كنت آمل أن أسمع صوت كلير، لكن كان إدموند هو من أجاب الهاتف. وكان بادياً من صوته أنه قضى ليلة أخرى نائماً على مقعده.

سألته مقاومة تلك الغصة في حلقي: "كيف حالها؟".

أجابني: "إنهم يجرون لها أشعة رنين مغناطيسي أخرى".

قلت له: "أبشر كلير أننا قد أمسكنا بالقاتل، وأنه اعترف، وهو مسجون حاليا".

ثم أخبرته أنني سوف أحادث كلير لاحقاً، ثم طلبت جو ثانية في مكتبه لكنني وجدت البريد الصوتي مجدداً، فحاولت الاتصال به في المنزل.

لكني وجدت البريد الصوتي في المنزل أيضاً.

توقفت عند إشارة المرور الموجودة في الشارع الثامن عشر، ورحت أنقر بأصابعي فوق عجلة القيادة في صبر نافد، وبمجرد تحول الإشارة للون الأخضر ضغطت على دواسة البنزين.

تداعت إلى عقلي ذكرى قديمة ـ ذلك اليوم الذي ترقيت فيه لرتبه ملازم، وكان ذلك في أعقاب القبض على "قاتل العروسين"، وهو قاتل مجنون يستحق بالتأكيد مكانته في قائمة أكثر عشرة مجرمين فاسدين. في ذلك الوقت كنت أرى أن ترقيتي لرتبة الملازم لها مغزى سياسي؛ حيث لم يسبق لامرأة أن تبوأت هذا المنصب من قبل. لقد رحبت بالأمر وتركتهم يعلقون الشارة الفضية على صدري دون حتى أن أعرف ما إذا كانت السلطات والمسئوليات التي تفرضها الوظيفة هي ما أريد حقاً.

وأظن أنني مازلت أجهل ذلك.

لقد طلبت فعلاً أن أعود للعمل في الشارع، وبالطبع لم يسهل على تراتشيو فهم رد فعلي. والواقع أنه حتى أنا لا أستطيع فهم رد فعلي.

لكن أحياناً لا تدرك كيف يكون حال أي شيء حقاً إلا عندما تصير فيه.

وهذا الكلام عن التقارير المباشرة التي سأرفعها إلى تراتشيو ما هو إلا هراء.

لقد تم تخفيض رتبتي.

هل سأقدر على تلقي الأوامر من جاكوبي؟

لقد قال لي: "إنني قلت له إنني لا أستطيع قبول المنصب إلا إذا كنت لا تمانعين".

كم كنت بحاجة للحديث مع جو!

أمسكت بالهاتف ثانية من المقعد المجاور وضغطت زر إعادة الرقم، وأعاد صوت جو في الرسالة المسجلة لي العديد من الذكريات؛ الرحلات الرائعة التي قمنا بها معًا، أوقاتنا السعيدة

معاً، تلك الأشياء الصغيرة التى أعشقها فى جو - كل تلك اللحظات التى كنت أقدرها بحق لأنى كنت أجهل متى سيمكننى رؤيته مجددًا.

أغلقت الهاتف دون أن أترك له رسالة، ثم اتصلت بالرقمين الآخرين لجو، لكن لم يختلف الرد.

أوقفت سيارتى فى ساحة الانتظار، وسحبت مكابح اليد، وجلست فى سكون، محدقة فى الفراغ، متمنية أن يكون جو معى الآن.

وفجأة خطرت لى فكرة لامعة!

مهلاً، بمقدورى أن أكون معه بالفعل!

الفصل ٢٦

كان شكلى مختلفاً عن باقى من حولى فى صالة الانتظار؛ حيث كان جميع الركاب من الرجال الذين يرتدون سترات رمادية وربطات عنق حمراء أو زرقاء، عداى أنا. كنت مرتدية بلوزة صفراء من الكاشمير ذات فتحة عنق على شكل حرف V وسروالاً ضيقا من الجينز إضافة إلى سترة صوفية تصل حتى خصرى. كنت قد صففت شعرى على شكل هالة حول رأسى ولاحظت أن الرجال كانوا يسترقون النظرات إلى مما رفع من معنوياتى كثيرًا.

وبينما كنت فى انتظار صعودى إلى الطائرة رحت أراجع بعض الأشياء فى عقلى؛ التأكد من أن الفتاة التى سترعى كلبتى مرثا تمارس عملها بالفعل، أننى وضعت مسدسى وشارتى فى خزانة الملابس وأحكمت إغلاقها. أننى تركت هاتفى الخلوى فى سيارتى. فى الواقع كان تركى لهاتفى الخلوى فى سيارتى أمرًا مبالغًا فيه، وكان الأمر لا يحتاج إلى طبيب نفسى ليخبرنى بأن

تخلصي من هاتفي الخلوي مؤقتاً بهذه الصورة كان يعني أنني أردت التخلص من كل ما يربطني بوظيفتي الآن.

كنت أسافر دون حقائب سفر، فقط أحضرت بضعة أشياء؛ قلم أحمر الشفاه وتذكرة الذهاب والعودة الخاصة بدرجة رجال الأعمال إلى مطار ريجان ناشونال والتي أعطاها لي جو مصحوبة بنسخة من مفاتيح شقته ومرفق بهما ملحوظة تقول: "*هذا هو جواز مرورك إلى جو في أي وقت تشائين، قبلاتي لك، جو*".

شعرت بالحمق قليلاً وأنا أصعد على متن الطائرة، ولم يكن مرد هذا أنني تركت ورائي خلافاً عويصاً غير منتهٍ فقط، لكن كان هناك أمر آخر يقلقني.

لقد فاجأني بالزيارة مرات عديدة من قبل، لكنني لم أذهب إليه قط دون إخطار مسبق.

وبمجرد إقلاع الطائرة جعلت مقعدي في وضعية الاستلقاء ورحت في النوم، ولم أستيقظ إلا على نداء الطيار وهو يعلن عن هبوطنا الوشيك في واشنطن العاصمة.

وبمجرد خروجي من المطار أوقفت سيارة أجرة وأعطيت السائق العنوان الواقع في شمال غرب واشنطن.

بعد نصف ساعة كانت السيارة تقف بي إلى جوار الشجيرات والنافورات بالمجمع السكني الفاخر الذي يأخذ شكل حرف (L) والمدعو مجمع كينيدي دارين. وبعدها بدقائق كنت واقفة على أرضية الردهة الخاصة بالجناح التاريخي والمفروشة بالسجاد الوثير، وأضغط على جرس باب جو.

حسناً، ها أنا ذا.

لم يجب أحد، فعاودت دق الجرس. بعدها أولجت المفتاح الأول في الثقب السفلي لقفل الباب، ثم استخدمت المفتاح الثاني لفتح المزلاج وانفتح الباب.

صحت منادية: "جو؟" بينما كنت أخطو في الردهة المظلمة، وعاودت النداء بينما كنت أقترب من المطبخ.

وسألت نفسي: "أين جو؟".

لِمَ لا يجيب على أي من هواتفه؟

كان المطبخ يفضي إلى غرفة فسيحة جذابة تستخدم كغرفة طعام وغرفة معيشة في نفس الوقت، وكان الضوء القادم من النافذة البعيدة ينعكس على الأرضية المصنوعة من الخشب القوي، وفي نهاية تلك الغرفة كانت هناك شرفة.

ولفت نظري أن الأثاث ذا الكساء الوثير والأرضية ذات الخشب القوي كانا في حالة ممتازة من حيث النظام والنظافة.

لكن كاد قلبي يتوقف عندما نظرت ثانية.

حيث كانت هناك امرأة جالسة على الأريكة، وقد أولت وجهها نحو النافذة وهي تقرأ في مجلة، ومن أذنيها كان يتدلى سلكان أبيضان خاصان بجهاز الآي بود الذي تسمعه.

سمرتني الصدمة في مكاني.

ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة.

الفصل ٢٧

تسارعت دقات قلبى وأنا أدقق النظر فى تلك المرأة الجالسة على الأريكة، والتى كانت تضع على منضدتها القهوة وجوارها شطيرة وقدحاً من الشاى.

نظرت إلى البلوزة السوداء التى ترتديها، والسروال الرياضى، وشعرها الأشقر الكثيف الذى كانت تعقده خلف رأسها، وقدميها الحافيتين.

شعرت بجسدى مخدراً، باستثناء تلك الرعشة الخفيفة فى أطراف أصابعى. *هل كان جو يحيا حياة أخرى بينما كنت أنا فى سان فرانسيسكو منتظرة اتصالاته وزياراته؟*

ظهر الغضب على ملامحى، والخزى أيضاً. لم أعرف ما إذا كان علىَّ أن أصرخ غاضبة، أم أفر هاربة من الخزى؟

كيف تأتى لجو أن يفعل ذلك؟

لمحت المرأة انعكاس صورتى على زجاج النافذة، فألقت بالمجلة جانبًا ووضعت يديها على وجهها وبدأت فى الصراخ.

صحت فى وجهها: "من أنت بحق الجحيم؟".

ردت على بصرخة مماثلة: "ومن أنت؟" وقد تناثر شعرها من عقدته وهى تنزع أسلاك سماعات الآى بود من أذنيها.

قلت لها: "أنا صديقة جو!" وكم شعرت بالضآلة وقتها وتمنيت أنى لو كانت شارتى معى لأريها إياها، أى شىء أريها إياه.

ما الذى فعلته يا جو؟

قالت لى وهى تثب من على الأريكة وتتقدمنى إلى المطبخ: "أنا ميلدا، وأنا أعمل هنا، حيث أنظف منزل السيد موليناري".

ضحكت، ليس بسبب طرافة الموقف، بل بسبب الصدمة التى شعرت بها.

ثم أخرجت بطاقة شخصية من جيب سروالها ووضعتها أمامى لأراها.

لكنى لم أكن أركز عليها، حيث كانت تتوالى فى رأسى صور عن الأحداث التى وقعت فى الأيام القليلة الماضية.

والآن سبب وجود تلك المرأة المفاجئ إثارة لكل تلك المشاعر المضطربة التى كنت أخفيها داخلى.

قالت وهى تغسل الأطباق التى كانت تستخدمها: "لقد أنهيت عملى مبكراً وفكرت فى أن بإمكانى الجلوس والاسترخاء لعدة دقائق، أرجوك لا تخبريه عما حدث، اتفقنا؟".

أومأت فى وهن وقلت لها: "بالطبع لن أخبره".

قالت وهى تغلق الصنبور: "سأرحل الآن، لا أريد أن أتأخر عن اصطحاب طفلى، سأذهب الآن".

أومأت لها بالموافقة.

عبرت إلى الردهة وفتحت باب الحمام، ثم فتحت خزانة الأدوية، وتفحصت العلب والزجاجات الموجودة بها بحثاً عن أى طلاء أظافر أو أدوات تجميل أو أى أغراض نسائية أخرى.

لم أجد شيئًا من هذا، فذهبت نحو غرفة النوم الواسعة المغطاة أرضيتها بالسجاد والتى تطل على ساحة المحكمة. وفتحت باب خزانة ملابس جو، ونظرت إلى الأرضية بحثاً عن أى أحذية نسائية، ومرَّرت يدى على الرف، فلم أجد أى بلوزات نسائية أو تنورات. *ما هذا الذى افعله؟*

من المفترض أننى أعلم جو جيدًا، أليس كذلك؟

اتجهت صوب الفراش وكنت على وشك أن أقلب حاشية الفراش لأتفحص الأغطية، لكنى لمحت الصورة الموضوعة على المنضدة الصغيرة المجاورة للفراش. كانت صورة لى أنا وجو والتى التقطت منذ ستة أشهر في ساوث ليتو؛ حيث كانت يده موضوعة على كتفى وقد عصف النسيم بشعرى مسدلاً إياه على وجهى. وكان العشق بادياً علينا.

وضعت يدىَّ على عينىَّ.

كم كنت أشعر بالخزى، وبدأت أجهش بالبكاء، فوقفت فى غرفة نوم جو وطفقت أبكى.

ثم غادرت شقته وعدت لفورى إلى كاليفورنيا.

الجزء الثانى

الفتاة ذات العينين البنيتين

الفصل ٢٨

مشت ماديسون تايلر وهي تتقافز على الخطوط المرسومة على الرصيف، ثم أسرعت بالعودة إلى مربيتها وأمسكت بيدها وهما يمشيان معًا نحو منتزه ألتا بلازا، ثم قالت ماديسون: "هل سمعتني يا باولا؟".

احتضنت باولا ريتشي يد هاديسون الصغيرة في يدها.

أحياناً لا تفهم باولا كلام هذه الفتاة الذي يسبق سنها بكثير.

"بالطبع سمعتك يا عزيزتي".

قالت الفتاة بلهجة مضحكة وهي تتشبه بالكبار في طريقة كلامهم: "وكما كنت أقول لك، حينما أعزف مقطوعة بيتهوفن "باجاتيل" فإن النغمات الأولى تتبع نمطاً متصاعدًا، وهي تبدو مثل السلم الأزرق...".

ثم راحت تدندن بتلك النغمات.

وأضافت: "وفى الجزء التالى، حينما أعزف سى. دى. سى، تأخذ النغمات اللونين الوردى والأخضر فالوردى مجدداً".

"أنت إذن *تتخيلين* أن النغمات لها ألوان؟".

قالت البنت الصغيرة فى صبر: "كلا يا باولا، إن النغمات ألوان بالفعل، ألا ترين تلك الألوان حينما تغنين؟".

قالت باولا: "كلا، أعتقد أننى مربية ساذجة لا أكثر".

قالت ماديسون وعيناها البنيتان تشرقان بفعل ابتسامتها الساحرة: "لا أعرف معنى كلمة ساذجة هذه، لكنها تبدو مضحكة".

ضحكا بشدة وكانت ماديسون تضع ذراعها حول وسط باولا وهى تدفن وجهها فى معطف المربية الشابة، بينما تمران بمدرسة والدورف الخاصة على بعد شارعين تقريباً من منزل ماديسون.

همست ماديسون قائلة لباولا: "إنه يوم السبت، لست مضطرة حتى إلى النظر للمدرسة اليوم".

الآن صار المنتزه على بعد شارع واحد، وحينما رأت ماديسون الحوائط الحجرية المحيطة به شعرت ماديسون بالإثارة وغيرت الموضوع قائلة:

"أمى تقول إنه يمكننى أن أحصل على كلب من فصيلة ليكلاند تيريير حينما أكبر"، ثم أضافت وهما يعبران شارع ديفيساديرو: "وسوف أسميه وولفجانج".

قالت لها باولا وهى تركز على عبور الشارع بأمان: "يا له من اسم كبير لكلب صغير". لكنها لم تلحظ تلك الشاحنة السوداء الصغيرة التى تقف فى سكون إلى جوار سور المنتزه؛ حيث كانت الشاحنات السوداء الغالية شائعة الوجود فى منطقة باسيفيك هايتس مثلها مثل الغربان.

طرحت باولا ذراع ماديسون، وقفزت الفتاة الصغيرة على الرصيف، لكنها توقفت بغتة حينما رأت شخصاً يخرج من الشاحنة ويتجه بسرعة نحوهما.

قالت ماديسون لمربيتها: "من هذا يا باولا؟".

قالت باولا مخاطبة الرجل القادم من الشاحنة: "*ما الخطب؟*".

"لقد وقعت حادثة بالمنزل. لابد أن تأتيا معى الآن. لقد سقطت والدتك من على السلالم يا ماديسون".

تراجعت ماديسون لتقف خلف ظهر مربيتها وصاحت قائلة: "لقد قال لى والدى ألا أركب مع غرباء! وأنت بالفعل تبدو غريباً فى نظرى".

أمسك الرجل بالفتاة الصغيرة كما لو كان يحمل كيساً من الحبوب، وألقى بها فى المقعد الخلفى للشاحنة الصغيرة بينما كانت تصرخ: "النجدة! اتركنى".

ثم قال لباولا وهو يصوب مسدساً نحو صدرها: "اركبى معها".

"إما أن تركبى معها أو تقبليها قبلة الوداع!".

الفصل ٢٩

بمجرد عودتنا، أنا وريتشي كونكلين، إلى مقر الفرقة، بعد قضاء صباح كئيب حققنا فيه في جريمة قتل على الطريق، استدعانا جاكوبى إلى مكتبه.

عبرنا الأرضية المغطاة بالسجاد الرمادى وصولاً إلى المبنى ذى الحوائط الزجاجية وجلسنا؛ حيث استند كونكلين على خزانة الكتب، وهو المكان الذى كان جاكوبى معتادًا على الجلوس فيه، بينما جلست أنا على الكرسي المجاور لمكتب جاكوبى وأنا أشاهد جاكوبى يجلس في ارتياح على الكرسي الذى كان لى فيما مضى.

كنت أحاول التكيف مع تطورات الأحداث، ونظرت حولى متأملة الفوضى التى أحدثها جاكوبى فى المكان فى زمن لا يتعدى الأسبوعين: حيث الجرائد المكدسة على الأرضية وعتبة النافذة، ورائحة الطعام التى تفوح من سلة المهملات.

قلت له: "يا لك من أحمق يا جاكوبى، إنك تتصرف مثل الحيوانات في الحظيرة".

ضحك جاكوبى، وهو شيء فعله في الأيام القليلة الماضية أكثر مما فعله خلال العامين الماضيين، وعلى الرغم من كبريائى الجريح، إلا أننى سعدت لأن جاكوبى لم يعد يغضب بسرعة كسابق عهده.

إنه شرطي رائع بحق، ويجيد إدارة أصعب الأمور، وبدأت في مغالبة نفسى على طريق استعادة حبى وتقديرى السابقين له.

سعل جاكوبى بضع مرات، ثم قال: "لدينا حادثة اختطاف".

وأضاف: "إن قسم التحقيقات يتولى الأمر منذ بضع ساعات، لكن ظهر شاهد ما جعلنا نعتقد أنه ربما توجد جريمة قتل في القضية كذلك، وسوف ننسق أمر التحقيق مع الملازم جاكلين".

صدر صوت أزيز خفيف من جهاز الكمبيوتر عندما قام جاكوبى بتشغيله، وهو شيء لم يعتد فعله مطلقًا قبل أن يحصل على منصبه الجديد، ثم أخرج أسطوانة من بين كومة المهملات التى تغطى مكتبه وأولجها بحركة غير سلسة فى محرك الأقراص الخاص بالكمبيوتر.

وقال: "فتاة صغيرة في الخامسة من عمرها، وقد كانت في طريقها إلى المنتزه بصحبة مربيتها في التاسعة من صباح اليوم عندما تم اختطافهما. المربية اسمها باولا ريتشي، وهى قادمة من كريمونا، إيطاليا ومعها تصريح عمل، والطفلة تدعى ماديسون تايلر".

سألته: "أهى من عائلة تايلر، أصحاب جريدة كرونيكل؟".

"أجل، إن هنرى تايلر هو والد الفتاة الصغيرة".

"هل قلت إن هناك شاهدًا على حادثة الاختطاف؟".

"أجل يا بوكسر. امرأة كانت تقوم بتمشية كلبها الشنوزر قبل ذهابها للعمل، رأت شخصًا يرتدى معطفًا رماديًا يخرج من

شاحنة سوداء خارج منتزه ألتا بلازا فى شارع سكوت".

سـأله كـونكلين: "مـاذا تقـصد بكلمـة "شـخص"؟ رجـلاً أم امرأة؟".

"كل ما استطاعت رؤيته هو ذلك الشخص المرتدى المعطف الرمادى، ولم تعلم تحديداً ما إذا كـان رجـلاً أم امرأة لأنـه كـان يوليها ظهـره ولم تنظر نحـوه إلا للحظـة واحـدة، كمـا أنهـا لم تستطع التعرف على نوع السيارة، وقالت إن الأمر كله حـدث بصورة سريعة للغاية".

سألته: "وما الذى يجعلنا نعتقد فى وجود جريمة قتل؟".

"قالـت الـشاهدة إنـه بمجـرد تحـرك الـسيارة فـى شـارع ديفيزاديرو سمعت طلقة نارية، ثم شاهدت الـدماء تتنـاثر علـى الزجاج الخلفى للشاحنة".

الفصل ٣٠

نقر جاكوبى بالفارة لعدة مرات، ثـم أدار الكمبيـوتر المحمـول نحوى أنا وكونكلين لكى نرى تسجيل الفيديو الذى كـان يعـرض على الشاشة.

وقال: "هذه هى ماديسون تايلر".

كانت الكاميرا مركزة على فتاة صغيرة شقراء وهى تخرج من وراء الستائر إلى خشبة مسرح، وكانت مرتدية رداء بسيطا من القطيفة الزرقاء الداكنة ذات ياقة حريرية، وجـوارب، وبنطـالاً من الجينز الأحمر الزاهى.

كانت بالفعل أجمل فتاة رأيتها على الإطلاق، وفـى عينيهـا كانت هناك نظرة ذكاء تجعلك تحجم عن مجرد التفكير فى أنهـا قد تكون طفلة مدللة.

امتلأ مكتب جاكوبى بصوت التصفيق بينما كانت الفتاة تتخذ مقعداً أمام بيانو كبير من طراز جراند شتاينواى.

بدأ التصفيق في الخفوت بينما بدأت هي في عزف قطعة موسيقية كلاسيكية لم أستطع التعرف عليها، لكنها كانت معقدة، ومن الواضح أن الفتاة لم تكن ترتكب أية أخطاء في عزفها.

أنهت عزفها بحركة مسرحية، وذلك بأن فردت كلتا ذراعيها على اتساعهما وضغطت بأقصى قوة على أصابع البيانو وهي تعزف آخر نغمات اللحن؛ مما استثار صيحات الاستحسان والتصفيق من الجمهور.

استدارت ماديسون نحو الجمهور وقالت: "سوف يتحسن عزفي في المستقبل حينما أكبر وتصبح ذراعاي أطول".

تعالت الضحكات المرحة من الحضور، وتقدم نحوها فتى في التاسعة من العمر وأعطاها باقة من الزهور.

قلت وأنا أحول عيني من ذلك التسجيل الخاص بماديسون تايلر: "هل تلقي الوالدين اتصالاً من الخاطفين؟".

رد جاكوبي قائلاً: "لا يزال الوقت مبكراً على ذلك، لكن الإجابة هي لا، لم يسمع الوالدان أي خبر من أي شخص، ولا حتى كلمة واحدة حول أي فدية حتى الآن".

الفصل ٣١

كانت سيندي توماس تعمل في حجرة المكتب التي أعدتها لنفسها في غرفة النوم الصغيرة الثانية الموجودة في شقتها الجديدة، وفي الخلفية تعالى صوت قناة "سي إن إن" بينما كانت سيندي منهمكة في كتابة تغطية جديدة لمحاكمة ألفريد برينكلي المرتقبة، وعندما دق جرس الهاتف إلى جوارها فكرت في عدم الرد عليه.

لكنها عندما لمحت الرقم المتصل أمسكت بالهاتف في سرعة.

ثم قالت: "سيد تايلر؟".

جاءها صوت هنري تايلر خاوياً غريباً لدرجة أنها تعرفت عليه بالكاد، وخطر لها للحظة أنه يداعبها، لكن هذا لم يكن أسلوبه المعتاد.

أرهفت السمع وهي تلهث وتقول: "كلا، آه .... كلا"، كانت تحاول بكل جهدها أن تسمع ذلك الرجل الذي كان يبكي وتضع

منه هذه الأفكار، حتى إنه كان يضطر لأن يطلب منها أن تعيد تكرار ما قاله لها للتو.

قالت مؤكدة: "كانت ترتدى معطفاً أزرق اللون؟!".

"أجل، معطفاً أزرق داكنًا، وكنزة حمراء وبنطالاً أزرق وحذاء أحمر".

قالت سيندى: "سأرسل لك بنسخة من المقال فى خلال ساعة، وآمل أنك بحلول ذلك الوقت ستكون قد عرفت من هؤلاء الأوغاد المبلغ المطلوب لاستعادة مادى، وسوف تستعيدها بكل تأكيد".

ودعت سيندى شريكها في جريدة كرونيكل ووضعت السماعة فى مكانها، وجلست ساكنة للحظات وهى تقبض فى قوة على جانبى المقعد وتترنح من شعور طاغ بالخوف. لقد قامت من قبل بتغطية حوادث اختطاف عديدة، وتعلم أنه إذا لم تتم استعادة الطفلة اليوم، ففرص استعادتها على قيد الحياة ستقل للنصف. وستنخفض فرص استعادتها للنصف ثانية إذا لم يتم العثور عليها فى اليوم التالى.

عادت بذاكرتها إلى آخر مرة رأت فيها ماديسون، وكان ذلك فى بداية الصيف حينما أتت الفتاة الصغيرة إلى المكتب بصحبة والدها.

ظلت ماديسون تدور فى الكرسى المقابل لمكتب سيندى لعشرين دقيقة وهى تكتب على لوح الاختزال متظاهرة بأنها مراسلة تقوم بعمل حوار مع سيندى بخصوص عملها.

"لِمَ يدعونه بـ "الموعد النهائى؟" هل تشعرين بالخوف حين تكتبين عن الأشرار؟ ما هى أسخف قصة كتبتها؟".

كانت مادى طفلة محبوبة ظريفة، لكنها لم تكن مدللة، وكم شعرت سيندى بالحزن لدى عودة سكرتيرة تايلر للمكتب حين قالت: "هيا يا ماديسون. الآنسة توماس أمامها عمل مهم".

قبلت سيندى الفتاة على خدها وهى تقول: "إنك فتاة ظريفة للغاية".

طوقت ماديسون عنقها بذراعيها وقبلتها هى الأخرى.

قالت سيندى وهى تودعها: "أراك لاحقاً فى قسم الأطفال"، وردت عليها ماديسون تايلر مبتسمة: "سأكون هناك".

الآن كانت سيندى تنظر فى شاشة الكمبيوتر الخاوية، وقد شلتها فكرة احتجاز ماديسون بين أيادى من لا يحبونها، وتتساءل ما إذا كانت تلك الفتاة الصغيرة مقيدة بداخل صندوق سيارة، إذا ما تم الاعتداء عليها، إذا ما كانت ميتة بالفعل.

أنشأت سيندى ملفاً جديداً على حاسبها، وبعد عدة بدايات غير ناجحة لمقال بدأت تشعر بالقصة تنساب بين أصابعها فكتبت: *"لقد تم اختطاف ابنة هنرى تايلر الشريك فى جريدة كرونيكل والبالغة من العمر خمسة أعوام هذا الصباح وهى على مسافة قريبة من منزلها..."*.

كانت تسمع صوت هنرى تايلر يتردد فى رأسها، وهو يقول بصوت مخنوق: "اكتبى القصة يا سيندى، وادعى الله أن تستعيد مادى قبل نشرها".

الفصل ٣٢

جلست يوكى كاستلينو على بعد ثلاثة صفوف داخل قاعة المحكمة العليا رقم ٢٢، منتظرة أن ينادى الحاجب على رقم القضية.

لم يكن مضى على التحاقها بمكتب المدعى العام أكثر من شهر، وعلى الرغم من أنها كانت تعمل مسبقاً كمحامية دفاع فى إحدى شركات المحاماة الكبرى لعدة سنوات، إلا أنها وجدت فى التحول نحو جانب الادعاء أمراً أكثر تحدياً وإثارة وواقعية عن الترافع عن العملاء المرفهين فى قضاياهم المدنية البسيطة.

لقد كان هذا ما أرادت تمامًا.

ولم يكن زملاؤها السابقون يصدقون مدى استمتاعها بحياتها الجديدة، على الجانب المظلم.

كان الغرض من جلسة اليوم هو تحديد موعد لبدء محاكمة ألفريد برينكلى، وكان بمكتب المدعى العام مساعدون تكون وظائفهم هى أن يتولوا مثل تلك الإجراءات البسيطة.

لكن يوكى لم تكن ترغب في توكيل أحد فى هذه القضية، ولم تكن تريد تفويت لحظة منها.

ولقد تم اختيارها بواسطة كبير المدعين، لونارد باريزى؛ لكى تكون مساعدته الثانية فى هذه المحاكمة، والتى بها أهمية كبرى ليوكى. لقد قتل ألفريد برينكلى أربعة أشخاص. ومن حسن الحظ أنه لم يقتل كلير واشبورن كذلك، وهى إحدى صديقاتها المقربات.

نظرت عبر الصفوف، متجاوزة المدمنين والمعتدين، وأمهاتهم وصديقاتهم، نحو محامى الدفاع العموم وهم يتشاورون مع موكليهم.

وأخيراً وجدت محامية الدفاع العامة المدعوة بإبرا بلانكو، والتى كانت تتحدث همساً مع قاتل المعدية. كانت بلانكو امرأة ذكية والتى كانت تأمل، مثلها، فى استغلال قضية ألفريد برينكلى لمصلحتها المهنية.

كانت بلانكو قد دفعت فى الجلسة التمهيدية بأن موكلها "غير مذنب" وكانت تأمل بالتأكيد فى نزع الشرعية عن الاعتراف الذى أدلى به فى جلسة المحاكمة، وهى تنوى الادعاء بأن برينكلى كان غير عاقل أثناء ارتكابه الجريمة وأنه يخضع للعلاج، وسوف تبذل جهدها حتى لا تجعله يحاكم جنائياً، وأن يتم إيداعه فى مصحة عقلية بدلاً من ذلك.

حسناً، دعها تحاول.

نادى الحاجب على رقم القضية، وتسارع نبض يوكى بينما كانت تغلق حاسبها المحمول وتسير نحو منصة القاضى.

سار ألفريد برينكلى فى هدوء خلف المحامية، وكان بادياً عليه الهدوء أكثر مما كان فى الجلسة التمهيدية، وهو ما سيكون فى صالحها بالطبع.

فتحت يوكى البوابة الخشبية القصيرة التى تفصل بين القاعة ومنصة القاضى ووقفت هناك إلى جانب بلانكو وبرينكلى وهى تنظر فى عينى القاضى نورمان مور الزرقاوين.

نظر نورمان نحوهم فى سرعة ثم خفض عينيه على الأوراق الموضوعة أمامه.

"حسناً، ما رأيكم فى أن نسرع بميعاد المحاكمة ونجعلها فى يوم الاثنين الموافق السابع عشر من نوفمبر؟".

قالت يوكى: "الادعاء يوافق على هذا الموعد يا سيادة القاضى".

لكن كان لبلانكو رأى آخر؛ حيث قالت: "سيدى القاضى، إن للسيد برينكلى تاريخ طويل من المرض العقلى، وينبغى أن يتم تقييم حالته العقلية لمعرفة مدى أهليته للخضوع للمحاكمة".

خفض مور يديه على سطح المنصة وتنهد وهو يقول: "حسناً آنسة بلانكو، لقد عادت دكتورة شارلين إيفردت من إجازتها ولقد أخبرتنى هذا الصباح أن لديها بعض الوقت المتاح. وسوف تقوم هى بإجراء تقييم عقلى لحالة السيد برينكلى".

ثم حول عينيه نحو يوكى قائلاً: "هل يوافقك هذا يا آنسة كاستيلانو؟".

"كلا سيادة القاضى؛ فالغرض من هذا هو التأجيل لا أكثر"، هكذا ردت يوكى بأسلوبها السريع المقتضب وأضافت: "إن محامية الدفاع تريد تحويل انتباه الرأى العام عن القضية؛ وذلك حتى يتلاشى تركيز الإعلام على القضية. والآنسة بلانكو تعلم يقينًا أن السيد برينكلى مؤهل تماماً للمحاكمة. لقد قتل أربعة أشخاص، وسلم نفسه بإرادته، واعترف بمحض إرادته، وعليه

فالادعاء يرغب في إجراء محاكمة سريعة...".

"أنا أعلم تماماً ما يريده الادعاء آنسة كاستيلانو"؛ حيث قاطعها القاضى مواجهاً كلامها الشديد المتسارع بتأنٍ وهدوء، ثم أضاف: "لكننا سوف نحصل على تقرير سريع من دكتورة إيفردت؛ حيث لا ينبغى أن يستغرق الأمر أكثر من عشرة أيام. وأعتقد أن بمقدور الادعاء أن يصبر لهذه المدة القصيرة، أليس كذلك؟".

قالت يوكى: "أجل سيدى"، وبينما كان القاضى ينادى على القضية التالية استدارت يوكى مغادرة قاعة المحكمة عبر الردهة، ثم مروراً بالباب المزدوج للقاعة.

استدارت يميناً، عبر الردهة الرخامية الداكنة متجهة نحو مكتبها وهى تأمل أن ترى الطبيبة التى عينتها المحكمة لفحص الحالة العقلية للمتهم نفس الحقيقة التى تراها هى وليندس.

قد يكون ألفريد برينكلى مخبولاً، لكنه من الناحية القانونية ليس مجنوناً.

إنه قاتل متعمد ارتكب أربع جرائم قتل، وقريباً، إذا سارت الأمور على ما يرام، سوف يثبت الادعاء الجريمة عليه.

الفصل ٣٣

ألقيت بالمفاتيح إلى كونكلين، ثم فتحت الباب المقابل لباب السائق والخاص بسيارة الفرقة.

وبينما كنا نسير في شارع بريانت كان كونكلين يصفر في عصبية. مضينا شمالاً عبر الشارع السادس لبعض الوقت ثم اتجهنا إلى شارع هاركت ومنه شمالاً نحو باسيفيك هايتس.

قال لى: "إذا كان هناك شيء فى هذا العالم قد يجعل المرء لا يرغب فى إنجاب أطفال، فهذا هو".

"وماذا إلا؟".

"وإلا رغبت فى إنجاب قبيلة من الأبناء".

تحدثنا قليلاً عن عمليات الاختطاف، وما إذا كانت هناك جريمة قتل حقا، وإذا ما كان للمربية دور فى عملية الاختطاف.

قلت له: "إنها موجودة داخل المنزل، وبمقدورها أن تعرف كل ما يجرى داخل المنزل. كم من الأموال يملكون. تحركاتهم

المعتادة. وإذا ما كانت ماديسون تثق بها، ستكون عملية الاختطاف سهلة للغاية".

قال كونكلين: "لماذا إذن توجب قتل المربية؟".

"حسنًا، ربما لم يعد لوجودها فائدة تذكر".

"وسيقل عدد الأشخاص الذين سيقتسمون الفدية. وأيضاً سيكون لقتلها أمام الفتاة الصغيرة أثر بالغ".

تساءلت: "هل أطلقوا النار على المربية حقاً؟ أم على الفتاة الصغيرة؟".

صمتنا بينما كنا نمضى عبر شارع واشنطن. وهو أحد أجمل شوارع باسيفيك هايتى".

كان منزل آل تايلر يقع فى منتصف مجموعة من المبانى تحوطها الأشجار. كان مبنياً على الطراز الفيكتورى وحوائطه ذات اللون الأصفر الشاحب تزينها الحلى الموضوعة أسفل الأفاريز، وكانت النباتات تتكدس على جوانب أصص الزهور. كان ببساطة منزل الأحلام، إنه مكان لا يتخيل المرء مطلقاً أن الرعب قد يغزوه.

أوقف كونكلين السيارة بجوار الرصيف، وصعدنا الدرجات الحجرية الست المؤدية إلى الباب الأمامى.

رفعت القارعة النحاسية وتركتها تهبط على اللوحة المعدنية الموجودة بالباب المصنوع من خشب البلوط العتيق. كنت أعلم أنه بداخل هذا المنزل الجميل كان يوجد شخصان غارقان فى الخوف والحزن.

الفصل ٣٤

فتح لنا هنرى تايلر الباب الأمامى للمنزل وبدا وجهه شاحباً وهو يحاول التعرف على، فرفعت شارتى أمامه وقلت:

"أنا الرقيب بوكسر، وهذا هو المفتش كونكلين...".

قال لى: "أنا أعلم من تكونين، أنت صديقة سيندى توماس. من قسم *جرائم القتل*".

"هذا صحيح سيد تايلر، لكن أرجو ألا تتسرع.... فليس لدينا أى أنباء بخصوص ابنتك حتى الآن".

تقدمنا عبر الردهة المفروشة بالسجاجيد وصولاً إلى غرفة المعيشة الفخمة المفروشة على طراز القرن التاسع عشر، والمليئة بالتحف والسجاجيد الفارسية واللوحات المرسوم فيها أناس وكلابهم من الأوقات الماضية. كان هناك بيانو موضوع قبالة النافذة التى تتيح للناظر منها مشهدًا للخليج لا يقدر بثمن، ثم قال: "لقد حضر بعض المحققين إلى هنا من قبل".

دعانا تايلر للجلوس ثم جلس قبالتنا على الأريكة المكسوة بالقطيفة الفاخرة.

قلت له: "إننا هنا لأن الشاهدة على حادثة الاختطاف سمعت صوت طلق نارى".

"طلق نارى؟".

" لا يوجد ما يدعونا للاعتقاد أن ماديسون تعرضت لأى أذى يا سيد تايلر، لكننا بحاجة إلى معرفة المزيد من المعلومات عن ابنتك وعن مربيتها باولا ريتش".

دخلت علينا إليزابيث تايلر الحجرة، وكانت ترتدى رداءً من الحرير البنى الفاتح والصوف الناعم، كانت عيناها منتفختين ومحمرتين بفعل البكاء. جلست بجوار زوجها وأمسكت بيديه.

"لقد كانت الرقيب تخبرنى لتوها بأن المرأة التى شهدت حادثة اختطاف ماديسون سمعت *طلقاً نارياً*".

قالت إليزابيث تايلر: "آه، يا إلهى"، وهى تنكمش ملتصقة فى زوجها.

شرحت الموقف مجدداً، وأنا أبذل ما فى وسعى لتهدئة والدى مايسون، وقلت لهما إننا نعلم فقط أن هناك عيارًا ناريًا قد أطلق، وأغفلت تماماً ذكر الدماء التى رأتها الشاهدة تتناثر على الزجاج.

بعدما تمالكت تايلر نفسها، سألهما كونكلين إذا ما لاحظ أحدهما وجود أى شخص غريب فى الجوار.

قال تايلر: "لم ألحظ وجود شىء غير معتاد".

وأردفت إليزابيث: "إننا كجيران نحاول حماية بعضنا البعض، وإذا ما رأى أحد منا شيئاً مثيراً للريبة، لكان اتصل بالشرطة لفوره".

بعدها سألناهما عن تحركاتهما فى الأيام القليلة الماضية وعن عاداتهما وما هو موعد مغادرتهما المنزل المعتاد، وموعد خلودهما للنوم.

ثم قلت لهما: "أخبراني عن ابنتكما، ولا تغفلا ذكر أى شيء".

التمعت عينا السيدة تايلر للحظة، وقالت: "إنها طفلة صغيرة سعيدة للغاية، وهي تحب الكلاب، كما أنها عبقرية في الموسيقى".

قلت لها: "أجل، لقد رأيت تسجيل الفيديو؛ حيث كانت تعزف البيانو".

سألتني إليزابيث تايلر: "أتعلمين أنها تملك إدراكًا متزامنًا؟".

هززت رأسي في عدم فهم وقلت: "إدراكًا متزامنًا؟".

"عندما تسمع أو تعزف الموسيقى فالنغمات تتمثل لها على صورة ألوان، إنها فتاة رائعة بحق و....".

قاطعها هنري تايلر في نفاد صبر: "إنها حالة خاصة بجهازها العصبي، وليس لها علاقة بعملية اختطافها. لابد أن السبب هو المال. ماذا قد يكون غير ذلك؟".

سألته: "ما الذى يمكنك إخبارنا به عن باولا؟".

قال تايلر: "إنها تتحدث الإنجليزية ببراعة. ولقد بدأت العمل هنا منذ شهرين تقريباً، متى كان ذلك يا عزيزتي؟".

قالت السيدة تايلر: "في شهر سبتمبر، بعد مغادرة مالا إلى موطنها في سريلانكا مباشرة، لقد كانت باولا تملك توصيات جيدة، ولقد أحبتها مادى على الفور".

"هل تعلمان شيئاً عن أصدقاء باولا؟".

قالت السيدة تايلر: "كلا، لم يكن مسموحًا لها بإحضار أصدقائها للمنزل، وكانت تحصل على إجازة بعد ظهر يومي الخميس والأحد من كل أسبوع، ويؤسفني القول إننا لا نعلم ما كانت تفعله في هذه الأوقات".

قال تايلر: "لقد كانت تتحدث على هاتفها الخلوى كثيراً، لقد أخبرتني ماديسون بذلك، بالتأكيد كان لها أصدقاء. إلام تلمحين أيتها المحققة؟ أتعتقدين أنها خلف هذا الأمر؟".

"هل هذا الاحتمال وارد في نظرك؟".

قال تايلر: "بالتأكيد، لقد كانت على علم بطريقة معيشتنا، وربما رغبت في حياة مماثلة لحياتنا، أو ربما أقنعها شخص ما بمساعدته في هذه الفعلة؟".

قلت: "لا يمكننا استبعاد أى احتمال حالياً".

قال هنرى تايلر وزوجته تبكى في انهيار بجواره: "مهما يتطلب الأمر، وأياً كان من ارتكب هذه الفعلة، أرجو منكم فقط العثور على صغيرتي".

الفصل ٣٥

كانت الغرفة المخصصة لباولا ريتش فى منزل آل تايلر صغيرة وتحمل لمحة أنثوية. على الحائط المواجه لفراشها؛ حيث كان هناك ملصق للمنتخب الإيطالى لكرة القدم، وفوق مقدمة الفراش كانت هناك لوحة منسوجة يدويًا.

كان للغرفة ثلاثة أبواب رئيسية، أحدهما كان يقود إلى الردهة، والثانى يفضى للحمام، أما الثالث فكان يصل الغرفة بغرفة ماديسون.

كان فراش باولا مغطى بملاءة زرقاء من الشانيل، وكانت ملابسها معلقة بصورة منمقة فى خزانة الملابس؛ كنزات ذات ذوق راق وتنورات بسيطة وبلوزات إضافة إلى رف من السترات ذات الألوان المحايدة. وعلى أرضية الخزانة كان هناك صف من الأحذية الرقيقة إضافة إلى حقيبة جلدية سوداء معلقة على حامل مثبت إلى باب الخزانة.

فتحت حقيبة باولا وبدأت أفتش فى محفظتها.

طبقًا لرخصة القيادة الخاصة بها، كانت باولا تبلغ من العمر تسع عشرة عامًا.

"إن طولها خمس أقدام وتسع بوصات، وذات شعر بنى وعيون زرقاء ـ وهي تدخن".

هززت الحقيبة وأخرجت ثلاث سجائر من أحد الجيوب وقلت: "لكن هاتفها الخلوى ليس هنا ياريتش، لابد أنها قد أخذته معها".

فتحت أحد أدراج المزينة الخاصة بباولا بينما كان كونكلين يتفقد حقيبة مستحضرات التجميل.

كانت باولا تحتفظ بملابس داخلية قطنية لترتيبها أثناء أيام العمل، وكانت كذلك تحتفظ بملابس داخلية حريرية ذات ألوان جذابة لارتدائها فى أيام إجازاتها.

قلت: "فتاة شقية، لكن تفكيرها يعجبنى".

دخلت الحمام وفتحت خزانة الأدوية ونظرت إلى زجاجات سوائل الاستحمام وملطفات الجلد، ووجدت أيضًا علبة من الـ "أورثو تراى سايكلين"، وهى حبوب منع الحمل المعروفة.

مع من كانت تقيم علاقة؟

صديق لها؟ أم تراه هو هنرى تايلر؟

لن تكون هذه هى المرة الأولى التى تتورط فيها المربية مع رب الأسرة فى علاقة غير شرعية. هل هناك شىء مريب يجرى؟ ربما ساءت العلاقة بينهما؟

قال كونكلين: "هناك شىء أيتها الملازم، أعنى الرقيب".

فخرجت من الحمام.

وقلت له: "إذا لم تود مناداتي ببوكسر، فقط نادنى ليندس".

قال ووجهه الوسيم يشرح بابتسامة خفيفة: "حسنًا يا ليندس، إن باولا تحتفظ بدفتر مذكرات".

الفصل ٣٦

بينما كان كونكلين يتجه لتفتيش حجرة ماديسون بدأت أتصفح يوميات المربية.

كانت باولا تكتب مذكراتها بخط منمق، وكانت ترسم أشكالاً بجانب مذكراتها؛ وكان هذا أسلوبها الخاص لتوضح به ما كتبته.

وكانت تلك النظرة العابرة عبر صفحات المذكرات كافية لكي تكشف لى كم كانت باولا تحب الولايات المتحدة.

لقد أفاضت فى الحديث عن المقاهى والمتاجر الموجودة فى شارع فيلمور، وقالت إنها لم تستطع انتظار تحسن الجو حتى تخرج هى وصديقاتها، تمامًا كما كانت تفعل فى بلدها.

واستمرت لصفحات فى وصف الملابس التى شاهدتها فى المتاجر، واقتبست بعضًا من العبارات التى قالتها صديقاتها فى سان فرانسيسكو عن الرجال والملابس ونجوم السينما.

وعند الحديث عن أصدقائها وصديقاتها، لم تستخدم باولا سوى الحروف الأولية لأسمائهم، وهو ما جعلنى أخمن أنها كانت تدخن السجائر من نوع "إم إن" و"إل كيه" فى الليالى التى تخرج فيها معهم.

بحثت عن أى إشارة لهنرى تايلر، وبالفعل أشارت باولا إليه مرارًا، لكنها كانت تدعوه بـ"مستر بى".

ومع ذلك كانت تزخرف الحروف الأولى لشخص اسمه "جى".

وضعت باولا بجوار حرف هذا الـ "جى" رسومات لنظرات وتنهدات، لكنى استنتجت أنه بغض النظر عن حقيقة "جى" هذا، فإن باولا تتطلع لإقامة علاقة معه، وليست تقيم معه علاقة بالفعل.

كان الشخص المذكور مرارًا فى مذكرات باولا هى مادى. وعندئذٍ أدركت مدى حب باولا لهذه الطفلة؛ لدرجة أنها ألصقت بعضًا من رسومات ماديسون وقصائدها فى صفحات يومياتها.

لكن لم أجد أى إشارة عن أية خطط أو مواعيد أو انتقام.

أغلقت الكتيب الأحمر الصغير الخاص بباولا وأنا مؤمنة أنه ما هو إلا يوميات لفتاة مغتربة عن وطنها.

ربما تراها خططت لأمر اليوميات حتى تزرع فينا هذا الإحساس.

اصطحبنا هنرى تايلر نحو الباب وأمسك بذراعى وقال:

"أنا أقدر لك تبسيط الأمر لزوجتى لكنى أفهم سبب وجودك هنا. لابد أن شيئًا حدث لابنتى. أرجو منك إعلامى بكل التطورات أولاً فأولاً، وأنا أصر على أن تخبرونى بالحقيقة دومًا".

أعطيت لهنرى تايلر المفجوع رقم هاتفى الخلوى ووعدته بالاتصال به مرات عديدة خلال اليوم، وقام التقنيون بتركيب أجهزة تنصت وتتبع فى منزل تايلر ولخطوط الهاتف، وعندما

غادرنا أنا وكونكلين كان المحققون من قسم الجرائم الكبرى يملأون المنزل الواقع في شارع واشنطن.

وتوجهنا بعد ذلك إلى لتا بلازا؛ ذلك المنتزه التاريخي ذى المناظر الخلابة.

كان هناك رجال شرطة يجرون تحقيقاتهم فى المنتزه الذى كان يعج بالأطفال ومربياتهم وكلابهم الأليفة.

انضممت أنا وكونكلين إليهم، وبالفعل تم سؤال كافة المربيات والأطفال الذين كانوا على معرفة بماديسون، بما فيهم مربية كانت حروف اسمها الأولى هى "إم إى" وهى إحدى صديقات باولا المذكورة في اليوميات.

كانت مادلين تبكى وهى تخبرنا بمدى خوفها على كل من باولا وماديسون.

وقالت لنا: "يبدو وكأن كل الأمور قد انقلبت رأسًا على عقب، فلقد كان هذا المكان آمنًا! إنها فتاة لطيفة، وهى أكبر من سنها الحقيقى".

ولقد أخبرتنا أن المدعو "جى" فى مذكرات باولا هو جورج، لكنها لا تعرف اسمه بالكامل، وهو نادل فى مقهى رابسودى. لقد كانا يستلطفان بعضهما البعض، لكن مادلين كانت متأكدة من أنهما لم يخرجا سويًا حتى الآن.

وجدنا جورج هنلى وهو يرتب إحدى الموائد خارج مقهى رابسودى فى شارع فيلمور، وقمنا باستجوابه، وحاولنا سبر أعماقه، بل حاولنا ترهيبه، لكن كانت غريزتى تخبرنى بأنه لم يكن متورطًا فى حادثة الاختطاف أو القتل.

كان شابًا صغيرًا، مجرد شاب عادى، يحاول استكمال دراسته فى مدرسة مسائية، هادفًا إلى الحصول على درجة جامعية فى الفنون الجميلة.

مسح جورج يديه فى ميدعته، والتقط رخصة القيادة الخاصة بباولا من يدى، ونظر فى الصورة.

ثم قال: "آه بالتأكيد أعرفها؛ لقد رأيتها تأتى مرارًا بصحبة صديقاتها. لكنى حتى وقتنا هذا لا أعرف اسمها".

الفصل ٣٧

كانت الشمس فى طريقها للغروب على باسيفيك هايتس بينما كنا نغادر شقة أحد العمال ويدعى ويلى إيفانز، والتى كانت تعلو مرآب أحد جيران تايلر. كان إيفانز شخصًا مريبًا، وكانت أظافره قذرة بصورة لا تصدق، وكان يقتنى دستتين من البيوت الزجاجية المسكونة بالزواحف مثل الثعابين والسحالى. لكن على قدر ما كان ويلى إيفانز مثيرًا للشك، إلا أنه أثبت حضوره فى مكان آخر وقت اختطاف ماديسون وباولا.

أغلقت أنا وكونكلين معاطفنا وانضممنا لرجال الشرطة الذين يجولون فى الحى؛ حيث عرضنا صورًا لكل من باولا وماديسون على أصحاب المنازل الذين كانوا قد عادوا لتوهم من أعمالهم.

وبعد أن تسببنا فى إثارة الذعر للعديد من الأبرياء، خرجنا من بحثنا هذا خاوين الوفاض.

بعد عودتنا إلى مبنى وزارة العدل، قمنا بتدوين أفكارنا وملاحظاتنا فى تقرير، والذى ذكرنا فيه أمر تلك المقابلات التى

أجريناها وذكرنا كذلك أن عائلة ديفنيس، والتى تعيش فى المنزل المجاور لمنزل آل تايلر، كانوا فى إجازة قبل وقوع حادثة الاختطاف وحتى وقتنا هذا، وأنه لم يتم استجوابهم لهذا السبب، كما أوضحنا أن أصدقاء باولا ريتش كانوا يعتقدون أنها فتاة صالحة لأقصى حد.

كان شعورًا بالحزن يعترينى.

لقد قالت الشاهدة الوحيدة على حادثة الاختطاف لجاكوبى إنها قد سمعت صوت طلق نارى ورأت الدماء تتناثر على النافذة الخلفية للسيارة؛ وذلك فى التاسعة من صباح اليوم.

هل هذه دماء باولا؟

أم تراها دماء الطفلة التى قاومت وكان جزاؤها أن تلقت طلقة لإسكاتها؟

ودعت كونكلين وتوجهت صوب المستشفى.

حينما دخلت غرفة كلير، كانت كلير نائمة.

ففتحت عينيها وقالت: "مرحى عزيزتى"، ثم راحت فى نوم عميق. جلست إلى جوارها لدقائق معدودة مسترخية على الكرسى ذى الكساء الجلدى قبل أن أقوم لأقبل صديقتى على وجنتيها وودعتها مغادرة.

أوقفت سيارتى الفورد إكسبلورر فى بداية الشارع المنحدر على بعد عدة مبان من شقتى، ثم خرجت منها وأخرجت مفاتيحى، وعقلى يمتلئ بأفكار عدة بخصوص ماديسون تايلر، وشرعت فى المشى نحو شقتى.

كان على أن أغمض عينى وأفتحهما مرات عدة لأتأكد من أن ما أراه صحيح وأن هذه لم تكن هلوسة.

فقد كان جو جالسًا خارج شقتى فى انتظارى، كان جالسًا على درجات السلم يمسك بمقود مارثا بينما يضع ذراعه عليها.

الفصل ٣٨

فى اعتقادى أن جو لم يكن يعرف بأمر مغامرتى البائسة فى واشنطن، ولم يبد الوقت مناسبًا للخوض فى هذا الموضوع الآن.

"هل أطعمت مارثا؟"، هكذا سألته بعد أن لمته على غيابه.

تمتم قائلاً: "وقمت بتمشيتها كذلك، كما اشتريت دجاجًا مشويًا وبعض الخضراوات من أجلنا، وهناك علبة عصير موضوعة فى الثلاجة".

"قد يحدث يومًا ما أن أدخل شقتى وأجدك هناك فأطلق عليك النار بطريق الخطأ".

"لن تفعلى ذلك، أليس كذلك أيتها الشقراء؟".

تراجعت خطوة للخلف، وابتسمت فى وجهه وأنا أقول: "نعم، لن أفعل ذلك يا جو".

" أنت هى فتاتى".

صعدنا السلالم نحو شقتى وكانت مارثا تتقافز فى سعادة حولنا جاعلة إيانا نضحك بشدة لدرجة أننا أحسسنا بالتعب عند وصولنا للطابق العلوى.

الفصل ٣٩

جلس إلى جوارى فى سكون وقال:

"ما الأمر يا ليندس؟".

هززت رأسى نافية أن يكون هناك أى شىء، لكن جو أدار رأسى نحوه جاعلاً إياى أنظر فى عينيه الزرقاوين العميقتين.

قلت له: "لقد مر علىَّ يوم عصيب".

قال لى: "بالتأكيد. ليس هذا بجديد عليك. لكن حالتك المزاجية هى ما أراها غريبة".

شعرت بالدموع تندفع فى عينى، وهو ما أشعرنى بالإحراج. لم أكن أريد أن أبدى ضعفى أمام جو.

ليس الآن على أى حال.

قال: "تحدثى ـ يا شقراوتى".

اقتربت منه وقلت: "لا أستطيع تحمل هذا الوضع يا جو".

"أعلم هذا، أعلم كيف تشعرين، وأنا أود بالفعل أن أنتقل إلى هنا، لكن الوقت ليس ملائمًا لذلك".

تباطأت أنفاسى بينما كان يسهب فى الحديث عن أحوال الحرب الحالية وانتخابات العام القادم والتفجيرات التى حدثت فى المدن الكبرى وضرورة التركيز على الأمن القومى.

لكنى وسط حديثه هذا توقفت عن الاستماع وقمت من جانبه.

سألنى جو: "هل ستعودين؟".

أجبته قائلة: "هذا هو السؤال، هذا هو السؤال الذى دائماً أسأله لنفسى من أجلك".

بدت على جو الرغبة فى الاعتراض لكنى أوقفته قائلة: "دعنى أتحدث".

ثم جلست على حافة الفراش وقلت له: "على الرغم من الإحساس الطيب الذى أستشعره معك، إلا أننى أحس إحساسًا سيئًا كذلك، وهو معرفتى بأننى لا يمكننى الاعتماد عليك يا جو.

"ليند....".

"أنت تعلم أننى على حق؛ فأنا لا أعلم متى سوف أراك، وإذا ما كنت سأستطيع الوصول لك عندما أطلب هاتفك أم لا، وبعد ذلك تظهر هنا، ثم تختفى مجددًا، وتتركنى وحيدة، أفتقدك.

ليس لدينا وقت نقضيه سويًا، ونمارس حياة طبيعية. لقد تحدثنا مرارًا عن انتقالك إلى هنا، لكن كلانا يعلم أن ذلك مستحيل".

"ليندس، أقسم لك أن...".

"لا أستطيع انتظار الإدارة القادمة أو انتهاء الحرب، هل تفهمنى؟".

كان يجلس على الفراش إلى جوارى وعلى وجهه تعبير بالحب الغامر لدرجة أنه كان على أن أشيح بوجهى بعيدًا عنه.

"أنا أحبك يا ليندس، أرجوك دعينا لا نتشاجر. لابد أن أرحل فى الصباح".

وجدت نفسى أقول: "بل سترحل الآن يا جو، صدقنى أن كلامى هذا يفطر قلبى لكنى لا أريد منك أى وعود مجددًا. دعنا ننه هذه العلاقة، اتفقنا؟ إذا كنت تحبنى حقًا فدعنى وشأنى".

بعدما ودعت جو لدى الباب استلقيت على فراشى محدقة فى سقف الغرفة لوقت طويل، وقد اغرورقت عيناى بالدموع حتى أغرقت وسادتى، وفى نفسى ظللت أتساءل عما فعلته بنفسى.

الفصل ٤٠

فى مساء يوم السبت، حوالى منتصف الليل، كانت سيندى نائمة فى حجرة نومها فى شقتها الجديدة فى بلاكلى آرمز - وحيدة - وفجأة استيقظت على صوت امرأة تصرخ بأعلى صوتها بالأسبانية فى أحد الطوابق التى تعلو شقتها.

ثم سمعت صوت ارتطام باب، ثم صوت خطوات تجرى على الدرج، ثم أزيز أحد الأبواب، ثم صوت ارتطام باب مجددًا، هذه المرة قريبًا من شقة سيندى.

ربما كان هذا هو الباب المفضى للدرج؟

سمعت المزيد من الصراخ، وهذه المرة كان الصراخ قادمًا من الشارع، وتعالت أصوات رجال - حتى وصلت لنافذة شقتها الواقعة فى الطابق الثالث، تبعها صوت شجار.

انتابت سيندى بعض الأفكار بخصوص تلك الجلبة التى لم تحدث لها مثلها فى شقتها القديمة من قبل.

هل هى آمنة هنا؟

هل تلك الشقة، والتى كانت تعتبرها صفقة رابحة فى وقتها، آمنة للسكن حقًا؟

نحت الغطاء جانبًا وخرجت من غرفة نومها إلى غرفة المعيشة الرحبة وصولاً إلى الباب، ونظرت من خلال العين السحرية ـ لكنها لم تر أحدًا. أعادت تأمين إغلاق مزلاج الباب ثم عادت إلى مكتبها.

مرت بيدها على شعرها، ثم عقصته فوق رأسها ويداها ترتعشان.

ربما كان هذا هو نمط الحياة الليلية المعتاد عند جيرانها الجدد.

ربما تشعر بالفزع بسبب جريمة الاختطاف التى تكتب عنها للجريدة، فمنذ أن اتصل بها هنرى تايلر. وهى تبحر فى الإنترنت، لدرجة أنها قرأت معلومات لم تكن تعرف عنها شيئًا من قبل بخصوص آلاف الأطفال الذين يتم اختطافهم كل عام فى الولايات المتحدة.

ومعظم هؤلاء الأطفال يتم اختطافهم من قبل أفراد العائلة، ثم يتم العثور عليهم وإعادتهم لذويهم. ومع ذلك هناك عدة مئات من الأطفال كل عام يقتلون خنقا أو طعنًا أو يدفنون أحياء على يد مختطفيهم.

والغالبية العظمى من هؤلاء الأطفال كان يتم قتلهم خلال الساعات الأولى للاختطاف.

والاحتمالات ترجح أن اختطاف ماديسون تم على يد مبتز يسعى لفدية وليس قاتلا مجنونا مغتصبًا للأطفال. لكن المشكلة الوحيدة فى هذا السيناريو هو أنه يثير سؤالاً يسبب لها الرعب.

لماذا لم يتم الاتصال بآل تايلر حتى الآن طلبًا لفدية؟

كانت سيندى فى طريقها عائدة لغرفة نومها حينما سمعت صوت جرس الباب، فتجمدت فى مكانها وقلبها يتقافز بين

ضلوعها؛ فهى لا تعرف أحدًا فى هذا المبنى.

من ذا الذى يدق بابها إذن؟

دق جرس الباب مجددًا، بإلحاح.

لفت سيندى جلبابها حول جسدها واتجهت صوب الباب ونظرت من العين السحرية، لكنها لم تصدق ما رأته.

لقد كانت ليندس!

وكان شكلها مريعًا!

الفصل ٤١

كنت على وشك الانصراف حينما فتحت سيندى الباب، وكانت مرتدية ضمامة وردية اللون وشعرها معقوص فوق رأسها بواسطة شريطة مطاطية. لقد كانت تنظر إلى كما لو أنها ترى شبحًا.

سألتها: "أأنت بخير؟".

"أنا؟ أنا بخير يا ليندس، أنا أعيش هنا، أنسيت هذا؟ ما خطبك أنت؟".

"كنت لأتصل لو استطعت"، هكذا قلت لها وأنا أحتضنها محاولة انتهاز تلك اللحظة لأتمالك نفسي. لكن كان واضحًا أن سيندى لاحظت نظرة الصدمة المرتسمة على وجهي، وبكل صراحة لم يكن شكلها هي الأخرى على ما يرام، فأردفت: "لكنى لم أكن أعلم أننى سآتى إليك حتى وصلت بالفعل".

"ادخلى بالله عليك، اجلسى"، هكذا ردت علىّ، وهى تحدق فىّ بينما كنت متجهة صوب الأريكة.

قبالة الحائط كانت هناك أكوام مكدسة من الصناديق الكرتونية وحول قدمى كانت هناك أعداد كبيرة من شرائط الربط.

"ماذا حدث يا ليندس؟ فكما تقول يوكى إنك تبدين كما لو أن حافلة قد صدمتك".

أطلقت ضحكة واهنة وقلت لها: "هذا هو ما أشعر به حقًا".

"ماذا أحضر لك؟ شايًا؟ أم شيئًا آخر؟".

"شايًا من فضلك".

استرخيت على الأريكة وبعد عدة دقائق عادت سيندى من المطبخ، وجذبت كرسيًا صغيرًا وناولتنى قدح الشاى، وهى تقول: "تحدثى معى".

كانت سيندى ذات شخصية متناقضة إلى حد كبير؛ فمن الخارج هى تلك الفتاة الرقيقة المرتدية الملابس والشرائط الوردية، ولا تخرج من منزلها دون وضع أحمر الشفاه، وارتداء أجمل الأحذية، لكن بداخل تلك الفتاة الحبوبة كانت هناك شخصية عنيدة والتى لن تتركك حتى تخبرها بما تريد معرفته.

شعرت بالحماقة؛ فمجرد رؤية سيندى جعلت حالتى النفسية تتحسن بشدة، لدرجة أننى لم أعد أرغب فى الحديث عن جو.

"كنت أريد فقط أن أرى شقتك الجديدة".

"لن ينطلى علىَّ هذا الكلام".

"إنك عنيدة...".

"لا تلومينى أنا، بل لومى مهنتى التى علمتنى ذلك".

"وتفخرين بذلك".

"قطعًا".

"يالك من حقيرة!"، هكذا قلت وأنا أنفجر فى الضحك.

قالت لى: "هيا، أفصحى عن مكنون صدرك، أخرجى كل ما عندك".

"إن وصفك بالحقيرة كان أقصى ما عندى".

"حسنًا إذن، ما خطبك حقًا يا ليندس؟".

أخفيت وجهى وراء وسادة صغيرة، مخفية الضوء عن وجهى، وأحنيت رأسى، وتنهدت قائلة:

"لقد تركت جو".

نزعت سيندى الوسادة عن وجهى وقالت:

"إنك تمزحين، أليس كذلك؟".

"رحماك بى يا سيندى، وإلا سوف أتقيأ على سجادتك".

"حسنًا، حسنًا، لماذا إذن فعلت ذلك؟ إن جو شخص ذكى، وسيم، وهو يحبك وأنت تحبينه. ما خطبك إذن؟".

ضممت ركبتاى إلى صدرى وحوطتهما بذراعاى. وجلست سيندى بجوارى على الأريكة ووضعت ذراعها على كتفى.

شعرت وكأننى أتعلق بشجرة ضعيفة فى مواجهة فيضان كاسح. ولكم كنت أبكى كثيرًا فى الآونة الأخيرة، حتى خطر لى أننى أوشكت أن أفقد عقلى.

"خذى وقتك يا عزيزتى. أنا هنا معك، ولا يزال الليل طويلاً، أفصحى عما بداخلك".

بحت لها بكل شىء، عن رحلتى المحرجة إلى واشنطن العاصمة، وعن شعورى تجاه تلك العلاقة المتأرجحة التى تجمعنى مع جو وختمت حديثى قائلة: "الأمر مؤلم حقًا يا سيندى، لكننى فعلت الشىء الصحيح".

"ليس سبب كل ذلك هو شعورك بالحزن عندما لم تجديه فى منزله، ووجدت تلك الفتاة هناك، أليس كذلك؟".

"ليس كذلك على الإطلاق".

"يا إلهى يا ليندس، لم أقصد أن أجعلك تبكين. استلقى هنا، أغمضى عينيك".

ربتت سيندى علىّ حتى نمت على جانبى، ثم وضعت وسادة تحت رأسى، وبعدها بدقيقة جاءت ببطانية وغطتنى بها، وأطفأت الأنوار وربتت على متمنية لى نومًا هانئًا.

"لم ينته الأمر بعد يا ليندس، ثقى بى، لم ينته الأمر بعد".

غمغمت: "إنك أحيانًا ما تخطئين الحكم على الأمور".

قالت سيندى: "أتراهنيننى؟"، ثم قبلتنى على خدى وبعدها غرقت فى عالم الأحلام. استغرقت فى النوم بعمق حتى صحوت وضوء الشمس ينساب عبر زجاج نافذة شقة سيندى الشفاف.

جلست بصعوبة وأنزلت قدماى من على الأريكة، ورأيت ملحوظة تركتها سيندى على المائدة الصغيرة المقابلة للأريكة؛ حيث كان مكتوبًا فيها خرجت لشراء القهوة وبعض الكيك.

وعندها صدمتنى الحقيقة.

لقد كان جاكوبى وماكلين يجريان اجتماعًا مهمًا فى الثامنة صباحًا، وسوف يكون كل الضباط الذين لهم علاقة بقضية تايلر - ريتشى حاضرين هناك، *عداى أنا*.

كتبت ملحوظة سريعة لسيندى، وارتديت حذائى وأسرعت بالخروج من الباب.

الفصل ٤٢

نظر جاكوبى نحوى بينما كنت أمر بجواره، ومضيت حتى جلست على مقعد فى نهاية الحجرة. وحملق فىّ الملازم ماكلين للحظة بينما كان يعطينى ملخصًا لما حدث فى الاجتماع حتى الآن؛ حيث تقرر أن يتم استجواب بعض المتهمين السابقين فى جرائم الاعتداء على الأطفال نظرًا لغياب أى معلومات أخرى عن مكان اختفاء ماديسون تايلر وباولا ريتش.

بينما كنت أتجه أنا وكونكلين نحو سيارتنا بدأت أقرأ القائمة الموكلة لنا وقلت: "باتريك كالفين، مدين بجرائم اعتداء جنس، وخرج بإطلاق سراح مشروط بعد قضاء جزء من العقوبة بالسجن؛ وذلك إثر اعتدائه على ابنته ذات الأعوام الستة".

أدار كونكلين محرك السيارة وقال: "لا يمكننى تفهم هذا النوع من السلوك القذر أبدًا، فى الحقيقة لا أود أساسًا أن أتفهمه".

كان كالفين يعيش فى بناية سكنية مزخرفة بالجص على شكل حرف (U) تحتوى على عشرين شقة سكنية فى تقاطع شارعى بالم ويوسليد على حافة منتزه جوردان بارك والذى يبعد حوالى ميل ونصف عن مكان سكن ماديسون تايلر. وكانت سيارة كالفين التويوتا كورولا الزرقاء متوقفة فى الشارع.

كنت أشم رائحة لحم يطهى بينما كنا نعبر الباحة الأمامية وصولاً إلى المدخل، وبعدها صعدنا السلالم الخارجية وطرقنا بشدة على باب شقة كالفين المطلى باللون الأحمر الفاقع.

انفتح الباب وظهر من خلفه رجل أبيض أشعث الشعر لا يتجاوز طوله خمس أقدام وثلاث بوصات يرتدى منامة ذات قماش منقوش على شكل مربعات وجوارب بيضاء.

كان يبدو من مظهره وكأنه لا يتجاوز الخامسة عشرة، وكان شكله يدفعنى لسؤاله: "هل والدك موجود؟" لكن تلك الظلال الرمادية الشاحبة المتجمعة حول فكيه وآثار وشم السجون المرتسمة على براجمه أوضحت لى أن هذا هو بات كالفين السجين السابق.

قلت وأنا أريه شارتى: "هل أنت باتريك كالفين؟".

"ماذا تريدان؟".

قلت له: "أنا الرقيب بوكسر، وهذا هو المحقق كونكلين، ونود سؤالك بعض الأسئلة، أتمانع فى دخولنا؟".

"نعم أمانع، ماذا تريدان منى؟".

كان الأسلوب الذى اتبعه كونكلين فى تعامله معه بعد ذلك يتسم بالرفق، وهى صفة أحسده عليها. لقد رأيته من قبل وهو يستجوب القتلة المخبولين بكل رفق؛ حيث كان مثالاً للشرطى الطيب، كما أتذكر الطريقة التى اعتنى بها بتلك القطة المسكينة التى كانت فى شقة ألونزو.

قال كونكلين مخاطبًا إياه: "نعتذر لإزعاجك سيد كالفين، أعلم أن الوقت مبكر فى صباح يوم أحد، لكن هناك طفلة مفقودة وليس أمامنا متسع من الوقت".

"وما شأنى بكل هذا؟".

قلت له: "فلتعتد على هذا يا سيد كالفين؛ فأنت لا تزال ضمن فترة المراقبة و....".

صاح كالفين: "أنتما إذن تريدان أن تفتشا بيتى، هذا هو الأمر؟ إننا مازلنا فى بلد حر، أليس كذلك؟ وبالطبع ليس لديكما إذن تفتيش"، ثم بصق أرضًا وأضاف: "ليس معكما إلا هذا الهراء".

قال كونكلين: "إنك تبدى من الغضب أكثر مما قد يصدر عن رجل برىء، وهذا يجعلنى أتساءل".

انتحيت جانبًا بينما كان كونكلين يشرح له كيف أنه بمقدورنا أن نتصل بضابط المراقبة المسئول عنه والذى سيسمح لنا بدخول شقته، وأضاف كونكلين: "أو حتى بمقدورنا أن نأتى بإذن تفتيش، وعندئذ سنأتى بسيارتين بهما ميكروفونات وننادى عليك من الشارع ونفضحك أمام جيرانك".

سألته: "إذن... هل مازلت تمانع فى دخولنا؟".

واجه كالفين تقطيبة وجهى بنظرة غاضبة ثم قال: "ليس لدى ما أخفيه".

ثم انتحى جانبًا سامحًا لنا بالدخول.

الفصل ٤٣

كانت شقة كالفين مؤثثة بأثاث رخيص؛ حيث كان معظمه من الخشب الخفيف الفاتح، وفوق التلفاز كان هناك رف من الدمى، دمى كبيرة، وأخرى صغيرة، ودمى أطفال فى فساتين ملونة.

قال كالفين وهو يجلس فى مقعده: "لقد اشتريتها من أجل ابنتى، فى حال ما أرادت زيارتى".

سأله كونكلين: "كم عمرها الآن؟ ست عشرة سنة؟".

قال كالفين: "اصمت، فقط اصمت".

قال كونكلين: "حاذر على كلامك" ثم دخل غرفة نوم كالفين. وجلست أنا على الأريكة وفتحت مفكرتى.

حاولت أن أخرج من رأسى صورة تلك الفتاة المسكينة، التى صارت مراهقة الآن، والتى شاء حظها العاثر أن يكون هذا الحثالة أبًا لها، ثم سألت كالفين إذا ما كان قد رأى ماديسون تايلر.

"رأيتها في الأخبار بالأمس. إنها طفلة طريفة، جميلة لدرجة أن يود المرء لو يأكلها أكلاً، لكنني لا أعرفها".

"حسنًا"، هكذا رددت عليه وأنا أجز على أسناني وقلبي يموج بالخوف على ماديسون، ثم أضفت: "وأين كنت في التاسعة من صباح الأمس؟".

"كنت أشاهد التلفاز؛ فأنا متابع جيد لأحدث أفلام وبرامج الكارتون، فهذا يسهل عليَّ الحديث مع الفتيات الصغيرات، بالطبع أنت تعلمين ما أعني، أليس كذلك؟".

وبسبب طول البالغ خمس أقدام وعشر بوصات كان كالفين يصل لمستوى كتفي، كما كنت في حالة بدنية أفضل منه بكثير، وبدأت أرى في عقلي خيالات عنيفة تمامًا مثل تلك التي انتابتني عندما ألقيت القبض على ألفريد برينكلي، لقد كنت أضغط على نفسي كثيرًا، بدرجة تفوق الحد .....".

"هل يمكن لأحد أن يؤكد مكان تواجدك وقتها؟".

قال بات كالفين: "بالطبع، لِمَ لا تسألين تلك الدمى وسوف تخبرك بما تريدين".

انتفضت واقفة وجذبت كالفين من ياقته، مشددة الخناق على رقبته، ثم رفعته من على الكرسي وهو يطوح بذراعيه في الهواء ودفعته تجاه الحائط.

وسقطت الدمى.

وبينما كنت أضرب كالفين مجددًا خرج كونكلين من حجرة النوم، وتظاهر شريكي بأنه لم ير أي شيء غير عادي في وجهي ووقف مستندًا بصورة طبيعية على الباب.

شعرت بالفزع لمدى فقداني لأعصابي، وأصبح آخر شيء أريده الآن هو أن توجه ضدي شكوى باستخدام القسوة في التحقيق، لذا أفلت منامة كالفين من يدي.

قال كونكلين بصورة تلقائية: "إنها مجموعة صور جميلة يا

سيد كالفين، وكلها تصور فتيات صغيرات في منتزه ألتا بلازا".

نظرت إلى كونكلين، لقد تم اختطاف ماديسون وباولا من الشارع قبالة المنتزه بالضبط.

قال كالفين مدافعًا عن نفسه: "هل رأيت الكاميرا، إنها ذات دقة وضوح ٧ ملايين بيكسل، ومعدل تقريب ١٢ X، لقد التقطت تلك الصور من على بعد شارعين. أنا أعلم القواعد جيدًا، ولم أخرق أي قاعدة".

قال كونكلين لي: "في إحدى تلك الصور هناك فتاة صغيرة تشبه ماديسون تايلر أيتها الرقيب".

اتصلت بجاكوبي وأخبرته بأمر باتريك كالفين وأن لديه صورًا تحتاج للفحص بصورة أدق.

فقلت له: "نحتاج منك أن ترسل إلينا اثنين من رجال الدورية للبقاء مع كالفين ريثما أعود أنا وكونكلين ونحصل على أمر تفتيش".

"لا مشكلة في ذلك يا بوكسر، سأرسل لكما سيارة، لكنني سأدع موضوع استصدار إذن التفتيش لتشي وسيتولى هو إحضار كالنين".

قلت: "بإمكاننا تولي الأمر سيدي".

قال جاكوبي: "لا شك لدي في هذا، لكن مسئولين الأمن في محطة ترانسباي اتصلوا بنا بخصوص طفلة تطابق مواصفاتها مواصفات ماديسون تايلر".

"هل رآها أحد هناك؟".

"بل هي موجودة هناك بالفعل!".

الفصل ٤٤

كان مبنى محطة ترانسباى، والواقع على تقاطع شارعي فيرست ومسيشان، عبارة عن مبنى قديم أمامه ساحة مكشوفة بها مواقف للسيارات لها أسقف صدئة وجوانب خرسانية. وبداخل المبنى الرئيسى كانت أضواء الفلورسنت الشاحبة تتراقص ملقية بضوء خافت على هؤلاء المشردين الذين اتخذوا من ذلك المكان الكريه مأوى لهم.

وحتى فى وضح النهار كانت تلك المحطة منطقة كئيبة مخيفة. وشعرت برغبة قوية فى أن أجد ماديسون تايلر بسرعة وأخرجها من هذا المكان بأقصى سرعة.

نزلت أنا وكونكلين السلالم المفضية إلى الطابق السفلى للمحطة والذى كان عبارة عن مساحة مظلمة يشغل معظمها صف من مكاتب التذاكر ومكتب الأمن.

وخلف أحد المكاتب كانت هناك امرأتان سمراوان ترتديان سراويل وقمصانًا زرقاء داكنة معلقًا عليها شارة "خدمة أمن خاصة" تجلسان.

أريناهما شارتينا وسمحتا لنا بالدخول.

كان مكتب الأمن به جانبان من الزجاج والجانبان الآخران كانا مطليين باللون البنى الفاتح وكان به مكتبان وخزانتا ملفات غير متناسقتى الشكل ، وكان به ثلاثة أبواب للخروج ذات لوحات تحكم وماكينتان للمرطبات.

هناك، وبجوار مكتب مدير المحطة كانت هناك فتاة صغيرة ذات شعر أشقر ذهبى منسدل على كتفيها.

كان معطفها الأزرق مفتوح الأزرار، وكانت ترتدى كنزة حمراء وسروالاً أزرق اللون، *وكانت ترتدى فى قدميها حذاء أحمر اللون.*

شعرت بقلبى يخفق من الفرحة، لقد وجدناها أخيرًا.

ياإلهى، إن ماديسون بخير!

وقف مدير المحطة ـ وكان رجلاً فى الأربعينيات من العمر ذا شعر رمادى وشارب مماثل ـ لتحيتنا وقدم نفسه إلينا.

فقال وهو يصافحنا: "أنا فريد زيمر. لقد وجدنا تلك الفتاة الصغيرة وهى تتجول فى المكان وحدها منذ حوالى خمس عشرة دقيقة. أليس كذلك يا صغيرتى؟ لكنها لم تتحدث معى حتى الآن".

وضعت يداى على ركبتاى وانحنيت لأنظر فى وجه الفتاة.

كانت تبكى ولم أستطع أن أجعلها تنظر فى عينى.

كانت وجنتاها متسختين وكان أنفها يسيل منه المخاط. كانت شفتها السفلى منتفخة وعلى جانب خدها الأيسر كان هناك خدش واضح. نظرت نحو ريتش وقد تلاشت فرحتى بإيجاد ماديسون حية بفعل القلق بشأن ما قد تعرضت له.

بدا لى أنها فى حالة صدمة شديدة، وكنت أجد صعوبة فى مقارنة شكل وجهها مع شكل وجه تلك الفتاة المدهشة التى كانت تعزف البيانو فى تسجيل الفيديو.

انحنى كونكلين حتى صار في نفس مستوى الفتاة.

وابتسم قائلاً: "اسمي ريتش، هل اسمك مادى؟".

نظرت الفتاة لكونكلين وفتحت فمها وقالت: "ماا ـ دى".

لقد تعرضت تلك الفتاة لرعب شديد، هكذا خطر لي.

أمسكت بيديها الرقيقتين في يدى، وكانت يداها باردتين بينما تحملق فيَّ بشدة.

قلت في هدوء محاولة عدم إخافتها أكثر: "استدع الإسعاف، لقد حدث شيء لهذه الطفلة".

الفصل ٤٥

كنت وكونكلين نذرع الرواق المواجه لغرفة الطوارئ جيئة وذهابًا في قلق عندما جاء آل تايلر نحونا وعانقانا كما لو كنا جزءًا من العائلة.

كنت أشعر بالسعادة؛ فجزء كبير من تلك القصة المرعبة قد انتهى، وكنت آمل أنه بعد أن ترى ماديسون والديها أنها سوف تعود إلى رشدها. لقد كنت أريد أن أسألها العديد من الأسئلة، وأولها هو: "هل استطعت النظر جيدًا لوجه الشخص الذى اختطفك؟".

قلت لآل تايلر: "لقد كانت نائمة في آخر مرة تفقدتها. ولقد قال دكتور كولينز إنه سوف يعود لإلقاء نظرة أخرى عليها بعد حوالى ... عشر دقائق".

قالت إليزابيث تايلر بهدوء: "اعذريني لسؤال، لكن هل أوذيت مادى بأى صورة؟".

قلت لوالدة ماديسون: "إنها تبدو وكأنها مرت بمحنة قاسية، لكننا لم نجر لها فحصًا طبيًا شاملاً حتى الآن؛ حيث إننا بحاجة لموافقتكما على ذلك".

وضعت إليزابيث تايلر يديها على فمها وشرعت في البكاء.

"إنها لم تبح بأى شيء لأى شخص حتى الآن".

"ليس هذا من طبع مادى".

"ربما تم تهديدها بألا تتحدث وإلا تعرضت للإيذاء...".

"يا إلهى، هؤلاء المجرمون.....".

وبينما كنا ندخل غرفة الطوارئ قال تايلر: "لماذا يقدمون على اختطاف مادى ثم يطلقون سراحها دون أخذ فدية؟".

لم أجب عن السؤال لأننى لم أكن أريد الإفصاح عما فى داخلى:

إن المعتدين لا يريدون أخذ فدية. تنحيت جانبًا لأسمح لآل تايلر بالدخول لغرفة الطوارئ المحاطة بالستائر أمامى، وكنت أفكر فى مدى الفرحة التى ستشعر بها مادى عند رؤية والديها مرة أخرى.

ضغط هنرى تايلر على ذراعى برفق، وهمس قائلاً: "أشكرك". بينما كان يزيح الستائر، وبعدها سمعت إليزابيث وهى تنادى اسم ابنتها، ثم تصرخ فى جذع.

تحركت جانبًا بسرعة لأفسح لها الطريق وهى تجرى خارجة من الغرفة وتبعها هنرى تايلر ووقف أمامى ناظرًا فى عينى.

وقال ووجهه يتقد غضبًا: "أتعلمين ما فعلت؟ هذه الطفلة ليست ماديسون. هل تفهمين؟ هذه ليست ماديسون، ليست ابنتنا!".

الفصل ٤٦

عاودت الاعتذار بكل صدق لآل تايلر بينما كانا يصبان علىَّ جام غضبهما ثانية فى ساحة انتظار السيارات الخاصة بالمستشفى. بعد ذلك تركانى وأنا أشعر بالخزى ومرقت سيارتهما بجوارى تاركة علامات للإطارات على الأسفلت. رن هاتفى الخلوى المعلق بحزامى فأجبته.

كان المتصل هو جاكوبى حيث قال: "لقد اتصلت بنا سيدة وقالت إن ابنتها مفقودة، وهى تبلغ من العمر خمسة أعوام ولها شعر أشقر طويل".

كانت المتصلة هى سيلفيا برودسكى وكانت فى حالة هستيرية؛ حيث قالت إنها فقدت طفلتها، أليشيا، بينما كانت تتسوق، ولابد أن أليشيا تجولت بعيدًا عنها، ولقد أضافت السيدة برودسكى لعاملة الطوارئ أن ابنتها تعانى مرض التوحد.

لهذا إذن لم تكن أليشيا برودسكى تستطيع حتى التفوه بكلمة واحدة.

بعد مكالمة جاكوبى بقليل جاءت سيلفيا برودسكى للمستشفى واستعادت ابنتها، لكن كان ذلك بعد مغادرتى وكونكلين للمكان.

كنا فى سيارتنا مجددًا نناقش ما حدث، وكنت ألقى باللائمة على نفسى بخصوص ما حدث من تسرع وسوء فهم وقلت: "كان لابد أن أؤكد فى حديثى مع آل تايلر على أن هذه *ربما* تكون ابنتهم؛ فلم يكن لدينا وسيلة للتيقن من ذلك. لكننى قلت لهم إننا بحاجة لهما للتعرف على هوية الفتاة والتأكد من كونها ابنتهما، أليس كذلك؟ ألم تسمعنى يا ريتش وأنا أقول ذلك؟".

"لقد توقفا عن الاستماع بمجرد قولك" قد نكون عثرنا على ابنتكما"، لا يضر يا ليندس، لقد قالت الفتاة لنا إن اسمها هو مادى".

"حسنًا، أو ما شابه ذلك".

قال مصرًا: "كما أن هناك موضوع الحذاء الأحمر، فكم عدد الفتيات الشقراوات اللاتى فى الخامسة من عمرهن ويرتدين معاطف زرقاء وأحذية حمراء؟".

تنهدت قائلة: "اثنتان على الأقل!".

عدنا لمبنى وزارة العدل واستجوبنا كالفين لساعتين، وضغطنا عليه حتى لم يعد بوسعه الابتسام، وتفحصنا الصور الموجودة بالكاميرا الرقمية، كما تفحصنا الصور التى وجدناها بغرفة نومه.

لم تكن هناك أى صور تخص ماديسون تايلر، لكننا حتى آخر صورة فى كاميرا كالفين كنا محتفظين بأمل فى أن يكون قد صور جزءًا من عملية الاختطاف.

وأن يكون قد التقط صورة لتلك الشاحنة السوداء.

لكن مؤشر الذاكرة أوضح أنه لم يتم التقاط أى صور لمنتزه التا بلازا بالأمس.

كان كالفين يثير اشمئزازى، لكن لم يكن القانون يعتبر إثارة الشعور بالقرف جرمًا يستحق العقاب؛ فأطلقنا سراحه.

قمت أنا وكونكلين باستجواب ثلاثة معتدين مسجلين آخرين فى ذلك اليوم، ثلاثة رجال بيض عاديين، لا يمكن للمرء أبدًا أن يميزهم وسط الجموع على أنهم معتدون على الأطفال.

وتم التأكد من حجج غياب الرجال الثلاثة.

وأخيرًا أنهينا العمل فى حوالى السابعة مساءً وكنت أشعر أننى استنفدت كل طاقتى.

دخلت شقتى وألقيت بذراعى حول عنق مارثا ووعدتها بأننى سأصطحبها للتمشية بعدما آخذ حمامًا لأنعش نفسى.

كانت هناك ملحوظة كتبتها الفتاة التى تعتنى بمارثا موضوعة على طاولة المطبخ. ذهبت نحو الثلاجة وفتحت علبة عصير وارتشفت منها رشفة قبل أن أبدأ فى قراءة الملحوظة.

مرحبًا يا ليندس، لم أر سيارتك، فقمت باصطحاب مارثا للتمشية! ☹ أتذكرين أننى قلت لك إن والديَّ سوف يسمحان لى بشغل المنزل الواقع فى هيرموسابيتش خلال فترة الأعياد؟ سوف أصطحب مارثا معى، سيكون هذا شيئًا مناسبًا لها يا ليندس!!!

أعلمينى بموافقتك، ك.

شعرت بالمضايقة من نفسى لتركى كلبتى مارثا هكذا دون استدعاء مربيتها. وكنت أعلم أن كارين على صواب. فلم أكن أجيد الاعتناء بمارثا الآن وعلى أى حال لا توجد مساحة مع جدول عملى الجديد الذى يتضمن العمل طوال إجازات نهايات الأسبوع؛ فأنا لم أحظ بأى إجازة بالفعل منذ حادثة إطلاق النار على المعدية.

"أتريدين الركض على الشاطئ يا فتاتى؟".

رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم كارين.

قالت لى: "رائع، سآتى لاصطحابها فى الصباح".

الفصل ٤٧

كنا فى صبيحة يوم الاثنين، بعد بزوغ الفجر بدقائق.

ذهبت أنا وكونكلين إلى موقع البناء الواقع أسفل حصن فورت بوينت؛ ذلك الحصن الضخم المبنى من الصخر الذى تم بناؤه على حافة شبه جزيرة سان فرانسيسكو إبان الحرب الأهلية والذى يقع الآن إلى جوار جسر جولدن جيت.

كانت الرياح الرطبة تدفع الزغب الأبيض نحو شاطئ الخليج، جاعلة درجة الحرارة البالغة خمسًا وخمسين درجة فهرنهايت تبدو وكأنها لا تتجاوز الخمس والثلاثين درجة.

كنت أرتجف بسبب الرياح الباردة، وكذلك بسبب الإحساس بالغثيان تجاه ما كنا مقبلين على رؤيته.

أحكمت إغلاق الجاكت الصوفى ووضعت يدى داخل جيوبى بينما كانت الرياح تدفع بالرطوبة إلى عيناى.

كان أحد عاملي اللحام والذى كان يعمل فى الجسر

قادمًا نحونا حاملاً دورقًا من القهوة من "شاحنة المهملات"، وهو الاسم الذى يطلق على عربة الطعام الواقفة خارج السور الذى يفصل منطقة العمل عن الشارع.

كان عامل اللحام يدعى وين موارى وأخبرنا بأنه عندما جاء للعمل في الموقع هذا الصباح وجد شيئًا غريبًا عالقًا بين الصخور أسفل الحصن.

قال في حزن: "فى البداية اعتقدت أنه مجرد عجل بحر أو ما شابه، لكن عندما اقتربت استطعت رؤية ذراع بشرية فى الماء. والحق أنه لم يسبق لى رؤية جثة بشرية من قبل".

سمعنا صوت أبواب سيارات تنفتح وتنغلق، وعبر العديد من الرجال البوابة ذات السلاسل وهم يتحدثون ويضحكون ـ كانوا عمال بناء، ورجال الطب الشرعى، واثنين من حرس المنتزه.

ولقد أمرت هؤلاء بتطويق المنطقة.

نظرت ثانية نحو ذلك الجسد الداكن الراقد على الصخور منتفخًا، أسفل حاجز الأمواج، كانت هناك ذراع وقدم تطفوان على المياه التى كانت تندفع نحو المحيط.

قال كونكلين: "لم يتم إلقاؤها هنا؛ فالمخاطرة شديدة بأن يتم رؤية الفاعلين عندئذ".

نظرت نحو الجسر ورأيت شبح حراس الأمن الذين يحرسونه حاملين بنادقهم النصف آلية من طراز إيه. آر ـ ١٥.

"أجل، واعتمادًا على الوقت والمد يمكن الاستنتاج أنها ألقيت من أحد الجسور، لابد أن القتلة ظنوا أن الجثة سوف تطفو نحو المحيط".

قال كونكلين: "ها هو د.جى".

كان الطبيب الشرعى يبدو أكثر إشراقًا كما رأيته من قبل، وقد سوى شعره الرمادى وصففه بحيث بدت علامات المشط واضحة فيه، كان يرتدى بنطالاً مصممًا للغوص فى الماء يصل حتى

منتصف صدره، وكانت أنفه وردية اللون بادية تحت حافة نظارته.

تولى هو وأحد مساعديه قيادة الأمور، وانضممنا لهما ومشينا بهدوء على الصخور الوعرة المنحدرة بزاوية قدرها خمس وأربعون درجة نحو حافة الخليج.

قال لنا د. جيرمانيوك بينما كنا نقترب من الجثة: "انتظرا مكانكما، احترسا. لا أريد أن يقع أحدكما ويلمس أى شىء".

وقفنا ساكنين في مكاننا بينما نزل د.جى نحو الجثة ثم وضع حقيبة أدواته أرضًا، ومستخدمًا ضوء كشافه بدأ فى تفحص الجثة بصورة مبدئية.

كان في استطاعتي رؤية الجثة بوضوح تحت ضوء الكشاف، وكان وجه الضحية داكنًا منتفخًا.

ناداني د. جي قائلاً: "فلتحضروا كيسًا جلديًا للجثة، لقد ظلت في الماء ليومين تقريبًا، وهذا كان كافيًا لجعلها تنتفخ".

"هل هناك جرح رصاصة فى رأسها؟".

"لا يمكنني تحديد ذلك الآن. يبدو كأنها ارتطمت بشدة بالصخور، وعندما نعود بها إلى مقر إدارة الطب الشرعى سأجرى لها فحصًا شاملاً بالأشعة".

قام د.جي بتصوير الجثة عدة مرات من زوايا مختلفة، وكان ضوء الفلاش يلتمع كل ثانية أو ثانيتين.

نظرت إلى ملابس الفتاة ـ المعطف الداكن، والكنزة ذات الياقة الضيقة، شعرها القصير، والذى تشبه قصته تلك القصة التى رأيتها فى الصورة الموضوعة على رخصة القيادة التى وجدتها فى تلك المحفظة التى فتشتها منذ يومين.

قال كونكلين محدقًا فى الجثة: "كلانا يعلم أن هذه هى باولا ريتشي".

أومأت موافقة، لكني تذكرت ما حدث بالأمس، وأننا أفسدنا الأمر وجعلنا آل تايلر يقفزون إلى استنتاجات غير سليمة.

فقلت: "أوافقك، لكني لن أتأكد من ذلك إلا بعدما نتعرف على الجثة بصورة لا تقبل الشك".

الفصل ٤٨

حينما دخلت من باب حجرة المستشفى وجدت كلير جالسة فى فراشها. ولدى رؤيتى مدت ذراعيها نحوى فعانقتها حتى قالت لى: "تمهلى يا جميلتى، إن لدى ثقبًا فى صدرى، أنسيت؟".

تراجعت للخلف وقبلتها على وجنتيها ثم جلست إلى جوارها.

"ماذا يقول الطبيب؟".

"لقد قال إننى فتاة قوية و ......" ثم بدأت السعال ورفعت يدها نحو فمها إلى أن استطاعت أخيرًا أن تقول: "أشعر بألم شديد حين أسعل".

قلت لها: "قال إنك فتاة قوية و..... ماذا؟".

"وإننى سأكون بخير. فسوف يقومون بفك هذه الأربطة يوم الأربعاء، وبعدها سأحتاج للبقاء لبعض الوقت فى الفراش بالمنزل، وبعد ذلك بمقدورى الخروج".

"حمدًا لله".

"إنى أحمد الله منذ أن أطلق ذلك الوغد الرصاص على، متى كان ذلك؟ إن المرء يفقد إحساسه بالوقت وهو بعيد عن العمل".

"لقد حدث هذا منذ أسبوعين يا فراشتى، أسبوعين ويومين تحديدًا".

مدت كلير نحوى علبة من الشيكولاتة فالتقطت أقرب القطع إلىَّ.

ثم سألتنى: "هل كنت تبيتين فى صندوق سيارتك مؤخرًا؛ أم هل تخليت عن جو من أجل فتى شاب فى الثامنة عشرة من عمره؟".

صببت بعض الماء، ثم وضعت شفاطة فى كوبها وناولتها إياه وقلت: "لم أستبدل به أحدًا، لكن يمكنك القول بأننى هجرته".

ارتفع حاجبا كلير فى دهشة وهى تقول: "كلا، لا تقولى هذا".

شرحت لها ما حدث وأنا أشعر بالألم لحديثى هذا. كانت كلير تنظر نحوى فى إجهاد لكن كانت عيناها تحملان عطفًا كبيرًا، ولقد تركتنى أفرغ لها مكنون صدرى ولم تقاطعنى إلا بأسئلة قليلة.

ارتشفت بعض الماء ثم تنحنحت وأخبرت كلير بأمر رتبتى الجديدة فى قسم شرطة سان فرانسيسكو.

ارتسمت الدهشة فى عينيها مجددًا وقالت لى: "هل ألقيت بنفسك مجددًا فى الشارع وهجرت جو أيضًا ـ فى نفس الوقت؟ إننى قلقة عليك يا ليندس، هل تنامين بما فيه الكفاية؟ هل تتناولين الفيتامينات؟ تأكلين بصورة سليمة؟".

للأسف كانت الإجابة عن كل هذه الأسئلة بالنفى.

دخلت إحدى الممرضات الحجرة حاملة صفحة عليها غذاء كلير وبعض الأدوية، فألقيت بنفسى على الكرسى المجاور للفراش.

"تفضلى يا د. واشبورن، بالهناء والشفاء".

عندما خرجت الممرضة ابتلعت كلير أدويتها ثم قربت منى صحفة الطعام وقالت: "فلتأكلى معى".

هل تناولتُ طعامًا اليوم؟ لا أعتقد ذلك. التهمت وجبة كلير، والمكونة من البطاطس المطهوة جيدًا والبسلة ورغيف اللحم بشوكتى، ثم تناولت الآيس كريم قبل أن أخبرها بأننا تعرفنا على جثة باولا ريتشى.

"لقد أطلق الخاطفون النار على المربية بعد اختطافها هى والطفلة بدقيقة واحدة، لكنهم لم يستطيعوا التخلص من جثتها بالسرعة الكافية. هذا هو كل ما لدى، إننا لا نعلم حتى الآن من ارتكب الجريمة أو سبب ارتكابها أو إلى أين أخذوا ماديسون".

"لماذا لم يتصل هؤلاء الأوغاد بوالدى الطفلة؟".

"هذا هو السؤال الأهم. لقد مضى وقت طويل دون أن يتم طلب أى فدية. وللحق فأنا لا أعتقد أنهم يسعون وراء مال تايلر".

"اللعنة!".

"أوافقك الرأى"، هكذا أجبتها ثم ألقيت بالملعقة البلاستيكية فى الصفحة وعدت للجلوس على الكرسى محدقة فى الفراغ.

"ليندس؟".

"لقد كنت أفكر فى أن السبب وراء إطلاق الرصاص على باولا هو أنها شهدت عملية الاختطاف".

"تفسير معقول".

"لكن بما أن ماديسون شهدت قتل باولا .... لا أعتقد أنهم سيبقون على حياتها بعد ذلك".

الجزء الثالث

الحساب

الفصل ٤٩

غادرت سيندى توماس شقتها الواقعة فى بلاكلى أرمز، ثم عبرت الشارع عند الزاوية وبدأت تسير نحو مبنى جريدة كرونيكل الذى كان على مسافة خمسة شوارع لا أكثر.

وفوق شقة سيندى بطابقين كان يسكن رجل يدعى جارى تينينج، وكان يمر بصباح سيئ. كان تينينج يقبض على حافة المكتب الموضوع فى حجرة العمل ويحاول كظم غيظه. ففى باحة المنزل، تحته بخمسة طوابق، كان هناك كلب ينبح بلا انقطاع، وكل صيحة منه كانت تخترق أذنيه كأنها سيخ محمى.

كان يعرف هذا الكلب.

كان يدعى بارنابى، وكان مملوكاً لأم وحيدة شقراء الشعر تدعى مارجيرى جلين والتى لها طفل رضيع مزعج اسمه أوليفر، وكانوا جميعاً يسكنون فى الطابق الأرضى ويستغلون الباحة الخلفية للمبنى كما لو كانت ملكهم وحدهم.

ضغط تينينج سدادات الأذن إلى أذنيه مجدداً، وكانت مصنوعة من الشمع الطرى وكان لها شكل ثقبى الأذن بالضبط، إلا أن صوت نباح بارنابى المرتفع كان يخترق تلك السدادات واصلاً إلى أذنيه.

مر تينينج براحة يده على مقدمة قميصه بينما كان النباح المتواصل لذلك الكلب الغبى يثير جنونه حتى إنه بدأ يشعر بأصابعه وشفتيه وهى ترتجف بينما كان قلبه يدق فى عنف.

اللعنة!

ألا يمكن للمرء أن ينعم ببعض الهدوء هنا؟

وعلى شاشة الكمبيوتر قبالته تراصت صفوف أنيقة من الكلمات بطول الصفحة؛ الفصل السادس من كتابه: *الحساب: تاريخ إحصائى للقرن العشرين.*

كان هذا الكتاب يمثل له ما هو أكثر من مجرد مشروعه المفضل الذى يفخر به، بل كان بمثابة مشروع عمره وتراثه الذى ينوى تركه لمن يأتون بعده. كان يحتفظ بخطابات الرفض التى تلقاها من الناشرين ردًا على طلبه بنشر الكتاب لديهم. لقد احتفظ بكل خطابات الرفض تلك فى مجلد واحد والذى أودعه صندوقًا مغلقًا لديه.

سوف يضحك ملء شدقيه عندما يصدر كتابه، وعندما يصير المرجع الأول لكافة طلاب العلم حول العالم ـ وللأجيال التالية أيضًا.

لن يسلبه أحد ذلك المجد أبداً.

وبينما كان تينينج يتمنى فى داخله أن يصمت بارنابى، كانت عيناه تجولان عبر الأرقام؛ عدد صواعق البرق المميتة منذ ١٩٠٠، مقدار ارتفاع الثلج بالبوصة فى فيرمونت، عدد المشاهدات الخاصة بالأبقار التى رفعتها الأعاصير عالياً فى الهواء. وفى تلك اللحظة دوى صوت نفير شاحنة القمامة وهى تقترب من المبنى.

شعر كأن رأسه سيشج من الألم.

إنه لم يكن مجنونًا كذلك.

إنه فقط يحاول صد ذلك الهجوم المتواصل على حواسه. رفع يديه إلى أذنيه، لكن واصلت الصيحات والصرخات اختراقها أذنيه، والأسوأ هو أن هذه الأصوات أزعجت أوليفر كذلك!

ذلك الطفل اللعين!

كم من المرات قاطع صراخ ذلك الطفل عمله؟

كم من المرات قاطع نباح ذلك الكلب القذر أفكاره؟

كان الضغط على صدر تينينج ورأسه يتصاعد. إذا لم يفعل شيئاً حيال ذلك فسوف ينفجر.

لقد فاض الكيل بجارى تينينج.

الفصل ٥١

باصابع مرتعدة عقد تينينج رباط حذائه الرياضي القديم، ثم خرج إلى الردهة وأغلق باب شقته خلفه بالمفتاح، ثم وضع سلسلة المفاتيح الكبيرة في جيبه.

استخدم سلم الطوارئ لينزل إلى القبو؛ فلم يكن من عادته أن يستخدم المصعد.

مر بحجرة الغسيل وصولاً إلى حجرة الغلايات حيث كانت مواسير الغلايات تهتز بينما كانت الغلايات تهدر بلا انقطاع.

إلى جوار أحد أركان الحائط كانت هناك ماسورة حديدية طولها ثماني عشرة بوصة ذات غطاء يعلوه الصدأ متصلة بنهاية إحدى المواسير الأخرى. انتزعها تينينج من مكانها ممسكاً بها من ناحية الرأس الصدئة.

استدار يميناً وسار نحو اللافتة المضيئة المكتوب عليها كلمة "مخرج" و الأفكار المجنونة تتدافع في رأسه مثل حلقة من الألعاب النارية.

كان المخرج يفضي إلى ساحة مكشوفة، وقف تينينج فيها لدقيقة مستجمعاً نفسه، وبعدها دار حول ركن المبنى متجهًا نحو باحة المبنى المرصوفة بالحجارة وأصص الزرع التي أضيفت للمبنى بعد تحويله لمبنى سكني.

عندما رأى بارنابي تينينج قادماً نحوه، بدأ يتقافز، وهو يمد عنقه على طول المقود المتصل بالطوق الملتف حول عنقه والمثبت بحلقة معدنية إلى السور.

إلى جواره كانت هناك عربة أطفال، وفيها كان أوليفر جلين مستلقيًا في الظل ، وكان يصرخ هو الآخر.

شعر تينينج بلمحة من الأمل تجتاحه.

عصفوران بحجر واحد.

مضى بمحاذاة جانب المبنى ممسكًا بالماسورة ذات الرأس الحديدي متجهاً نحو الصيحات والصرخات التي تطلقها تلك الحيوانات المقيتة الصغيرة.

لكن فجأة خرجت مارجيري جلين بشعرها الأشقر المعقوص خلف رأسها والمثبت في مكانه بقلم رصاص، ثم انحنت كاشفة عن ساقيها ورفعت أوليفر من عربته.

شاهدها تينينج وهو كامن في مكانه.

هدأ الطفل لفوره لكن بارنابي واصل النباح فقط بصورة مختلفة.

أسكتته سيدته ورفعت الطفل إلى صدرها ثم حملته إلى داخل شقتها.

تقدم تينينج نحو بارنابي والذي توقف عن النباح ووقف يلعق قدميه الأماميتين آملاً أن يربت عليه أحد أو يمن عليه بنزهة قصيرة، ثم عاود النباح العالي، مجدداً.

رفع تينينج القضيب الحديدي وضرب به الكلب بشدة فأطلق الكلب صرخة ألم، وحاول أن يعض يد تينينج بينما هي ترتفع

بالقضيب الحديدى عالياً وتضربه ثانية.
رقد الكلب بعدها ساكناً.
وبينما كان تينينج يدفع بجثة الكلب فى أحد أكياس القمامة كان يفكر:
فلترقد فى سلام أيها اللعين!

الفصل ٥١

مرت ثلاثة أيام على اختطاف ماديسون تايلر من شارع سكوت وعلى مقتل مربيتها على بعد أمتار قليلة من منتزه ألتا بلازا.

كنا مجتمعين فى غرفة الفرقة ذلك الصباح: كونكلين وأربعة محققين من قسم مكافحة جرائم القتل من دورية المساء وماكلين وستة رجال شرطة من قسم الجرائم الكبرى وأنا.

نظر ماكلين فى أرجاء الغرفة الصغيرة، وقال: "سأوجز فى حديثى حتى نشرع فى العمل سريعًا. ليس لدينا شىء حتى الآن، لا شىء سوى المواهب الموجودة فى هذه الغرفة، لذا فلنواصل عملنا المعتاد، وندعو الله أن تنجح مساعينا".

بعدها حدد لكل منا مهمته وسأل إن كانت هناك أية أسئلة، فلم يسأل أحد. تفرقت المقاعد بينما قام الجمع وألقيت نظرة على القائمة الجديدة بالمنحرفين الذين يتوجب علىَّ أنا وكونكلين استجوابهم.

قمت من على مكتبى ومشيت فوق الأرضية المتسخة نحو باب مكتب جاكوبى.

"تفضلى بالدخول يا بوكسر".

"هناك شخصان متورطان بحادثة الاختطاف هذه يا جاكوبى؛ الشخص الذى قام بالاختطاف وسائق السيارة، ألا تتفق معى أن يكون هناك شريك للشخص الذى اختطف الطفلة للاعتداء عليها؟".

"إن كان لديك أية اقتراحات أخرى فأنا مستعد لسماعها يا بوكسر".

أود العودة لنقطة البدء، الشاهدة، أود إعادة استجوابها".

قال جاكوبى فى ضيق: "لا أصدق أنك تشككين فى دقة استجوابى لها بعد كل هذه السنين. تمهلى، لدى هنا نسخة من إفادتها".

تنهدت بينما كان جاكوبى يحرك قدح القهوة وشطيرته والجريدة بعيدًا ليرفع عددًا من الملفات ثم بدأ التقليب فيها حتى وجد ضالته أخيرًا، وقال:

"حسنًا، ها هو رقم هاتفها".

"شكرًا سيدى الملازم"، هكذا قلت وأنا أمد يدى لأتناول الملف، لكنى بهت للحظة ، كما لو كنت ارتكبت زلة لسان، حيث إننى لم يسبق لى مخاطبة جاكوبى بلقب "ملازم" من قبل. وتمنيت أنه لو لم يلحظ ذلك ، لكن للأسف وجدت أنه ابتسم فى وجهى.

نظرت إليه من خلف كتفى، وابتسمت ثم توجهت لمكتب كونكلين لمناقشة الترتيبات ، ثم اتصلت برقم هاتف جيلدا جراى وبدأت الحديث إليها طالبة منها إعادة الإدلاء بشهادتها.

ردت معترضة: "لا يمكننى القدوم الآن؛ فلدى عرض مهم لعميل فى التاسعة والنصف".

"هناك طفلة *مختطفة* يا سيدة جراى".

"اسمعى، يمكننى أن أروى لك كل ما حدث فى عشر ثوان على الهاتف. كنت أقوم بتمشية الكلبة بشارع ديفيساديرو ، حيث كنت أسير خلفها ممسكة بالجريدة عندما رأيت الفتاة الصغيرة ومربيتها يعبران الشارع".

"ماذا حدث بعدئذٍ؟".

"كان اهتمامى منصبًا على كلبتى شوتسى ، كنت أنظر للأسفل أرتب الجريدة ثم خيل إلى أننى سمعت صوت صرخة طفلة، لكنى عندما رفعت رأسى رأيت شخصًا يرتدى معطفًا رماديًا يغلق باب شاحنة. ولمحت طرف معطف المربية بينما كانت تدخل الشاحنة".

"شخص يرتدى معطفًا رماديًا، عظيم ، هل تمكنت من رؤية السائق؟".

"كلا، لقد وضعت الجريدة فى سلة المهملات وسمعت الشاحنة وهي تنطلق، بعدها، كما قلت مسبقًا، سمعت صوت طلق نارى رأيت ما يشبه الدماء المتناثرة على الزجاج الخلفي، شيء رهيب...".

" أهناك ما يمكنك إخبارنا به بشأن الرجل ذى المعطف الرمادى؟".

"أنا واثقة أنه أبيض البشرة".

"طويل أم قصير؟ أله أى ملامح مميزة؟".

"لم أنتبه لذلك، آسفة".

سألت السيدة جراى عن الموعد الذى يناسبها لكى تأتى لرؤية صور بعض المشتبه بهم فردت قائلة: "ألديكم صور لرءوس المشتبه بهم من الخلف؟".

قلت لها: "شكرًا لتعاونك"، ثم أنهيت المكالمة.

نظرت فى عينى كونكلين البنيتين، وشردت للحظة.

سألنى: "هل سنواصل استجواب هؤلاء المنحرفين إذن؟".

"أجل سنفعل ، أحضر معك قهوتك يا ريتش".

الفصل ٥٢

كان كينيث كلاسن يغسل سيارته الجاجوار الفضية الفاخرة عندما أوقفنا سيارتنا عند بداية الشارع المنحدر أمام منزله فى فاليجو.

كان رجلاً أبيض فى الخامسة والأربعين من العمر يبلغ طوله خمس أقدام وعشر بوصات، وكان شكله مشابهاً لمن هم على شاكلته من منتجى الأفلام الإباحية ، مع بعض التعديلات البسيطة؛ شعر مفرود جيداً، أنف خضع لعملية تجميل متقنة، عدسات لاصقة بلون أزرق هادئ، أسنان مستوية، وما إلى ذلك.

وطبقاً للتقرير الموجود عنه، تم القبض عليه بسبب محاولته مواعدة فتاة فى الثانية عشرة من عمرها عن طريق إحدى غرف الدردشة على الإنترنت، والتى لم تكن فى الحقيقة سوى شرطى فى الأربعين من عمره.

ولقد عقد كلاسن اتفاقاً مع مكتب النائب العام والذى بموجبه أرشد عن أحد العاملين فى صور الأطفال الإباحية، ولقد خضع

لفترة مراقبة طويلة إضافة لدفعه غرامة كبيرة. كان لايزال يصور أفلاماً إباحية، وهو ما يعد شيئًا قانونيًا فى أمريكا ، حتى فى ذلك الحى الراقى فى باسيفيك هايتس.

عندما رآنا كلاسن ونحن نوقف السيارة بجوار الرصيف ونتجه نحوه علت وجهه ابتسامة خفيفة.

"مرحى مرحى"، هكذا استقبل قدومنا ثم أغلق خرطوم المياه وهو يمعن النظر فىّ وفى كونكلين.

لكن ابتسامته تجمدت حينما تبين أننا من الشرطة.

قلت له وأنا أبرز شارتى: "كينيث كلاسن، أنا الرقيب بوكسر وهذا هو المحقق كونكلين، لدينا بعض الأسئلة لك، أتمانع إن دخلنا؟".

قال كلاسن وهو يبتسم فى تخابث ويلهو بخرطوم المياه: "كما يحلو لكما".

قال كونكلين فى هدوء: "لا داعى للمزاح أيها الأحمق".

قال كلاسن وهو يبتسم: "لا مشكلة سيدى المحقق، كنت فقط أحاول تلطيف الجو، تفضلا بالدخول".

تبعنا كلاسن صاعدين الدرجات الأمامية للمنزل، ثم دخلنا من الباب المصنوع من خشب البلوط إلى ردهة فسيحة ومررنا بحجرة جلوس حديثة الطراز وصولاً إلى صالة واسعة ذات حوائط زجاجية ملحقاً بها مطبخ. وحولنا كانت هناك أصص متناثرة من السرخس والجاردينيا والصبار.

دعانا كلاسن للجلوس على مقاعد تشبه السلال والتى كانت معلقة بسلاسل مثبتة إلى عوارض فى السقف، ثم دخل علينا من جانب الحجرة رجل صينى عمره غير واضح وعقد يده اليسرى على رسغه الأيمن ووقف ساكناً.

قال كلاسن: "أتودون أن يحضر لكما السيد ووه شيئاً أيها الضابطان؟".

قلت: "كلا، شكراً".

"ما الذى دعاكما للمجىء إلىَّ إذن فى مثل هذا اليوم الرائع؟".

جلست فى عدم ارتياح فى مقعد السلة هذا وأخرجت مفكرتى، بينما كان كونكلين يجول فى أرجاء الصالة متفحصاً مجموعة من التماثيل الإباحية ومحركاً أصص الزرع لبوصة أو اثنتين.

قال كلاسن لكونكلين: "تصرف وكأنك بمنزلك".

سألته: "متى كنت صباح يوم السبت؟".

"السبت"، قالها وهو يسترخى فى مقعده ويمسح شعره وقد علت وجهه نظرة شخص يتذكر حلماً جميلاً.

ثم أضاف: "كنت أصور فيلم مونلايت مامبو، وقد قمت بتصويره هنا. إننى أقوم بإخراج سلسلة أفلام كل واحد منها مدته عشرون دقيقة، للمشاهدة قبل النوم كما أطلق عليها".

"عظيم، أريد منك قائمة بأسماء وهواتف كل من يستطيعون توكيد مكان تواجدك وقتئذٍ".

"هل أنا متهم بشىء يا سيادة الرقيب؟".

"لنقل فقط إنك محط اهتمامنا".

ابتسم كلاسن كما لو كنت وجهت له مجاملة رقيقة، ثم قال: "لديك بشرة رائعة. أراهن أنك لا تنفقين مليمًا على مساحيق التجميل".

"لا تراوغنى يا سيد كلاسن من فضلك ، الأسماء وأرقام الهواتف من فضلك".

"لا مشكلة ، سآتى لك بالقائمة".

"حسناً، هل رأيت هذه الطفلة من قبل؟" هكذا سألته وأنا أريه صورة ماديسون تايلر التى أحتفظ بها فى جيبى منذ ثلاثة أيام.

ولكم كرهت أن تطالع عينا كلاسن الحقيرتان صورة وجه ماديسون.

رد كلاسن وهو يبتسم وأسنانه تلتمع: "هذه هى الفتاة التى تظهر فى الجرائد. انتظرى، يمكننى أن أسهل الأمر علينا للغاية، هيا، تعاليا معى".

الفصل ٥٣

كان المصعد الموجود فى منزل كلاسن عبارة عن صندوق من خشب الصنوبر ذى النتوءات فى حجم نعش كبير مزدوج. دخلت مع كونكلين وكلاسن إليه ورفعت عينىَّ لأرى لوحة الأرقام لكنى لم أر سوى الرقمين "١" و "٤" و لا شىء بينهما.

انفتح الباب على الطابق الرابع والذى كان عبارة عن غرفة فسيحة حجمها أربعون فى خمسين قدماً بها قطع من الأثاث وأضواء وسجاجيد ملفوفة موضوعة إلى جوار الحائط، أما منتصف الحجرة فكان يوجد به جهاز كمبيوتر من أحدث طراز.

كانت الحجرة خالية لكنى تجولت بعينى بحثًا عن أى أثر للطفلة.

قال كلاسن وهو يجلس على مقعد صغير أمام شاشة الكمبيوتر: "كل شىء يتم عمله بصورة رقمية فى أيامنا هذه؛ حيث نقوم بالتصوير وتحميل الفيلم وعمل المونتاج فى نفس المكان".

بعدها فتح زر التشغيل ثم حرك الفأرة ونقر على أيقونة مكتوب عليها "مونلايت مامبو".

قال كلاسن لنا: "هذه هى النسخة الأولية للمشاهد التى قمت بتصويرها يوم السبت، وهى بمثابة توثيق لمكان وجودى وقت الحادث، وإن كنت أرى أننى لا أحتاج لهذا. لقد بدأت التصوير فى السابعة، واستمر العمل طوال اليوم".

صدرت أصوات موسيقى لاتينية من سماعات الكمبيوتر، ثم ظهرت بعض الصور على الشاشة وفيها كانت هناك فتاة شابة ذات شعر أسود ترتدى رداء أسود وتقوم بإيقاد شموع فى غرفة نوم.

جالت الكاميرا فى أنحاء الغرفة ثم توقفت على الفراش؛ حيث كان كلاسن نفسه يرقد على الفراش مشاهداً المرأة وهى تتراقص أمامه.

تمتمت: "يا إلهى!".

وقف كونكلين بينى وبين شاشة الكمبيوتر وقال:

"سنأخذ هذا معنا".

"بكل سرور"، قالها كلاسن ثم أخرج القرص المضغوط ووضعه فى كيس بلاستيكى أحمر اللون وناوله لكونكلين.

"هل لديك أى صور أو أفلام لأطفال على هذا الكمبيوتر؟".

قال كلاسن: "على الإطلاق، لا صلة لى بأفلام الأطفال الإباحية، كما أن هذا يعد خرقاً لشروط إطلاق سراحى، إننى لست من هذا النوع من الرجال".

قال كونكلين بهدوء: "تمامًا، والآن أود إجراء بحث بسيط على الملفات الموجودة على حاسبك، بينما تقوم سيادة الرقيب بجولة فى المكان".

قلت: "يبدو المكان رائعًا سيد كلاسن، يعجبنى ما فعلته فيه".

"وماذا لو رفضت؟".

رد عليه كونكلين: "سوف نحتجزك ونستجوبك ريثما نحصل على إذن التفتيش. بعدها سوف أقلب حاسبك رأسًا على عقب وأفتش منزلك بالكلاب البوليسية".

"حسناً، السلالم من هنا".

تركت كونكلين وكلاسن أمام الكمبيوتر، ونزلت السلم حيث قمت بتفتيش كل حجرة وجدتها، وفتحت كل باب وتفقدت كل خزانة ملابس وأنا أمعن النظر وأرهف السمع؛ آملة أن أجد الفتاة الصغيرة.

رأيت السيد ووه يقوم بتغيير ملاءات إحدى غرف النوم فى الطابق الثانى، فأريته شارتى وعرضت عليه صورة ماديسون تايلر.

هز رأسه نافياً فى حدة وقال: "كلا، لا أطفال هنا، السيد كلاسن لا يحب الأطفال، لا أطفال هنا".

بعدها بعشر دقائق كنت واقفة أمام الباب الأمامى أستنشق الهواء البارد النقى عندما انضم لى كونكلين مغلقاً الباب الثقيل خلفه.

قلت له: "حسناً، كان هذا ممتعاً".

قال كونكلين وهو يطوى قائمة بالأسماء وأرقام الهواتف ويضعها فى مفكرته: "سنتأكد من صحة حجة غيابه".

"أعلم هذا، هل تظن أن هذا الرجل برىء؟".

"أظن أنه منحرف مثل من هم على شاكلته".

وقف كلاسن فى الممشى الخاص بمنزله بينما ركبت أنا وكونكلين سيارتنا، ولوح لنا بيده مبتسماً ابتسامة عريضة أخرى وقال: "الوداع".

وبينما كان يصفر وهو يرفع الغطاء الخلفى لسيارته الجاجوار انطلقت سيارتنا الفورد المتواضعة على الطريق.

الفصل ٥٤

جلست أنا وكونكلين قبالة بعضنا البعض فى حجرة التحقيقات. وإلى جانب هاتفى كانت هناك كومة من الرسائل غير المقروءة من العديد من المبلغين الذين يبلغوننا بمشاهدة ماديسون تايلر فى أماكن عدة، من ميدان جيراديللى إلى أوساكا فى اليابان.

كان تقرير التشريح الخاص بباولا ريتشى الذى كتبه د. جيرمانيوك مفتوحاً أمامي. وخلاصته أن سبب الوفاة: طلق نارى فى الرأس. طريقة الوفاة: جريمة قتل.

وقد أرفق د. جي ملحوظة بالتقرير، فقرأت ما فيها بصوت عال لشريكي:

"الرقيب بوكسر،

لقد أرسلت بالملابس للمعمل لكنى قبلها أجريت فحصاً سريعاً بحثاً عن وجود اعتداء جنسى فقط للتأكد بصورة مبدئية على الرغم من أننى لم أعتقد أنه قد يثمر عن أى

نتيجة إيجابية نظراً لطول فترة بقاء الجثة فى المياه وما إلى ذلك. لقد اخترقت الرصاصة الرأس وبالتالى لم نجدها بهاً.
تحياتى، د. جىّ.

قال كونكلين وهو يمر بيده على شعره: "فتاة قتيلة وطريق مسدود. لم يتردد الخاطفون فى قتلها، وهذا كل ما نعرفه.

ما هو الشيء الناقص إذن؟ لدينا شهادة غير واضحة من شاهدة أعطتنا وصفاً غير دقيق للمختطفين والسيارة. ليس لدينا أرقام السيارة، لا وجود لدليل مادى من موقع الحادث ـ لا يوجد أعقاب سجائر، لا يوجد علكة، لا يوجد أغطية، لا ماركات ملابس، *كما لا توجد أى رسالة فدية لعينة*".

استرخى كونكلين فى مقعده، وقال وهو يحدق فى السقف: "لقد كان سلوك المختطفين يميل للعنف، على العكس مما هو مألوف من المعتدين جنسياً، ولقد أطلقوا الرصاص على باولا خلال دقائق من الاختطاف، أتساءل عن سبب ذلك".

"ربما كان مجرد رد فعل غير محسوب، راجعًا لكون المختطف كان مخدرا أو ما شابه، وربما استخدم المختطفون أشخاصاً غير مناسبين، أو ربما لم يكن هناك حاجة لباولا، فتم الخلاص منها. أو ربما بدأت باولا فى المقاومة وانفعل أحدهم بصورة زائدة، لكنى أظن يا ريتشى أنك محق فى شيء ما، محق للغاية".

صدر صرير عن كرسيه بينما كان يعدل من وضعه.

أكملت وأنا أضع راحتى على تقرير تشريح باولا: "لابد من أن ننحو بالتحقيق منحى معاكسًا، ولنحاول حل لغز مقتل باولا أولاً؛ فسوف تقودنا تلك الفتاة، حتى وهى ميتة، إلى ماديسون".

كان كونكلين يتحدث هاتفياً إلى القنصلية الإيطالية عندما اقتربت منى بريندا، قالت وهى تغطى المايكروفون بيدها:

"ليندس، لدينا شخص يتصل على الخط رقم أربعة، وهو لا يريد الإفصاح عن اسمه، لكنه يبدو ... مخيفا. ولقد طلبت تتبع المكالمة".

أومأت لها بينما كانت دقات قلبى تتسارع ونقرت على زر الهاتف بعصبية وقلت:

"هنا الرقيب بوكسر".

"سأقول كلامى هذا مرة واحدة لا أكثر"، هكذا رد علىّ الصوت الآلى الذى بدا وكأنه صوت ضفدع يتحدث عبر فقاعة ماء، فأشرت لكونكلين ليلتقط سماعته ويسمع المحادثة.

سألت المتحدث: "من المتكلم؟".

قال الصوت: "هذا غير مهم؛ إن ماديسون تايلر بخير".

"وكيف لكِ أن تعرف؟".

"قولى شيئا يا مادى":

جاء صوت آخر عبر الهاتف، صوت لاهث غض متهدج، قائلاً: "أماه، أماه".

قلت: "ماديسون؟".

عاود صوت الضفدع الحديث قائلاً:

"قولى لوالديها إنهما ارتكبا خطئًا كبيراً باتصالهما بالشرطة، أوقفوا التحقيق وإلا سنؤذى ماديسون، أذى عميقًا. إذا ما أوقفتم البحث فستظل على قيد الحياة وبخير، لكن إذا لم تفعلوا فلن يرى آل تايلر ابنتهما مجدداً".

ثم أغلق الخط.

"ألو ؟*ألو؟*".

واصلت الضغط على زر الهاتف بلا جدوى، فوضعت السماعة بعنف.

"اتصلى بمركز التتبع يا بريندا".

صاح كونكلين: "ما هذا؟ هل اتصلوا بالشرطة بطريق الخطأ؟

هل بدا لك صوت تلك الفتاة كصوت ماديسون يا ليندس؟".

"يا إلهى، لم أستطع تمييزه، لا أدرى".

قال كونكلين وهو يلقى بكتاب نحو الحائط: "اللعنة!".

شعرت بالدوار والغثيان.

هل ماديسون بخير حقاً؟

ماذا يعنى المتصل بأن والديها لم يكن لصالحهما الاتصال بالشرطة؟ هل كان هناك طلب فدية أو مكالمة من الخاطفين لم نعلم بشأنها؟

كان كل من بالحجرة يحدق فىّ بينما كان جاكوبى واقفاً خلفى، وبعد لحظات جاءتنا نتيجة تتبع المكالمة.

كان المتصل يتحدث من هاتف خلوى اسم صاحبه مجهول، كما لم يمكن معرفة مكان الاتصال.

قلت لجاكوبى: "إن الصوت تم تغييره، سأرسل بالشريط للمعمل".

"قبل أن تفعلى هذا أرسلى فى طلب الوالدين ليسمعا المكالمة؛ فربما يتعرفان على صوت الطفلة".

قال كونكلين بينما كان جاكوبى يبتعد: "ربما يكون مجرد مختل يتلاعب بنا".

"آمل هذا؛ فنحن لن نوقف بحثنا، مطلقاً".

لكنى لم أستطع التصريح بما فى خاطرى.

إن هذه ربما كانت آخر كلمات ماديسون تايلر!

الفصل ٥٥

كانت بريندا فيرجوزى مساعدة فى فرقة مكافحة جرائم القتل منذ عدة سنوات وكانت تبلغ من العمر ٢٥ عاماً فقط؛ حيث كانت تبدو كدجاجة حقيقية.

كانت تبكى بصوت مثل الدجاجة وأنا أتحدث إلى هنرى تايلر عبر الهاتف، وعندما أغلقتُ الخط أعطتنى قصاصة ورقية فيها رسالة.

قرأتها وكان مكتوباً فيها بخط متعرج: "*كلير تريدك أن تأتى إلى المستشفى فى السادسة من هذا المساء*".

كانت الساعة السادسة مساءً تقريباً.

سألتُ بريندا: "كيف حالها؟".

أجابت: "بخير، حسبما أعتقد".

عدتُ أسألها: "هل هذا كل ما قَالَتْه؟".

قالت بريندا: "هذا كل ما قالته بالضبط، بريندا من فضلك قولى لليندس أن تأتى إلى المستشفى فى السادسة وشكراً جزيلاً".

كنتُ قد زرت كلير أمس، فما الذى جرى؟

توجهتُ بالسيارة إلى مستشفى سان فرانسيسكو العام وقد امتلأ عقلى بالأفكار المضطربة والسيئة. كانت كلير قد أخبرتنى فى السابق عن هذا الأمر المتعلق بكيمياء المخ، وهو أنه إذا ما شعرتَ أنك بخير فلا يمكنك أن تتخيل إطلاقاً أنك ستشعر بأنك لستَ بخير، وعندما تشعر أنك فى حالة سيئة فمن المستحيل أن تتخيل أنك سوف تكون على ما يرام.

وبينما كنت أبتلع حبة من الـ (آلتويد) كان صوت طفلة صغيرة يدوى فى رأسى وهى تقول: "أمى"، وهو الصوت الذى يختلط بالشعور السلبى الذى أحسه تجاه المستشفيات حيث توفيت والدتى فى إحداها قبل ١٥ عاماً.

توقفتُ بالسيارة داخل مُجَمَّع المستشفى فى باين وأنا أفكر فى أنه كم كان من الجيد أن أتحدثَ إلى جو عندما شعرت بالإحباط جراء الأيام الثلاثة الماضية التى كنتُ أترنح فيها بين طرق مسدودة.

عادت أفكارى ثانيةً إلى كلير بينما كنت أخطو إلى داخل المصعد. نظرتُ إلى صورتى المنبعجة التى انعكست على الأبواب المعدنية، وحاولتُ بلا فاعلية أن أقف متوازنةً بينما كان المصعد فى طريقه لأعلى. ولما انفتحت الأبواب خرجت إلى وحدة ما بعد انتهاء العمليات الجراحية بما يميزها من رائحة المطهرات والأضواء البيضاء.

لم أكن أول من يزور حجرة كلير. كانت يوكى وسيندى قد جلستا على مقعدين بالقرب من فراشها، أما كلير نفسها فقد كانت جالسة على الفراش، وقد ارتدت منامة، وارتسمت على شفتيها ابتسامة الموناليزا.

عضوات نادى نساء مكافحة جرائم القتل كُنَّ مجتمعات، ولكن لماذا؟

صحتُ قائلة: "مرحباً بكن جميعاً". قلتُها وأنا أدور حول الفراش أُقَبِّلُ كل الجالسات فيما قلتُ لكلير: "تبدين رائعة". كان شعورى بالراحة من أن استدعائى لم يكن بغرض إعطائها دفعة معنوية فى لحظاتها الأخيرة قد أعطانى مرحًا زائدًا فقلتُ: "ما هى المناسبة؟".

قالت يوكى: "لقد رَفَضْتُنَّ أن تخبرنا حتى تأتى أنت".

قالت كلير: "حسناً. حسناً. لدى أمر لأقوله".

سألتها سيندى: "هل أنت *حامل*؟".

انفجرت كلير ضاحكةً ونظرنا كلنا إلى سيندى.

قلت لسيندى: "أنت مجنونة أيتها المُراسِلة". كان مجىء طفل هو آخر شىء تحتاجه كلير فى سن الرابعة والثلاثين مع وجود ابنين قاربا على سن البلوغ.

اندفعت يوكى قائلةً: "أعطينا مفتاحاً. أعطينا إشارة".

قالت كلير وهى لا تزال تضحك: "يا شباب! استعددن لتلقى مفاجأتى لَكُنَّ".

ملت أنا وسيندى ويوكى برءوسنا نحوها.

قالت كلير: "لقد أجريتُ تحليلاً للدم وكانت آنسة سيندى ـ كما هو الحال دائماً ـ على حق".

صاحت سيندى: "ها!".

قالت كلير: "لو لم أكن قد جئتُ إلى هذه المستشفى فلم أكن لأعلم أننى حامل إلا بعد أن أشعر بانقباضات الرحم".

صرنا كلنا نصيح الآن قائلات: "ما الذى تقولين؟"، و"لِمَ لَمْ تخبرينا من قبل؟"، و"منذ متى وأنت حامل؟".

قالت كلير: "الأشعة الصوتية تقول إنه بخير"، وأضافت فى هدوء ورزانة: "*طفلى الصغير*".

الفصل ٥٦

اضطررتُ إلى سحب نفسى خارج الاحتفالية؛ فقد كان يجب علىَّ أن أعود إلى المقر بسبب موعدى مع تراتشيو. وبينما كنتُ أدخل مكتبه كان الرئيس يقدم مقاعد جلدية ذات ذراعين إلى الزوجين تايلر فيما سحب كل من جاكوبى وكونكلين وماكلين مقاعد جانبية وأحاط الجميع بالمكتب الكبير الخاص بالرئيس.

كان الزوجان تايلر يبدوان وكأنهما ناما وهما واقفين طيلة الأربع والعشرين ساعة الماضية. كان وجهاهما شاحبين وأكتافهما متهدلة، وقد كنتُ أدرك أنهما يتأرجحان بين الأمل واليأس وهما ينتظران سماع الشريط الصوتى.

كان هناك جهاز تسجيل على مكتب تراتشيو فانحنيت وضغطتُ على مفتاح التشغيل، فانبعث صوت شيطانى مرعب ملأ الغرفة.

كان صوت طفلة صغيرة تصيح: *"أمى؟ أمى؟"*.

ضغطتُ مفتاح التشغيل من جديد فتوقف الصوت. اتجهت إليزابيث تايلر نحو جهاز التسجيل قبل أن تتوقف وتستدير وتقبض على ذراع زوجها وتدفن وجهها فى معطفه وتأخذ فى النحيب.

سأل تراتشيو: "هل هذا صوت ماديسون؟".

هز كلا الأبوين رأسيهما بالإيجاب.

قال جاكوبى: "باقى الشريط يتضمن أشياء سيكون من الصعب عليكما تحمل سماعها. إلا أننا نشعر بالتفاؤل. عندما تعالى هذا النداء كانت ابنتكما على قيد الحياة".

من جديد ضغطت مفتاح التشغيل وأنا أنظر إلى وجهى الزوجين تايلر وهما يسمعان صوت خاطف ابنتهما يقول إن ماديسون بخير، ولكنهما لن يرياها مرة ثانية.

سألتُها: "سيد وسيدة تايلر، هل تعرفان لماذا قال الخاطف (لقد ارتكبتُما خطأ كبيراً بإبلاغكما الشرطة)؟".

قال هنرى تايلر فى سرعة: "كلا، على الإطلاق. لماذا يشعر الخاطفون بأى تهديد؟ إنكم لم تقوموا بأى شىء على الإطلاق. إنكم حتى لم تلقوا القبض على أى مشتبه به. أين مكتب التحقيقات الفيدرالية الـ (إف بى آى)؟ لماذا لم يحاولوا العثور على ماديسون؟".

قال ماكلين: "نحن نعمل مع الـ (إف بى آى). نستخدم مصادرهم وقواعد بياناتهم إلا أن الـ (إف بى آى) لن يلعب أى دور فى هذه القضية إلا إذا حصلنا على دليل يؤكد أن ماديسون قد نُقِلَتْ خارج الولاية".

عاد الأب يقول: "إذن قولوا لهم إن هذا قد حدث!".

قال جاكوبى: "سيد تايلر. ما نسأل عنه هو؛ هل تلقيتما اتصالاً من الخاطف يطلب فيه منكما عدم إبلاغ الشرطة؟ أى شىء من هذا القبيل؟".

قالت إليزابيث تايلر: "هنرى؟ هل سمعتَ منهم شيئاً مثل ذلك فى المكتب؟".

نفى هنرى قائلاً: "ولا كلمة، أقسم على ذلك".

كنتُ أفكر فى باولا ريتشى وأنا أنظر إلى الزوجين تايلر ثم قلتُ: "قلتما لنا إن باولا ريتشى تم ترشيحها لكما. من الذى قام بترشيحها؟".

مالت إليزابيث تايلر إلى الأمام، وقالت: "لقد جاءت إلينا باولا مباشرة من خلال مكتب الخدمات".

سأل ماكلين: "أى نوع من مكاتب الخدمات هذا؟" ، بينما كان توتره واضحًا فى صرير أسنانه.

أجابته إليزابيث تايلر: "إنه مكتب توظيف. إنهم يقدمون ويتعهدون ويدربون فتيات حسناوات التنشئة من خارج البلاد. يحصلون على الطلبات الخاصة بهنَّ ثم يقومون بإيجاد وظائف لهنَّ. لقد كانت باولا تتمتع بترشيحات قوية من المكتب ومن بلادها إيطاليا. كانت امرأة شابة جيدة. لقد أحببناها".

سأل جاكوبى: "هل يحصل مكتب التوظيف على أتعابه من أصحاب العمل؟".

قالت إليزابيث تايلر: "نعم. أعتقد أننا دفعنا لهم حوالى ١٨ ألف دولار".

بعث ذكر المال وخزاً فى ذراعى وشعوراً بالغثيان فى أمعائى.

سألتُها: "ما اسم هذا المكتب؟".

قال هنرى تايلر: "ويستبرى. لا، عفواً مكتب تسجيل ويستوود. هل ستتصلون بهم؟".

قال جاكوبى: "نعم. ورجاء لا تقولا شيئاً عن هذه المكالمة لأى شخص. عودا إلى المنزل وابقيا بجوار الهاتف واتركا مكتب تسجيل ويستوود لنا".

سأل هنرى تايلر: "هل ستكونون على اتصال معهم؟".

أجابه جاكوبى: "بل سنداهمهم لفورنا".

الفصل ٥٧

كانت سيندى تتحادث هاتفيًا مع يوكى فيما كانت تملأ آلة غسيل الأطباق.

كانت سيندى تتكلم عن ويت إيوينج مراسل الـ (شيكاجو تريبيون) الوسيم الذى قابلته فى محاكمة مستشفى البلدية قبل شهر وهى تقول: "إنه فى منتهى المرح".

قالت يوكى وهى تتذكر وتطلق ضحكة مكتومة: "هذا الشاب الذى يرتدى النظارات، أليس كذلك؟ الذى دخل ساحة المحكمة من باب الطوارئ مُتسببًا فى إطلاق صفارات الإنذار؟".

أجابت سيندى وهى تضحك: "نعم... تعلمين؟ إنه يسخر من نفسه. يقول إنه شقيق كلارك كِنت الأصغر. لقد هددنى بأن يأتى إلى البلدة ويأخذنى إلى العشاء. إنه يتطلع لأن يمنحوه قضية برينكلى".

قالت يوكي: "أوه انتظرى لحظة إذن. أنت لا تفكرين فى أن تفعلى ما فعلته ليندسى. أعنى أن ويت يعيش فى شيكاجو. لماذا تبدآن فى علاقة سريعة طالما أنها محكوم عليها بالانتهاء؟".

قالت سيندى فى تردد: "أنا أفكر... لقد مرت فترة منذ أن فعلتُ ذلك لآخر مرة".

ضحكت سيندى بصوت كصوت الدجاج قبل أن تضعها يوكى على خاصية الانتظار حتى تتلقى مكالمة جاءتها، وبعد فترة عادت يوكى وقالت لسيندى: "هاى! أيتها المراسلة. الكلب الأحمر يريدنى يجب أن أذهب بسرعة".

قالت سيندى: "اذهبي. اذهبي. سوف أقابلك فى المحكمة".

وضعت سيندى سماعة الهاتف وأدارت آلة غسيل الأطباق ثم أفرغت سلة القمامة وأصلحت حقيبتها قبل أن تخرج من المنزل وتضغط مفتاح استدعاء المصعد، ولما وصل تأكدت من أنه خال قبل أن تدخل فيه.

فَكَّرَتْ من جديد فى ويت إيوينج وفى ليندس وجو وكيف كانت علاقاتها بهم طويلة، طويلة للغاية بالفعل.

والآن هناك سبب آخر لكى يكون لها صديق يقيم فى البلدة والسبب هو الكآبة المطلقة التى تشعر بها جراء العيش وحيدة فى هذا المبنى. ضغطت مفتاحًا مكتوبًا عليه "ب" للدلالة على البَدروم فأخذ المصعد ينزل، وبعد دقيقة وجدت سيندى نفسها تخطو وسط أحشاء المبنى الرطبة.

وبينما هى تسير نحو منطقة مليئة بالنفايات سمعت صوت امرأة تبكى. كان صوت النحيب يتردد وقد اختلط بصياح طفل رضيع.

فَكَرَتْ سيندى: "*ما الأمر الآن؟*".

دارت سيندى حول منحنى فى المكان، ورأت سيدة شقراء الشعر فى مثل عمرها وقد حملت طفلا على كتفها.

كانت هناك حقيبة قمامة مفتوحة وقد استقرت عند قدمى المرأة.

سألتها سيندي: "ما الأمر؟".

صاحت المرأة التى كانت تحت تأثير صدمة: "كلبي. انظرى!".

وانحنت وفتحت الحقيبة. فتمكنت سيندى من أن ترى كلبًا صغيرًا ذا لونين أبيض وأسود وقد تغطى بالدماء.

قالت المرأة: "لقد تركتُه بالخارج لدقائق قليلة فقط لكى أُدْخِلَ طفلى المنزل. أوه. يا إلهي. لقد طلبتُ الشرطة لكى أبلغها أن شخصًا ما سرقه لكن انظرى. شخص ما يعيش هنا قتله. *شخص ما يعيش هنا ضرب بارنابى حتى الموت*".

الفصل ٥٨

بعد أربعة أيام من اختطاف ماديسون تايلر، وفى صباح الأربعاء فى الساعة الثامنة والنصف كنت أنا وكونكلين ننتظر فى منطقة إنشاءات بالقرب من ركن ويفرلى وكلاى فيما تكاثف البخار المتصاعد من فنجانى قهوتنا على نوافذ السيارة بينما كنا نراقب السيارات المارة وهى تسير بين عدد من الشاحنات كانت تنتظر فى صفين بينما أخذ المارة يتدفقون فى الشوارع الضيقة لحى تشاينا تاون.

كانت عيناى تتركزان على مبنى بعينه. لقد كان مبنى مكونًا من ثلاثة طوابق، وقد بنى بالطوب الأحمر ويقع على مقربة من ويفرلى. كانت صيدلية وونج الصينية تقع فى الطابق الأول فيما احتل مكتب تسجيل ويستوود الطابقين الآخرين.

وفى الساعة الثامنة و٣٥ دقيقة انفتح باب المبنى وخرجت منه امرأة أخذت تلقى بالقمامة عند إفريز الرصيف.

عبرنا الطريق وأوقفنا المرأة قبل أن تختفى بالداخل وأظهرنا بطاقتينا.

كانت بيضاء البشرة، نحيفة فى منتصف الثلاثينات، ذات شعر أسود ينسدل مستقيماً على كتفيها، وكانت معالم القلق التى ظهرت على وجهها قد أفسدت جمالها.

قالت المرأة وهى تمسك مقبض الباب: "لقد كنتُ أتساءل عن اللحظة التى سوف تأتى إلينا فيها الشرطة. أصحاب المنزل خارج البلدة. هل يمكنكم العودة يوم الجمعة؟".

قال كونكلين: "بالتأكيد. ولكن لدينا بعض الأسئلة لك الآن. إذا لم تكونى تمانعين".

كانت بريندا المساعدة فى فرقة مكافحة جرائم القتل مغرمة بكونكلين وكانت تقول إنه "مغناطيس نساء" وكان ذلك حقيقيًا. لم يكن يتكلف الأمر بل كان يتصرف بصورة طبيعية؛ حيث كان فى منتهى الجاذبية.

لاحظتُ التردد الذى اعترى المرأة ذات الشعر الأسود وهى تنظر إلى كونكلين قبل أن تفتح الباب.

قالت: "أنا مارى جوردان. مديرة مكتب وأمينة مكتبة ومديرة منزل وأى شىء آخر يمكنكما أن تتخيلاه. ادخلا...".

ابتسمتُ إلى كونكلين ونحن ندخل وراء آنسة جوردان عبر المدخل ونقف فى ردهة مكتبها. كان عبارة عن حجرة صغيرة موضوع فيها مكتب فى زاوية تواجه الباب وأمامه مقعدان فيما كانت على الحائط خلف المكتب صورة فى إطار لجوردان وقد أحاط بها حشد من النساء الشابات فيما يبدو أنهنَّ من المتدربات فى المكان.

وجدتُ أن قلق جوردان جدير بالملاحظة فقد كانت تعض شفتها السفلى بينما تتناول مجلداً كبيراً من دولاب ملفات وتجلس وهى تداعب سوار ساعتها وتعبث فى أحد الأقلام الرصاص. لقد أصابنى الدوار وأنا أراقبها.

سألتُها: "ما رأيك فى اختطاف باولا وماديسون تايلر؟".

قالت جوردان: "أنا فى حيرة تامة"، وهزت رأسها قبل أن تواصل حديثها بعدما التقطت أنفاسها.

قالت جوردان إنها الوحيدة التى تعمل بدوام كامل فى مكتب التسجيل. توجد أيضًا اثنتان للتدريب وهما امرأتان تعملان مع المكتب عندما يحتاج إليهما، وبخلاف الشريك فى المكتب وهو رجل أبيض فى الخمسين من العمر فلا يوجد أى رجال يعملون مع المكتب ولا توجد أية شاحنات صغيرة أو زنوج وما خلافه.

أخبرتنا آنسة جوردان أن مَالِكَى مكتب تسجيل ويستوود هما بول ولورا رينفرو، وهما زوجان، وفى هذا الوقت كان بول يبحث عن عملاء فى شمال سان فرانسيسكو بينما كانت لورا فى أوربا تستقدم الموظفين. كانا قد غادرا البلدة قبل حادثة الاختطاف.

أكدت لنا جوردان قائلة: "إن الزوجين رينفرو من الأناس الطيبين".

سألناها: "ومنذ متى وأنت تعرفينهما؟".

أجابت: "لقد بدأت العمل لديهما قبل انتقالهما من بوسطن قبل ثمانية أشهر. لم يكن العمل قد بدأ فى الازدهار بعد. والآن بسبب موت باولا واختفاء ماديسون... لن تكون السمعة جيدة، أليس كذلك؟".

ملأت الدموع عينى مارى جوردان فأخرجت منديلاً وردى اللون من صندوق على مكتبها ومسحت وجهها.

قلتُ وأنا أنحنى عبر المكتب: "آنسة جوردان. هناك أمر ما يؤلمك؟ ما هو؟".

قالت: "لا، حقاً. أنا بخير".

فقلتُ: "من الواضح أنك بخير".

فعادت مارى تقول: "الأمر هو أننى كنتُ أحب باولا، وكنتُ أنا التى رشحتُها للعمل لدى آل تايلر. إنه أنا السبب لو لم أكن قد فعلتُ ذلك لكانت باولا لا تزال على قيد الحياة!".

الفصل ٥٩

قالت جوردان وهى تسير فى الطابق الإدارى: "يملك الزوجان رينفرو شقة هنا"، ثم أشارت إلى باب أخضر فى نهاية الممر عليه قفل.

سألتُها: "لماذا القفل؟".

أجابت جوردان: "إنهما يضعانه عندما يكونان هما الاثنان خارج المنزل. هذا أمر جيد. بهذه الطريقة لا أخشى عندما تأخذ الفتيات فى التسكع بالقرب من الأماكن التى لا علاقة للتدريب والعمل بها".

وعادت جوردان تقول وهى تواصل جولتها: "الحجرة العمومية هنا وحجرة الاجتماعات على يمينكم، وعنبر النوم بالأعلى". قالت الجملة الأخيرة وهى تنظر إلى السلم الخشبى.

تابعت حديثها قائلةً: "تعيش الفتيات فى المكتب حتى نقوم بتوظيفهن لدى العائلات. إننى أقيم فى الطابق العلوى أيضا".

من جديد سألتُها: "كم فتاة هنا؟".

قالت: "أربع فتيات. وعندما تعود لورا من رحلتها ربما يكون لدينا أربع فتيات أخريات".

قضيت أنا وكونكلين بقية الصباح فى مقابلة الصغيرات الفتيات اللواتى نزلن إلى حجرة الاجتماعات فى الطابق الأسفل. كانت أعمارهن تتراوح بين الثامنة عشرة والثانية والعشرين وكلهنّ كنّ أوربيات.

لم يكن لدى أى منهن أية فكرة مفيدة أو شكوك أو حتى أفكار سلبية تجاه آل رينفرو وباولا ريتشى.

قالت فتاة تدعى لويزا: "عندما كانت باولا هنا كانت تؤدى صلاتها وهى راكعة على ركبتيها كل ليلة".

وفى مكتب آنسة جوردان مديرة مكتب آل رينفرو رفعت جوردان يديها علامة على عدم المعرفة عندما سألناها عن هوية من تعتقد أنه وراء اختطاف باولا وماديسون، وبينما كانت ترد على الهاتف سألنى كونكلين: "هل تريدين أن أكسر القفل؟".

فسألتُه: "هل تريد أن تقضى مستقبلك المهنى فى قطاع الصرف الصحي؟".

أجاب قائلا: "أعتقد أن الأمر يستحق المحاولة".

قلتُ له: "أنت تحلم. حتى ولو كان لدينا سبب قوى فإن ماديسون تايلر ليست هناك؛ فلا ريب أن مديرة المكتب سوف تقول إننا جئنا إلى هنا".

كنا نغادر المكان ونسير على السلالم الأمامية عندما نادت علينا آنسة جوردان وأوقفتنا وأمسكت بذراع كونكلين.

قالت آنسة جوردان: "لقد فكرتُ مع نفسى. وأعتقد أنه ربما يكون ذلك نوعاً من الشائعات أو الثرثرة غير الصحيحة بالطبع وأنا لا أريد أن تقع أية مشكلة لأحد".

قال كونكلين: "يمكنك أن ترتاحى من هذه الناحية يا مارى. عليك فقط أن تقولى لنا ما تعتقدين أنك تعرفينه".

فقالت جوردان: "إحدى الفتيات قالت لى شيئاً وجعلتنى أقسم على ألا أقوله لأحد. قالت إن واحدة من المتدربات فى المكتب تركت من تعمل لديهم دون إخطار. أنا لا أتكلم عن أخلاقيات سيئة؛ لأنه مع الزوجين رينفرو جواز سفرها ولا يمكن للفتاة أن تحصل على عمل آخر دونه".

سألناها: "هل تم إبلاغ الشرطة عن الفتاة المفقودة؟".

أجابت آنسة رينفرو: "أعتقد ذلك. كل ما أعرفه هو ما قلتُه لكما. لقد علمتُ أن هيلجا شميدت اختفت ولم يسمع أحد بها ثانيةً".

الفصل ٦١

التهب الاجتماع مع المستأجرين إلى درجة الغليان بمجرد أن انضمت له سيندى. فحوالى مائتى شخص، قد يزيدون أو ينقصون، احتشدوا فى الردهة وحاولت رئيسة اتحاد السكان فيرن جولبرين ـ وهى امرأة جميلة صغيرة ترتدى نظارات طبية بالكاد كان رأسها يبرز وسط الزحام ـ أن تهدئ من الصخب.

صاحت آنسة جولبرين: "*بالدور*. مارجيرى؟ من فضلك أكملى ما كنتِ تقولين".

رأت سيندى مارجيرى جلين. كانت هى المرأة التى قابلتها فى حجرة القمامة أمس. كانت تجلس على أحد المقاعد وقد انحشرت بين ثلاثة آخرين من الحضور.

صاحت جلين: "أرسلت لى الشرطة بطاقة لكى أملأها. إنهم لن يفعلوا شيئاً بشأن بارنابى الذى كان بمثابة جزء من العائلة. الآن أشعر بالخطر لأنه قد رحل. هل من الأفضل أن أقتنى كلبًا آخر؟ أم من الأفضل أن أقتنى *بندقية*؟".

قالت جولبرين وهى تضم كلبها إلى صدرها: "أشعر بالرهبة والانزعاج مثلك تماماً لكنك لا يمكن أن تكونى جادة بشأن اقتناء بندقية! هل من شخص آخر؟".

وضعت سيندى حقيبة الحاسب الآلى الخاصة بها وهمست إلى امرأة سوداء الشعر جذابة كانت تقف بجوار مائدة الطعام الخفيف: "ما الذى يجرى؟".

سألتها المرأة: "هل تعرفين أمر بارنابى؟".

أجابت سيندى: "أخشى ذلك. لقد كنتُ فى غرفة القمامة عندما وجدته مارجيرى".

قالت المرأة سوداء الشعر: "أمر بغيض. هه؟ كان بارنابى حيواناً ولكن هل هذا يبرر أن يقوم أحدهم بقتله؟ إنه تصرف مجنون بالفعل. ما هذا... الـ (نيويورك)؟".

قالت سيندى: "الحقينى بالتفاصيل، هل يمكنك ذلك؟ فأنا جديدة هنا".

قالت لها سوداء الشعر: "بالطبع. حسناً. لم يكن بارنابى الأول. لقد عثروا على الكلب الـ"بودل" الخاص بالسيدة نيلى ميتاً عند السلالم، وقد لامت تلك المسكينة نفسها كثيراً لأنها نسيت أن تغلق باب المنزل".

قالت سيندى: "أعتقد أن الفاعل هو شخص يسكن فى البناية ممن لا يهتمون بالكلاب".

واصلت المرأة حكايتها قائلة: "أقصد. نعم. إلا أن هناك المزيد. قبل شهر كان السيد فرانكس ـ ذلك الرجل اللطيف الذى يعيش فى الطابق الثانى ـ ينتظر قدوم شاحنة فى حوالى منتصف الليل، وقد ترك لفيرن حزمة من خطابات التهديد كان يرسلها له من أسفل الباب لعدة أشهر".

سألتها سيندى: "أى نوع من التهديدات؟".

أجابتها المرأة: "*تهديدات بالقتل*. هل يمكنك تخيل ذلك؟".

عادت سيندى تسأل: "ولماذا لم يتصل بالشرطة؟".

قالت المرأة: "أظن أنه فعل، إلا أن الخطابات كانت مجهولة. ألقى ضباط الشرطة بضعة أسئلة ثم نسوا الأمر برمته. لقد كان هراء".

قالت سيندى متسائلة: "وأعتقد أن سيد فرانكس لديه كلب؟".

قالت المرأة: "لا. لديه جهاز تسجيل مجسم الصوت. أنا ديبى جرين بالمناسبة"، وابتسمت المرأة فى فخر وهى تقول: "أسكن فى الشقة٢ إف" وصافحت سيندى.

قالت سيندى: "وأنا سيندى توماس أسكن فى الشقة ٣ بى".

قالت ديبى: "سعيدة بلقائك. مرحباً بك فى (كابوس البلاكلى آرمز)".

ابتسمت سيندى فى تشكك وسألتها: "إذن أنت لستِ خائفة؟".

تنهدت سيندى وقالت: "أبداً. إلا أن شقتى رائعة... لدى موعد الآن".

قالت سيندى: "حظًا سعيدًا"، ثم استدارت بكل اهتمامها إلى الاجتماع؛ حيث وقف شخص كبير السن وقد انحنى ظهره، وقامت رئيسة اتحاد السكان بتعريفه قائلةً:

"سيد هورن".

قال سيد هورن: "شكراً لكم. ما يضايقنى حقاً هو الأمور الغامضة. الخطابات أسفل الأبواب. قتل الحيوانات الأليفة. أعتقد أن مارجيرى تعلم شيئًا. وإذا لم تتمكن الشرطة من مساعدتنا فعلينا تكوين دوريات من المستأجرين....".

انفجر المجتمعون فى الحديث فصاحت آنسة جولبرين قائلة: "أيها الناس، برفع الأيدى من فضلكم! توم، هل لديك شىء لتقوله؟".

وقف رجل فى الثلاثينات من العمر كان نحيلاً وأصلع وكان يقف على مبعدة من سيندى. قال الرجل:

"فكرة دوريات السكان تثير فزعى بشدة، فمن يثير الذعر فى الـ (بلاكلى آرمز) يمكن أن يسجل اسمه فى الدوريات وعندها لن يكون مضطراً إلى ترتيب الحيل. يمكنه أن يسير فى كل مكان ومعه حصانة. كم سيكون ذلك مخيفاً؟".

قالت آنسة جولبرين: "مع وجود ٣٨٥ شخصاً يعيشون فى هذه البناية، وأكثر من نصفهم موجودون الآن فإن هناك احتمالا بنسبة ٥٠٪ أن يكون من يثير فزعنا فى هذه الحجرة الآن".

الفصل ٦١

لم تر يوكى من قبل ليونارد باريزى وقد جن جنونه. "الكلب الأحمر" ـ كما يلقبونه ـ كان أحمر الشعر، طويل القامة، ويزن ما يزيد على مائتى رطل. كان دوماً لطيفاً إلا أن عينيه الداكنتين كانتا تطلقان الرصاص فى تلك اللحظة وهو يضرب مائدة الاجتماعات بقبضته.

فقفزت الأطباق الصينية التى تحمل بقايا الطعام فى الهواء.

نظر المحامون الجدد الخمسة إليه فى صدمة فيما عدا ديفيد هيل الذى كان صاحب الملاحظة الذكية التى تتلخص فى أن قضية برينكلى "لعبة سهلة".

زمجر ليونارد باريزى قائلاً: *"لا يوجد فى الأمر ما يمكن تسميته لعبة سهلة، ولكن قضية أو. جى كانت لعبة سهلة".*

قالت يوكى: "روبرت ديرست".

نظر باريزى فى وجوه المحيطين به، وقال: "بالضبط، لقد اعترف ديرست بأنه قتل جاره ومزقه إلى اثنى عشر جزءاً وألقاه

فى المحيط، وبعد ذلك أعلنت هيئة قضائية على شاكلته (أنه برىء)".

ثم عاد يتابع قائلاً: "وهذا هو التحدى الخاص بنا فى القضية يا ديفيد. لدينا اعتراف مسجل وأكثر من شاهد يمكن الاعتماد عليهم. لقد تم تسجيل الجريمة على شريط وبالتالى لم تعد القضية لعبة سهلة".

قال هيل: "لكن يا ليونارد، إن شريط الجريمة هذا يجعل المجرم فى حالة تلبس. إنه شريط يمكن الاعتماد عليه كدليل لا يُدْحَض".

ابتسم باريزى، وقال: "أنت كلب صيد حقيقى يا ديفيد. هل تعرفون كلكم من هو رودنى كينج؟"، وأخذ يفك رابطة عنقه.

ولما لم يجب أحد قال باريزى: "رودنى كينج هو سجين أسود تم إطلاق سراحه مؤخراً. رفض أن يخرج من سيارته بعد أن تم ضبطه وهو يقود بسرعة زائدة. تم إخراجه من السيارة وتعرض للضرب ستًا وخمسين مرة على يد أربعة من رجال الشرطة البيض... كان ضربًا دمويًا شديدًا وقد تم تسجيل كل شىء على شريط فيديو. وانتقلت القضية إلى القضاء وتمت تبرئة الضباط، ومن ثم انفجرت الاضطرابات العرقية فى لوس أنجلوس".

"إذن لم يؤد شريط التسجيل إلى أن تصبح القضية لعبة سهلة وربما يكون السبب كالتالى: فى المرة الأولى التى ترى فيها شريط رودنى كينج تصاب بالذعر، وفى المرة الثانية تصاب بالغضب إلا أنك عندما تراه للمرة العشرين ويدخل فى عقلك كل ركن فى مشهد الحادثة وتتذكره بقوة فإن تأثير الصدمة سوف يزول بالتأكيد".

"كل شخص لديه جهاز تليفزيون فى هذه البلاد شاهد مرة وأخرى شريط جاك رونى الذى يظهر فيه ألفريد برينكلى وهو

يطلق النار على أولئك الناس، والآن فقد أثره. هل تفهمون؟".

"إن الشريط معنا ويجب أن نكسب هذه القضية. ويجب أن نفعل كل شيء لنضع ألفريد برينكلى فى سجل المحكوم عليهم بالإعدام".

وأضاف باريزى وهو ينحنى للخلف فى مقعده: "إلا أنه سيكون علينا مواجهة محام ذكى وعنيد هو باربرا بلانكو. إنها لا تمارس المحاماة من أجل المال ولكنها تؤمن بعميلها وسوف يشعر المحلفون بذلك".

"يجب أن نكون مستعدين لكل شيء، وبذلك تنتهى محاضرة اليوم".

ساد صمت مشوب بالاحترام فى قاعة الاجتماعات. كان لين باريزى هو "الرجل" فى هذا المكان.

قال باريزى ليوكى: "يوكى، هل نسينا أن نناقش شيئاً؟".

أجابته: "أعتقد أننا غطينا كل شيء".

عاد يسألها: "هل تشعرين أنك بخير؟".

أجابته: "بالفعل أشعر بأننى بخير. أنا مستعدة للذهاب. لا أستطيع الانتظار".

قال: "بالتأكيد. فأنت فى الثامنة والعشرين، لكننى أحتاج إلى النوم. سأراك فى السابعة والنصف من صباح الغد فى المحكمة، وأنتم، ابقوا على استعداد. سوف نفحص القضية من جديد فى نهاية الغد".

ألقت يوكى تحية المساء على زملائها وغادرت القاعة وهى تشعر بالانفعال، وبأنها محظوظة لأنها ستكون مساعدة باريزى فى جلسة الغد صباحاً.

وعلى الرغم من لهجة باريزى الحذرة إلا أن يوكى كانت تشعر بالثقة؛ حيث إن برينكلى ليس أو. جى أو حتى روبرت ديرست؛ فهو لا يتمتع بجاذبية النجوم أو الشهرة الإعلامية.

فقبل أسابيع كان ينام فى الطرقات وفى جيبه مسدس محشو بالطلقات. لقد قتل أربعة من الغرباء.

بالتأكيد لن تسمح المحكمة بعودة الجنون إلى شوارع سان فرانسيسكو من جديد. *أليس كذلك؟*

الجزء الرابع

الادعاء ضد ألفريد برينكلى

الفصل ٦٢

وضعت يوكى حقيبة أوراقها بجوار حقيبة ليونارد على منضدة خارج القسم ٢١. ومرا بجهاز الكشف عن المعادن وسارا عبر الباب المزدوج إلى حجرة انتظار صغيرة قبل أن يمرا عبر باب مزدوج آخر إلى داخل قاعة المحكمة.

كان هناك الكثير من الصخب بينما كان الكلب الأحمر يسير ـ بقامته الفارهة وسترته الزرقاء الداكنة ـ بجوار يوكى التى كانت تحمل حقيبة ثقيلة فى الممر الواقع فى منتصف قاعة المحكمة. جذب ليونارد الباب الذى يفصل القاعة عن المنصة وترك يوكى تتقدمه قبل أن تتخذ مجلسها على طاولة الادعاء.

كانت يوكى ترتعد من الانفعال باعتبارها المرة الأولى. ولا يوجد المزيد لتفعله على سبيل الاستعداد، كما أنها لا تستطيع الانتظار. سَوَّتْ من ثيابها وأوراقها وألقت نظرة على ساعتها. كانت الجلسة على وشك البدء خلال خمس دقائق، بينما كانت طاولة الدفاع خالية.

سرى الاضطراب فى القاعة من جديد وما رأته أوقف قلبها تقريبًا فوكزت ليونارد الذى استدار.

كان ألفريد برينكلى قادماً يسير فى الممر، وكان قد حلق لحيته وقَصَّرَ شعره الطويل بأناقة وكان يرتدى حُلَّة من البوليستر الأزرق ورابطة عنق وقد بدا مسالمًا مثل الفراشة.

لكن لم يكن برينكلى هو ما جعل معدتها تتقلص وفمها ينفتح على اتساعه.

لم تكن باربرا بلانكو بجانب برينكى، فبدلاً منها كان هناك رجل فى بدايات الأربعينات ابيضَّ شعره قبل الأوان، وقد ارتدى حلة بلون الفحم الرمادى من ماركة بريونى ورابطة عنق صفراء عليها شعار أرمانى. أدركت يوكى أن ذلك الشخص هو محامى برينكلى الجديد.

وأدرك الجميع أيضاً تلك الحقيقة.

ابتسم باريزى فى صرامة، وقال: "أوه. ميكى شيرمان. تعرفينه، أليس كذلك يا يوكى؟".

قالت يوكى: "بالتأكيد أعرفه. لقد تشاورنا معاً أثناء الدفاع عن أحد أصدقائى قبل شهر واحد فقط".

قال باريزى: "نعم، أذكر. الملازم أول فى قسم مكافحة جرائم القتل الذى أدين بالقتل الخطأ". ثم خلع نظارته الطبية ونظف عدستيها بمنديله وهو يسألها: "ماذا قلتُ الليلة الماضية؟".

أجابته: "قلتَ استعدوا لأى شىء".

قال باريزى: "أحياناً أكره أن أكون على حق. ماذا يمكنك أن تقولى بخلاف حقيقة أن شيرمان يعشق الظهور الإعلامى؟".

قالت يوكى: "إنه شخص يحب الظهور ويترك التفاصيل للآخرين. يجب أن نبحث عن نقاط الضعف".

كانت يوكى تفكر فى كيف أن شيرمان استقال من منصبه

كنائب لمساعد المستشار لمدينة سان فرانسيسكو، وافتتح مكتباً صغيرًا. إنه يتولى قضية برينكلى كنوع من الدعاية حيث سيسلط الإعلام أضواءه على مكتب شيرمان وشركاه... إذا كسب القضية.

قال باريزى: "حسنًا. ليس معه فريق دفاع كبير. يجب أن نجد نقاط الضعف ونعمل على توسيعها، وبينما يتم ذلك سوف أتولى المشكلة الكبيرة التى يعانى منها والتى أدركتها بالفعل".

هزت يوكى رأسها موافقةً وقالت: "ألفريد برينكلى لا يبدو مجنونًا إلا أن ميكى شيرمان يا لين يدرك ذلك أيضاً".

الفصل ٦٣

وقفت يوكى فى انتباه عندما اتخذ القاضى نورمان مور مقعده. كان علم الولايات المتحدة على جانب وعلم ولاية كاليفورنيا على الجانب الآخر، وأمامه كان هناك إبريق قهوة وحاسب آلى محمول.

جلس المائتا شخص الموجودون فى القاعة عندما فُتِحَت الجلسة.

كان القاضى مور معروفًا بالعدالة وبأنه يترك مساحة للمحامين قبل أن يرفع الجلسة.

استغرق القاضى ربع ساعة كاملة فى تقديم التعليمات لهيئة المحلفين قبل أن يصوب عينيه الزرقاوين على ليونارد باريزى ويسأله: "هل الادعاء مستعد للبدء؟".

أجابه باريزى: "نعم سيدى".

وقف ليونارد باريزى وقد عقد الزر الأوسط فى سُتْرَتِه وسار باتجاه مقعد هيئة المحلفين، وحياهم. كان الكلب الأحمر كبيرًا

بالفعل؛ فساقاه طويلتان وكتفاه منحدران وواسعان. كان شعره الأحمر مجعدًا فيما كان جلده مليئًا بالبثور وخشنًا.

لم يكن ليونارد ذا شخصية محببة إلا أنه كان عندما يتكلم كان يسيطر على كل الحضور مثل الممثلين الكبار كرود ستايجر وجين هاكمان.

ببساطة، لا يمكنك أن تبعد عينيك عنه.

كان يقول: "السيدات والسادة، عندما تم اختياركم ضمن هيئة المحلفين قلتُم كلكم إنكم سوف ترون (شريط روني) الخاص بمأساة المعدية (ديل نورتيه). قلتُم إنكم يجب أن تتعاملوا بذهن متفتح مع كون المدَّعَى عليه متهمًا أو بريئًا. وقد تعهدتم بأن تحكموا على سيد برينكلى بما يثبت أمامكم فى هذه القاعة".

"وهذا هو السبب الذى يدفعنى لأن أخبركم كيف كان الوضع فى الأول من نوفمبر فى (ديل نورتيه) حتى تستدعوا من جديد صورة ما حدث".

"كان يومًا جميلاً مناسبًا للرحلة بالمعدية حيث درجة الحرارة ١٦ درجة مئوية بينما الشمس تسطع برفق. والكثير من السائحين كانوا يرتدون السراويل القصيرة لأن سان فرانسيسكو فى كاليفورنيا، أليس كذلك؟".

ضجت القاعة بالضحك فيما بدت السعادة على باريزى بسبب جودة كلمته الافتتاحية.

عاد باريزى يقول: "كان يومًا جميلاً انقلب إلى يوم من الجحيم لأن المدَّعَى عليه ألفريد برينكلى كان فوق المعدية".

"كان سيد برينكلى فقيرًا إلا أنه وجد تذكرة للرحلة فى سوق المزرعة، فقرر أن يذهب وكان معه مسدس محشو بالطلقات فى جيبه. ٦ طلقات".

"فى ذلك اليوم تحديدًا استقل سيد برينكلى المعدية إلى لاركسبير دون أية مشكلات إلا أنه فى رحلة العودة بينما كانت

المعدية ترسو في سان فرانسيسكو رأى المُدَّعَى عليه أندريا كانيلو تتناقش مع ابنها الصغير وهو صبي في التاسعة من العمر يحمل اسم توني".

"ولسبب لا يعلمه إلا سيد برينكلي فقط أخرج مسدسًا وأطلق النار على تلك الأم البالغة من العمرِ ثلاثين عامًا في صدرها".

كان باريزي يواصل كلامه قائلاً: "ماتت تقريبًا من فورها تماماً أمام ابنها الصغير. وبعد ذلك أدار ابنها عينيه الكبيرتين المذعورتين إلى الرجل الذي أطلق النار لتوه على أمه... فماذا فعل ألفريد برينكلي؟".

"أطلق ألفريد برينكلي النار على توني كانيلو الذي كان مسلحًا بقطعة من الآيس كريم. كان توني في الصف الرابع ينتظر مجيء العيد؛ حيث يخرج في نزهة بالدراجة وسط الجبال، وينتظر أن يكبر ويصبح رجلا".

"أخذ سيد برينكلي كل ذلك من توني كانيلو الذي مات في نفس يوم الحادث في المستشفى".

كان الألم الذي وضح على وجوه المحلفين يشير إلى أن باريزي نجح بالفعل في تحريك مشاعرهم، وقامت واحدة من المحلفين ـ وهي امرأة شابة ذات لون شعر غريب يتراوح بين الأحمر والبنفسجي ـ بعض شفتيها بينما سالت الدموع على وجنتيها.

توقف ليونارد عن الكلام احترامًا؛ مفسحًا المجال أمام المحلفة لكي تبكي.

الفصل ٦٤

عند هذه النقطة تحدث القاضي مور مخاطبًا الرجال الستة والنساء الستة أعضاء هيئة المحلفين سائلاً إياهم: "هل تحتاجون إلى فترة راحة؟ حسنًا، أكمل من فضلك يا سيد باريزي".

قال باريزي: "شكرًا سيدي"، وألقى نظرة على طاولة الدفاع فوجد ميكي شيرمان يهمس إلى موكله وكان قد أعطى ظهره لما يجري في القاعة في حركة ذات دلالة على أن مرافعة باريزي لم تزعج الدفاع أبدًا.

كانت حركة ذكية، وكان باريزي يعرف أنه كان ليفعل نفس الشيء. فواصل الكلام قائلاً: "كنتُ قد قلتُ لكم إن (ديل نورتيه) كانت قد وصلت إلى المرسى عندما أطلق سيد برينكلي النار على أندريا وتوني كانيلو. وكانت عملية الرسو تتم في ضجيج؛ حيث كان الضجيج أعلى من ذلك الصوت الذي صنعته الرصاصتان".

"إلا أن بعض الركاب فهموا ما حدث".

"كان السيد بير كونراد يعمل مهندسًا على المعدية فى ذلك اليوم. إنه رب أسرة لديه زوجة وأربعة من الأبناء اللطفاء وهو على بعد عامين من التقاعد. لقد رأى ألفريد برينكلى والمسدس فى يده ورأى جسدى أندريا وتونى كانيلو وقد سقطا على الأرض ينزفان".

"توجه سيد كونراد إلى سيد برينكلى لكى ينزع سلاحه إلا أن ألفريد أطلق النار على السيد كونراد بين عينيه".

"كان السيد ليستر ناج سمسار تأمين فى لاركسبير جاء إلى سان فرانسيسكو لقضاء بعض الأعمال. وكان أيضًا رب أسرة وطيارًا سابقًا فى الجيش الأمريكى ، حاول أيضًا أن ينتزع السلاح من سيد برينكلي. وتعرض لإطلاق نار فى الرأس وكان مسدس السيد برينكلى هو آخر شيء رآه السيد ليستر فى حياته".

"كلا الرجلين كان غير أنانى. كانا بطلين ولقد ماتا لهذا السبب".

"ولم ينته السيد برينكلى بعد".

توجه باريزى ناحية مكان جلوس المحلفين ووضع يده على السياج ونظر إلى كل المحلفين وهو يقول:

"كان السيد برينكلى يقف بجوار سيدة ينظر إليها هذا المجتمع باحترام؛ إنها الدكتورة كلير وشبورن خبيرة الفحص الطبى فى سان فرانسيسكو. وكانت دكتورة وشبورن مذعورة إلا أنها كانت قادرة على التعامل بعقلانية بحيث قالت لسيد برينكلى (حسنًا يا ولدى... أعطنى المسدس)".

"بدلاً من ذلك أعطاها سيد برينكلى رصاصة فى الصدر، وعندما هرع ولدها المراهق ويلى لنجدتها أطلق سيد برينكلى النار عليه أيضًا".

"لحسن الحظ اصطدمت المعدية بالرصيف فى تلك اللحظة وأخطأت طلقة السيد برينكلى السادسة والأخيرة هدفها، ولهذا

السبب نجا الشخصان الشجاعان كلير وويلى وشبورن وستكون دكتورة وشبورن شاهدة فى قضيتنا هذه".

توقف باريزى ليسمح لمشاعر الهلع من الموقف أن تثبت فى أذهان المحلفين قبل أن يعود إلى الحديث من جديد.

"لا يوجد مجال للشك فى أن كل شيء قلتُه حدث بالفعل".

"لا يوجد نقاش فى أنه بعيدًا عن عوامل الجنس والسن والعرق أو العقلانية فقد أطلق ألفريد برينكلى النار على أربعة أشخاص لا يعرفهم وقتلهم وحاول قتل اثنين آخرين".

"سيد جاك رونى الذى سيكون شاهدًا أيضًا فى هذه القضية سجل الحادثة على شريط فيديو سوف نريه لكم. وقد اعترف سيد برينكلى بهذه الأعمال البشعة، وسوف نعرض لكم هذا الاعتراف أيضًا".

"لا يوجد حامض نووى فى هذه القضية ولا بقع دماء ولا أنصاف بصمات أصابع ولا أى نوع من أدلة الطب الشرعى التى ترونها كل ليلة فى برامج الجريمة التليفزيونية؛ ذلك لأن هذه الجريمة ليست (فيلمًا سينمائيًا بوليسيًا)".

"أتعرفون من فعلها؟ إنه ذلك الجالس هناك".

وأشار باريزى إلى الرجل الذى يرتدى الزى الأزرق. كان رأس برينكلى قد سقط لأسفل على كتفيه مما جعل رقبته تبدو وكأنها انكمشت بينما سرحت عيناه الباهتتان فى نظرة للأمام. بدا الرجل وكأنه تحت تأثير علاج طبى؛ حتى إن باريزى تساءل عن القدر الذى سمعه أو فهمه برينكلى من مرافعته.

واصل باريزى مرافعته قائلا: "سيحاول الدفاع أن يقنعكم بأن سيد برينكلى مريض نفسيًا وبالتالى ليس مسئولاً عن أفعاله"، قالها باريزى وهو يسير نحو منصة الحديث مضيفاً: "سيكون لدى أطباء الدفاع القدرة على الوقوف هنا والقول إن المُدَّعَى عليه يحتاج إلى (العلاج) لا العقاب".

"لا مشكلة. لدينا أطباء عظماء يعالجون المحكوم عليهم بالإعدام".

"إن ادعاء الجنون لا يعفيك من الوقوع تحت طائلة القانون كما أنه لا يعني أنك لا تعرف أن قتل الناس يعد خطأ".

"السيدات والسادة، لقد أحضر ألفريد برينكلى مسدسًا محشوًا فوق المعدية واستهدف ضحاياه عمدًا وفى مناطق قاتلة من الجسد. لقد قتل أربعة منهم، وبعد ذلك هرب من مسرح الجريمة".

"لأن ألفريد برينكلى يعلم أن ما فعله كان خطأ".

"سوف نثبت لكم أن سيد برينكلى عاقل وفقًا للشروط القانونية وأنه ارتكب أربعة جرائم قتل ومحاولتى قتل، وسوف نطلب منكم (إدانته) بكل الوسائل".

"نشكركم لانتباهكم، وأعتذر عن تسببى فى بكاء بعضكم، إلا أن جرائم القتل تلك مأساوية بحق".

الفصل ٦٥

شاهدت يوكى ميكى شيرمان وهو ينهض من مكانه عند طاولة الدفاع ويتجه إلى المنصة.

قدم شيرمان نفسه للمحلفين ويداه في جيبيه واستطاع بهذا الأسلوب وبطريقة حديثه الساحرة أن يستولى على انتباههم من العبارة الأولى.

بدأ شيرمان كلامه بالقول: "أيها الحضور، كل ما يقوله لنا المُدَّعِى هو الحقيقة"، وكانت بداية جريئة فى رأى يوكى فهى لم تسمع من قبل عن محامى دفاعٍ اتخذ مثل هذا الموقف من قبل.

كان شيرمان يواصل قائلا: "تعرفون ما حدث على (ديل نورتيه) فى الأول من نوفمبر. لقد أحضر سيد برينكلى معه بالفعل مسدسًا محشوًا بالطلقات إلى سطح المركب وأطلق النار على أولئك الأشخاص دون مراعاة لتداعيات ذلك عليهم... أو على نفسه".

"لقد كان حوله مائتان وخمسون شخصًا شاهد بعضهم إطلاق النار، ولم يلق سيد برينكلي بالمسدس بعيدًا بعدما فر من (ديل نورتيه)، لم يتخلص من (الدليل)".

"هذا ما لا تستطيعون تسميته بالجريمة الكاملة. فقط شخص مجنون هو الذى يمكن أن يتصرف ويسلك بهذه الطريقة".

"لذلك فإن ما حدث ليس لغزًا".

"لكن المثير للانتباه فعلاً هو الدافع لانعقاد تلك المحاكمة".

"لم يع سيد برينكلى أفعاله لأنه عندما أطلق النار على أولئك الأشخاص سيئى الحظ كان مجنونًا وفقًا للشروط القانونية".

"ولأن قضية (الجنون القانونى) ستكون هى أساس حكمكم فى قضية سيد برينكلى فإنها فرصة مناسبة لتعريف المصطلح".

"القضية هى: هل كان سيد برينكلى يفهم أن أفعاله خطأ عندما ارتكب جرائمه؟ إذا لم يكن يفهم أن تلك الأفعال خطأ لأنه يعانى من مرض عقلى أو ضعف فى كفاءة عقله فى وقت وقوع الجرائم فإنه يعتبر (مجنون قانونيًا)".

توقف ميكى شيرمان، وأخذ يرتب أوراقه على منضدة القراءة ثم بدأ فى متابعة كلامه فى نبرة شعرت ميكى بالإعجاب تجاهها وبالخوف منها فى الوقت ذاته، كانت ناعمة على الأذن كما لو كان واثقًا أن المحلفين لا يحتاجون إلى أية مؤثرات مسرحية أخرى لأن حججه وأدلته ليست فقط مُقنِعَة ولكنها حقيقية.

قال شيرمان لهيئة المحلفين: "تم تشخيص حالة سيد برينكلى على أنها انفصام فى الشخصية. إنه يعانى مرضًا مثل السرطان والسكرى. مرض إعاقة جاءه عن طريق الوراثة وبسبب صدمة تعرض لها فى الطفولة".

"إنه لم يطلب الحصول على ذلك المرض، ولكنه أصيب به رغمًا عن إرادته".

"إن ذلك يمكن أن يحدث لكم ولى ولأى شخص فى هذه القاعة. وأى مرض يمكن أن يكون أسوأ من أن ينقلب عليك عقلك ويدفعك للتفكير والإتيان بتصرفات تتناقض بصورة كاملة مع شخصيتك وطبيعتك؟".

"أريد أن أقول الآن إن قلوبنا مع كل ضحايا تلك المأساة. إذا كانت هناك طريقة يمكننا بها أن نعيد عقارب الساعة إلى الوراء، إذا كان من الممكن أن يتعاطى فريد برينكلى حبة دواء سحرية أو حقنة تشفيه فى الأول من نوفمبر ونستعيد أرواح أولئك الناس فإن ألفريد سيفعل ذلك فورًا".

"إذا كان يعلم أنه مريض عقليًا فإن سيد برينكلى كان سوف يتلقى العلاج، إلا أنه لا يعرف السبب وراء تلك المشاعر التى انتابته".

إن حياة سيد برينكلى تمثل لنا معنى عبارة "جحيم الحياة".

الفصل ٦٦

كان ميكى شيرمان يشعر بالتدفق المتع المستمر للأدرينالين فى جسده، والذى حدث بسبب معرفة ميكى بما يفعله وإيمانه بعميله. إن برينكلى ـ ذاك الشخص المسكين ـ كان قد بدأ يعى العالم المحيط بعد ١٥ عامًا من المعاناة حيث كان مرضه يتقدم.

وكم هو مؤسف هذا العالم. يذهب إلى المحاكمة لأن حياته تختفى أسفل غطاء كثيف من العلاج النفسى.

كان الأمر كله عبارة عن مأساة ملعونة.

قال شيرمان بينما كان يروح ويجىء أمام مجلس هيئة المحلفين: "إن سيد برينكلى يسمع أصواتًا، لكننى لا أعنى ذلك (الصوت الضعيف) الذى نسمعه كلنا فى رءوسنا والذى هو عبارة عن حوار فردى يساعدنا فى تشخيص مشكلاتنا أو كتابة كلمة أو العثور على مفاتيح سياراتنا".

"إن الأصوات التى يسمعها سيد برينكلى آمرة متطفلة مسيطرة وقاسية".

"وهذه الأصوات تؤنبه بلا هوادة وبصرامة، وتوجه إليه إهانات مُنْحَطَّة وبالتالى دفعته إلى القتل، وعندما يشاهد التليفزيون اعتقد أن الأشخاص ومقدمى النشرات يتحدثون إليه مباشرة ويتهمونه بالقتل وكذلك أيضًا يأمرونه بما يفعل".

"بعد سنوات من محاربة هذه الشياطين أطاع فريد برينكلى فى النهاية تلك الأصوات".

"السيدات والسادة، فى وقت إطلاق النار، لم يكن برينكلى على صلة بالواقع".

"لم يكن يعلم أن الأشخاص الذين أطلق عليهم النار فى المعدية من لحم ودم؛ فقد كانوا بالنسبة له جزءًا من الهلاوس المؤلمة التى تعيش فى عقله".

"بعد ذلك، شاهد سيد برينكلى التقارير الإخبارية التليفزيونية التى تظهره وهو يطلق النار على الناس فى المعدية ولأن الصور كانت تعرض على التليفزيون فقد اكتشف ما فعل فواتاه شعور غامر بالندم والذنب وكراهية النفس؛ حتى إنه سلم نفسه إلى الشرطة بمحض إرادته".

"لقد تنازل عن كل حقوقه واعترف لأنه بعد ارتكاب الجريمة سمح له الجزء السليم من عقله أن يفهم فظاعة أفعاله".

"يجب أن يعطيكم هذا نافذة تطلون منها على شخصية هذا الرجل".

"إن الادعاء يريد أن يجعلكم تظنون أن أصعب قرار الذى تنوون اتخاذه هو عبارة عن قمة الإنسانية".

"إلا أنكم لم تقرءوا القصة كاملةً بعد".

"الشهود الذين يعرفون سيد برينكلى والأخصائيون النفسيون الذين فحصوه سوف يقدمون شهاداتهم بشأن شخصيته وماضى وحاضر حالته العقلية".

"عندما تسمعون تلك القضية بصورة كاملة أنا متأكد من أنكم سوف تجدون فريد برينكلي (غير مذنب) بسبب ضعف أو مرض عقلي".

"لأن الحقيقة هي أن فريد برينكلي رجل صالح يعاني من مرض عقلي رهيب يبدل الشخصية".

الفصل ٦٧

في الساعة السادسة والنصف من تلك الليلة جلست يوكي وليونارد في الحجرة السفلية من مطعم لولو، وهو مخزن قديم تحول إلى مطعم مشهور يقع غير بعيد عن المحكمة.

اجتاح يوكي شعور بأنها من ضمن الفريق (أ) الرابح. اندمجت يوكي في تناول دجاجتها المشوية بينما أخذ لين يأكل بشراهة من بيتزا الجمبرى المتبلة التي طلبها، وأخذ الاثنان يراجعان أحداث اليوم وهما يتناولان الطعام محاولين تجاوز العقبات الرئيسية ويخططان لكيفية تجاوز تلك العقبات في اليوم التالي من القضية.

ملأ ليونارد كأسيهما بالشراب وقال مازحًا: "جرررررر. احترس من فريق الكلب الأحمر".

ضحكت يوكي وهي تضع أوراقها في حقيبة جلدية كبيرة بينما كانت أطباق العشاء تُرْفَع. لا يمكن أن يكون العمل في الادعاء المدني ممتعًا مثلما هو الآن.

تعالت في المكان رائحة خشب الجوز المحترق من المدفأة وبينما ازدحم المكان بالرواد تعالت الضحكات حتى تجاوزت الجدران والسقف.

قال لين ليوكي: "قهوة؟".

أجابته: "بالطبع، أشعر بالتفاؤل وأعتقد أننا سوف نكسب القضية".

قال ليونارد وهو يرفع يده مشيرًا إلى النادلة: "أؤيد ذلك". وفجأة ارتخت ملامح وجهه، ووضع يده على صدره ووقف نصف وقفة وهو يميل ناحية مسند المقعد الأمر الذى أدى إلى انقلاب المقعد وسقوط ليونارد على الأرض.

سمعت يوكى صينية تسقط بجوارها وأطباقًا تتحطم وأحدهم يطلق صرخة.

ثم أدركت أن الصرخة جاءت منها هي.

قفزت من مقعدها وانحنت على الرجل الضخم الذى كان يتقلب على الجنبين ويئن.

صاحت فى هلع: *"ليونارد! لين، ما الذى يؤلمك؟"*.

غمغم بشيء ما، إلا أنها لم تستطع أن تسمع ما قال بسبب الضجة المحيطة.

سألته ثانيةً: "هل يمكنك أن ترفع ذراعيك يا لين؟".

صاح فى ألم: "صدرى، اطلبى زوجتى".

قال أحد الرجال من فوق كتفي يوكى: "يمكننى أن آخذه فى سيارتى إلى المستشفى. سيارتى فى الخارج".

قالت يوكى: "شكرًا، ولكنَّ ذلك سوف يستغرق وقتًا طويلاً".

عاد الرجل يقول: "انظري. المستشفى تبعد ١٠ دقائق فقط...".

قاطعته قائلةً: "من فضلك. لا. شكرًا. خدمة الطوارئ سوف تأتي بالمستشفى له. حسنًا؟".

جذبت يوكى حقيبتها وأفرغت محتوياتها على الأرض والتقطت هاتفها الخلوى. لقد منعت الشخص طيب النية الذى كان خلفها لأنها تخيلت الزحام المرورى والانتظار لثلاث ساعات خارج غرفة الطوارئ، وهو ما كان سيحدث إذا أخذت لين سيارة إسعاف للمستشفى.

كان هذا هو الخطأ الذى ارتكبوه مع والدها.

قبضت يوكى على يد لين وأنصتت إلى صوت جرس الهاتف. كانت تهمس فى نفاد صبر: *"أسرِع. أسرِع"*، وعندما أجاب عامل خدمة ٩١١، قالت فى صوت واضح ومتلهف:

"هذه حالة طوارئ. ارسلوا سيارة إسعاف إلى مطعم لولو فى ٨١٦ شارع فولسوم. صديقى يعانى أزمة قلبية".

الفصل ٦٨

كنت أنا وكونكلين نجرى بعض المكالمات الهاتفية بشأن قضية ريتشي/ تايلر عندما اندفع جاكوبى فجأة إلى حجرة الفرقة قائلاً لنا: "يبدو كلاكما فى حاجة إلى بعض الهواء".

وبعد خمس عشرة دقيقة وقبل السابعة صباحًا تمامًا خرجنا إلى مبنى سكنى بالقرب من شيرد وتاونسيند وقد تبعتنا ثلاث سيارات دورية وسيارتا إطفاء وشاحنة فحص طبى.

قلتُ لكونكلين: "هذا أمر مُقْلِق. أنا أعرف هذا المكان. صديقتى سيندى تعيش هناك".

حاولتُ الاتصال بسيندى إلا أن هاتفها الخلوى أعطى إشارة أن الخط مشغول بينما لم يرد هاتفها المنزلى.

نظرت فلم أر سيندى وسط حشد السكان الذين تجمعوا فى حلقات بالقرب من الحائط الجانبى للمبنى وهم يدلون بشهاداتهم إلى رجال الشرطة وقد أخذوا يتطلعون إلى واجهة مبنى بلاكلى

آرمز والستائر الشاحبة التى أخذت تهتز مع الريح وتظهر من نافذة الطابق الخامس.

كانت سيندى تعيش فى الطابق الثالث إلا أن شعورى بالارتياح كان مفاجئًا وقصيرًا. لقد مات أحدهم فى المبنى الذى تقيم فيه سيندى.

كان حارس المبنى - وهو رجل فى منتصف الأربعينات له جبهة منحدرة وشعر رمادى مجعد برز من أسفل قبعته - يسير خارج الباب الرئيسى. كانت لديه نظرة من تلك التى تميز الناشطين فى مجال السلام كما لو كان أحد الثائرين فى الستينات. أخبرنا أن اسمه جوزيف بينكى بويد وأنه يعمل فى المبنى منذ ثلاث سنوات.

قال لنا: "آنسة بورشا فوكس فى الشقة ٥ كيه كانت هى أول من شم رائحة الغاز فاتصلت بنا منذ حوالى نصف ساعة. نعم". قال الكلمة الأخيرة وهو ينظر فى ساعته.

سألتُه: "وهل اتصلت أنت بالمطافئ؟".

أجاب: "نعم. وحضروا فى حوالى خمس دقائق".

من جديد سألتُه: "أين من قدمت البلاغ؟ آنسة فوكس".

قال: "من المحتمل أن تكون هنا خارج المبنى. لقد أخلينا الطابق الخامس كله. لقد رأيتها... سيدة وولكوسكى. من الرهيب أن ترى شخصًا ميتًا فى الواقع. شخصًا تعرفينه".

قال كونكلين لحارس المبنى: "من يمكن أن تعتقد أنه يريد إيذاء سيدة وولكوسكى؟".

أجابه الحارس: "لا أحد. لقد كانت بسيطة وكانت تشتكى من وصول خطابات لا تخصها إلى بريدها. من وجود آثار أقدام على البلاط. أشياء من هذا القبيل. إلا أنها كانت سيدة عجوز طيبة".

فعاد يسأله كونكلين: "سيد بويد، هل كنتَ هنا طوال اليوم؟".

قال الحارس: "منذ الثامنة صباحًا".

سألتُه أنا: "هل لديكم كاميرات مراقبة؟".

أجاب الحارس: "السكان لديهم هواتف مزودة بكاميرا تتيح لهم نقل صورة من يدق الجرس. هذا كل شيء".

فعدتُ أسأل: "ماذا يوجد بالأسفل؟".

قال الحارس: "حجرة الغسيل وحجرة القمامة وحمام وباب يقود إلى الساحة".

سأله كونكلين: "باب مغلق؟ هل به إنذار؟".

قال لنا بويد: "من المعتاد أن يكون به إنذار. إلا أنه بعد التجديدات التى أجروها أصبح عاديًا وصار مع كل ساكن مفتاح له".

قلتُ أنا: "حسنًا. إذن لا توجد إجراءات أمن حقيقية بالأسفل. هل رأيتَ أى شخص أو أى شيء مثير للشكوك فى المبنى اليوم؟".

كانت ضحكة بويد مختلطة بالهيستريا، وهو يقول: "رأيتُ شخصًا مثيرًا للشكوك؟ فى هذه البناية؟ هذا أول يوم لى منذ شهر *لا أرى* فيه مثل ذلك".

الفصل ٦٩

كان الشرطى الواقف خارج الشقة ٥ جيه مبتدئًا ويدعى مات هارتنت. كان طويلاً يشبه جيمى سميتس قليلاً. تجمع العرق فوق شفته العليا فيما شحب الجزء الواقع أسفل عينيه الداكنتين.

قال وهو يسلم لى التقرير: "الضحية اسمها سيدة إيرين وولكوسكى. كانت آخر مرة شوهدت فيها على قيد الحياة هذا الصباح فى حجرة الغسيل فى حوالى الحادية عشرة. لم يعد الزوج بعد من العمل ومازلنا غير قادرين على الاتصال به. زميلى وفريق عمل آخر يستجوبون السكان فى الشارع".

هززتُ رأسى موافِقة ،ووقعتُ على التقرير باسمى واسم كونكلين. تجمعنا أسفل الشريط الممتد عبر الممر ودخلنا إلى موقع الحادث الذى كان مكتظًا برجال المعمل الجنائى الذين أخذوا يلتقطون الصور للضحية.

كانت الغرفة معبأة برائحة الغاز.

كانت النوافذ على الجانبين مفتوحة لتجدد هواء الغرفة الأمر الذى جعل جوها أكثر برودة من الجو فى الشارع.

كانت الضحية مستلقية على ظهرها وسط أرضية المنزل، وقد التفت يديها حول خصرها وهو الوضع الذى جعلها غير قادرة على الدفاع عن نفسها وقت وقوع الهجوم الأصلى أو حاليًا أمام عبث الغرباء.

كان هناك دماء تسيل من أسفل رأسها ولاحظتُ أنها اختلطت بالسجادة الرمادية الشاحبة، كما أنها لوثت جزءًا حول إحدى أرْجُل البيانو.

فيما كان البيانو مُحَطَّمًا!

ما بقى من لوحة مفاتيح البيانو كان ملوثًا بالدماء ومحطمًا، وكانت المفاتيح قد أزيلت من مكانها وتكسرت فيما تناثر الكثير منها على الأرض كما لو أن أحدًا قام بالضرب على البيانو بمطرقة مرارًا وتكرارًا.

كان دكتور جيرمانيوك قد أعَدَّ أضواء محمولة لإنارة كل ركن فى الغرفة. وكانت تبدو على الغرفة آثار توضح أنها كانت على الدوام مأهولة وتم تأثيثها حديثًا. فقد لاحظتُ أن إحدى أرْجُل الأريكة لا تزال تحمل جزءًا من الغطاء البلاستيكى الواقى.

حيانى دكتور جرمانيوك وعَدَّلَ من وضع نظارته على أنفه بظهر يده ووضع كاميرته جانبًا.

سألتُه: "ماذا لدينا؟".

قال دكتور جيرمانيوك: "أمر مثير جدًا، فيما عدا البيانو وفَتْح شعلة الغاز فى الموقد فلم يتم مس أى شىء آخر".

كان مسرح الجريمة منظمًا ـ أو يمكن القول مرتبًا بعناية ـ وهو الأمر الذى يعنى دائمًا أن الجريمة تم التخطيط لها بدقة وأن القاتل كان ذكيًا.

قال دكتور جرمانيوك: "تعرضت الضحية لضربتين قويتين على رأسها من الأمام والخلف ويبدو لى أنه تم استخدام أداتين مختلفتين فى كل مرة وكان البيانو إحداهما".

"سوف أقدم لك المزيد بعدما أنتهى من فحص سيدة وولكوسكى ولكننى سأخبرك بشىء الآن. إن جثتها لم تمر بعد بمرحلة التيبس بعد الموت، ولا تزال دافئة بينما بدأ شحوب ما بعد الموت لتوه فى الظهور. إن هذه المرأة لم تمت إلا قبل ساعتين أو ربما أقل، لقد وصلنا بعد فرار القاتل بقليل".

الفصل ٧٠

سمعتُ صوت سيندى فى الممر فاندفعت خارج مسرح الجريمة وألقيت بذراعي حولها في الردهة.

غمغمت: "أنا بخير. أنا بخير. لقد وصلتنى رسائلك للتو".

سألتُها: "هل تعرفين الضحية؟".

أجابت سيندى: "لا أعتقد ذلك. ليس بالاسم،دعينى أرها".

كان مسرح الجريمة محظورًا، وهي تعرف ذلك إلا أن ذلك كان على الدوام محور معارك دخلتُها ضد سيندى من قبل وخسرتها. إن تلك النظرة كانت تلتمع فى عينيها الآن... نظرة العناد والإصرار والخبث.

قلتُ لها: "قفى جانبًا ولا تلمسى شيئًا".

قالت: "أعرف ذلك. لن أفعل".

عدتُ أقول: "إذا اعترض أحد فعليك مغادرة المكان. وأريد تعهدًا منك بألا تنشرى أى شيء عن سبب الوفاة".

قالت: "أتعهد".

أشرتُ إلى ركن خال فى الغرفة فذهبت سيندى هناك. شحب وجهها لمرأى القتيلة علىٰ الأرض إلا أن كونها واحدة من سكان المنزل ه جيه فقد دخلت بلا سؤال.

قال كونكلين وهو يشير بذقنه إليها فى مكانها بركن الغرفة: "هذه سيندى؟".

أجبتُه: "نعم. إنها موثوق بها".

قال: "إنك طالما تقولين ذلك".

قدمتُ ريتش إلى سيندى فيما كان جسد سيدة وولكوسكى يتم وضعه فى الغطاء الجلدى. أخذنا نتبادل الآراء حول الجريمة بينما كانت الرياح الباردة تهب داخل المنزل.

قلتُ لكونكلين: "دعنا نقل إن القاتل هو شخص تعرفه، أحد قاطنى البناية. إنه يدق جرس الباب ويقول (مرحبًا إيرين. عذرًا لإزعاجك. هذا يبدو لطيفًا)".

قال كونكلين: "أو ربما يكون زوجها. عاد من العمل مبكرًا، وقتلها ثم انسل هاربًا، أو ربما يكون صديقًا، أو عشيقًا، أو أحد الغرباء".

قالت سيندى: "أحد الغرباء؟ لا أعتقد ذلك. لن أسمح لأى غريب بدخول بيتى، هل تسمح أنت؟".

قال كونكلين: "حسنًا، فهمتُ غرضك. لكن على أية حال، لقد كانت تجلس على البيانو وصوت الموسيقى يغطى على صوت الباب وهو ينفتح فيما أن هذه السجادة اللطيفة السميكة تمتص صوت الأقدام".

قلتُ موافِقة: "تمامًا".

سَألَتُ سيندى: "هل هذه حقيبة يدها؟".

كانت هناك حقيبة نقود نسائية سوداء ذات بريق قد استقرت على أحد المقاعد. فتحتُها وأخرجتُ منها حافظتها وأريتُ كونكلين عددًا من الأوراق المالية ومجموعة كاملة من بطاقات الائتمان.

قالت سيندى وهى تتذكر القصة : "لقد كانت هناك عندما تم العثور على جثة أحد تلك الكلاب".

هز ريتش رأسه وتأرجح شعره أمام عينيه، وقال: "هناك إشارات متزايدة على أن القاتل مريض نفسيًا...؟ لنتكلم عن الإفراط فى القتل. فمن ناحية لدينا الضرب وتحطيم البيانو ولكن لماذا اللجوء إلى الغاز؟".

قلتُ: "ربما كان إما يريد أن يتأكد من أنه لن يتم اكتشافها أو كان يريد أن يتأكد من أنها ستموت"، ونظرتُ إلى سيندى وقلتُ لها : "ولا كلمة واحدة عن ذلك فى الـ (كرونيكل)".

الفصل ٧١

لم تستطع يوكى التوقف عن التفكير فى وجه لين وهو يتلوى من الألم بينما كانت الأزمة القلبية التى أصيب بها تكاد تقتله. لقد تركته فى المستشفى الليلة الماضية فى وضع مستقر ولكن فى حالة ضعف، بعد ذلك طلبت ديفيد هيل فى المنزل وتركت له رسالة على جهاز الرد الآلى قالت له فيها: "هناك حالة طوارئ. قابلنى فى السادسة صباحًا واستعد للذهاب إلى المحكمة".

والآن يوكى تجلس أمام ديفيد فى قاعة الاجتماعات غير المرتبة؛ حيث كان دفتر ملاحظاتها وقهوتها أمامها وقد أحضرت رفيقها فى المكتب على وجه السرعة.

سألها ديفيد: "لماذا لا نطلب تأجيلاً؟"، كان ديفيد حسن المظهر اليوم فى سُترة مطرزة سوداء مائلة للون الأصفر وسروال أزرق ورابطة عنق مخططة. كان يحتاج إلى قص شعره إلا أن ذلك لم يكن بالإمكان. ومن بين كل أولئك العاملين معها فى المكتب كان هيل الوحيد الذى يمكن الحصول منه على أفضل أداء.

قالت يوكى وهى تنقر على المائدة بملعقة بلاستيكية: "ثلاثة أسباب؛ الأول أن ليونارد لا يريد أن يفقد رونى كشاهد. إنه ضعيف وقد كان فى إجازة عندما صَوَّرَ إطلاق النار. ربما لا نتمكن من الوصول إليه من جديد عندما نحتاج إليه، الأمر الذى يعنى أنه قد يتم استبعاد الشريط من أدلة الإثبات".

"حسنًا".

واصلت كلامها قائلةً: "الثانى، هو أن ليونارد لا يريد أن يخسر القاضى مور".

علق هيل قائلا: "نعم، أفهم ذلك أيضًا".

واصلت يوكى: "قال لين إنه سيكون فى المحكمة ليقدم ملخصه النهائى".

سألها هيل: "هل قال ذلك؟".

أجابت: "نعم، عندما كانوا يجهزونه للجراحة. كان صافى الذهن ومتماسكًا".

سألها هيل: "ماذا قال الطبيب؟".

أجابته يوكي: "سوف أنقل لك ما قاله الطبيب: (إن هناك احتمالاً كبيرًا أن الأضرار التى أصيب بها قلب ليونارد يمكن معالجتها)".

عاد يسأل: "هل اضطروا لفتح صدره؟".

قالت: "نعم، لقد اتصلت بزوجة لين، وقالت إنه مر بالجراحة".

فقال هيل متسائلاً: "وهل سيقوم بتقديم ملخصه خلال ما لا يزيد على الأسبوع؟".

قالت: "من المحتمل ألا يستطيع. ولن يستطيع القيام بأى مجهود إضافى، وهذا ما يوصلنا إلى النقطة الثالثة. لقد قال لين إننى مستعدة للقضية بنفس قدر استعداده وإنه يثق فينا، ولن نخذله.

حَدَّقَ ديفيد هيل فيها مفتوح الفم قبل أن يقول فى النهاية: "يوكى، ليس لدى أية خبرة بالمحاكم".

قالت: "أنا لدى. سنوات عديدة".

قال: "لكن خبرتك فى القضايا المدنية لا فى الجنائية".

صاحت يوكى: "اصمت يا ديفيد. لقد كنت مسئولة رفع دعاوى قضائية وهذا أمر يجب أن يوضع فى الحسبان؛ لذلك يجب أن نقدم للكلب الأحمر كل جهدنا. سوف نقضى الساعات الثلاثة التالية فى حصر ما نعرفه عن تلك القضية".

"لدينا شهود عيان على قدر عال من المصداقية وشريط رونى، ولدينا هيئة محلفين قد تغفل فكرة المرض العقلى".

"هذا ما قاله لين فى الجلسة التحضيرية؛ كلما كانت الجريمة عشوائية وكلما انعدمت الدوافع للقتل فإن المخاوف تزداد من أن تحكم هيئة المحلفين بعرض برينكلى على مصحة عقلية لمدة ٤٥ دقيقة قبل أن يتم إطلاق سراحه".

توقفت يوكى عن الكلام لتتأمل الابتسامة التى بدأت تغزو وجه ديفيد هيل قبل أن تسأله: "فيم تفكر يا ديفيد؟ لا. لقد تذكرت. من فضلك لا تقلها"، هكذا كانت تقولها وهى تجاهد لكى لا تضحك.

قال رفيقها الجديد فى القضية: "قضية سريعة الفتح والإغلاق. إنها لعبة سهلة".

الفصل ٧٢

وقفت يوكى فى منتصف قاعة المحكمة وقد انتابتها مشاعر الخوف كما لو كانت أول قضية تتولاها. كانت تتشبث بحافة منصة الخطابة وهى تفكر فى كيف أنَّ المنصة كانت تبدو وكأنها مسند موسيقى عندما كان يقف لين وراءها. كانت تنظر من فوق حافتها كما لو كانت طالبة فى السنة النهائية.

نظرت إليها هيئة المحلفين فى انتظار أن تتكلم.

هل يمكن أن تقنعهم حقًا بأن ألفريد برينكلى متهم بارتكاب الجريمة؟

طلبت يوكى أول شاهديها، وهو ضابط يدعى بوبى كوهين له خبرة ١٥ عامًا فى سلك الشرطة، وكان مبدأ الاستناد إلى الحقائق فقط الذى يعمل به يعطى دعمًا كبيرًا للقضية.

سألته عما رآه عندما وصل إلى (ديل نورتيه) وماذا فعل، وبعد أن انتهت كان لمنافسها ميكى شيرمان سؤال واحد فقط للضابط كوهين هو:

"هل شاهدت الحادث على المعدية؟".

أجاب الضابط: "لا. لم أشاهده".

فقال شيرمان: "شكرًا لك. هذا هو كل ما أريد أن أسمعه".

قالت يوكى فى نفسها إنها حققت ما تريد من شهادة الضابط كوهين؛ حيث إنه على الرغم من عدم رؤيته للحادث إلا أنه أوضح وقام برسم أبعاد المشهد فى ذهن هيئة المحلفين واضعًا صورة الدمار الإنسانى فى عقولهم وهى الصورة التى سوف تقوم باستغلالها الآن.

طلبت بيرنارد سترينجر، وهو عامل إطفاء شاهد برينكلى وهو يطلق النار على أندريا وتونى كانيلو. اتجه سترينجر إلى المنصة وحلف اليمين قبل أن يتخذ مقعده. كان فى أواخر العشرينات بوجه كبير وملامح أمريكية خالصة وكان أشبه بلاعبى البيسبول.

قالت يوكى: "سيد سترينجر، أى نوع من الأعمال تزاول؟".

أجابها: "أنا رجل إطفاء فى المحطة ١٤ الموجودة عند تقاطع شارعى ستة وعشرين وجيرى".

سَألَته: "ولماذا كنت على متن (ديل نورتيه) فى الأول من نوفمبر؟".

قال مبتسمًا: "أنا أب أقدر إجازة نهاية الأسبوع، وأبنائى يحبون ركوب المراكب".

واصلت الأسئلة: "وهل وقع أى شيء غير طبيعى فى ذلك اليوم؟".

قال: "نعم، رأيت إطلاق النار على سطح المعدية".

سَألَته: "وهل من أطلق النار موجود فى قاعة المحكمة اليوم؟".

أجابها سترينجر: "نعم، موجود".

عادت تسأل: "وهل يمكنك أن تتعرف عليه".

قال: "إنه الجالس هناك مرتديًا السترة الزرقاء".

فقالت يوكى: "فليسجل كاتب المحكمة أن سيد سترينجر أشار إلى المدعى عليه ألفريد برينكلى. سيد سترينجر، كم كنتَ تبعد عن أندريا كانيلو وابنها أنطونى كانيلو عندما أطلق عليهما سيد برينكلى النار؟".

قال: "على نفس المسافة التى بينى وبينك الآن. حوالى خمس أو ست أقدام".

سَأَلَتْه: "هل يمكنك أن تقول لنا ماذا رأيت؟".

تقلصت ملامح وجه سترينجر وهو يحاول التركيز فى استعادة لحظات ذلك اليوم الدامى المرعب قبل أن يقول: "كانت سيدة كانيلو توبخ الصبى وكانت فظة نوعًا ما معه. ولكن لا تسيئوا فهمى، فهى لم تسئ إليه، ولكن الصبى هو الذى أخذ الموضوع بحساسية، وكنتُ أفكر فى التدخل إلا أننى لم أقل شيئًا؛ لأن المدَّعَى عليه أطلق النار عليهما، ثم أطلق النار على الولد الصغير وبعد ذلك تتابعت الأحداث فى جنون".

من جديد سَأَلَتْه: "هل قال سيد برينكلى أى شىء لأى من الضحيتين قبل إطلاق النار عليهما؟".

أجاب سترينجر: "لا، لقد أطلق فقط رصاصاته. فى الواقع لقد قتلهم ببرود".

تركت يوكى كلمات بيرنارد سترينجر معلقة فى سماء القاعة للحظة قبل أن تقول: "لكى نكون واضحين، عندما قلتَ (فى الواقع لقد قتلهم ببرود) فأنت لا تتكلم عن الطقس؟".

قال سترينجر: "نعم، لم أكن أتكلم عن الطقس ولكن أتكلم عن الطريقة التى قتل بها الضحيتين. كان وجهه فى برود الثلج".

قالت يوكى: "شكرًا لك يا سيد سترينجر"، ثم قالت لمحامى الدفاع: "شاهدُك".

الفصل ٧٣

راقبت يوكى ميكى شيرمان وهو يضع يديه فى جيوبه، بينما يسير نحو الشاهد فى الضوء الذهبى المنعكس من قاعة المحكمة. كانت ابتسامته حقيقية بالفعل إلا أن أسلوبه المتمهل المشابه لأسلوب الرجل العادى فى الكلام وطريقة أدائه غير الاستعراضية كلها حِيَل تغطى على موهبة ميكى فى إطلاق الهجمات المفاجئة.

لقد عَمِلَتْ يوكى مع شيرمان فى السابق وقد عرفت طريقته فى بداية حديثه مع الشاهد بعبارة "أخبرنى". سوف يلمس شيرمان ما فوق شفته العليا بإصبع السبابة قبل أن ينقض على الشاهد.

قال شيرمان لسترينجر: "سيد سترينجر، هل قامت سيدة كانيلو أو أنطونى كانيلو بفعل أى شىء استفز موكلى؟".

قال سترينجر: "حسبما رأيتُ فإنهما لم يكونا يشعران بوجوده".

فعاد شيرمان يسأل: "لقد قلتَ إن موكلي كان هادئًا عندما أطلق النار عليهما؟".

أجابه سترينجر: "كانت لديه نظرة متوحشة بصفة عامة إلا أنه عندما جذب الزناد كانت تعبيرات وجهه مثلما قلتَ... باردة، خاوية، وكانت يده ثابتة".

سأله شيرمان: "عندما نظرتَ إليه اليوم، هل يبدو لك مثلما كان في ذلك اليوم على (ديل نورتيه)؟".

قال سترينجر: "كلا في الواقع".

فعاد شيرمان يسأل: "ما هو وجه الاختلاف؟".

تنهد سترينجر محدقًا في يديه قبل أن يجيب: "كان يبدو رثًا. أعني... شعره طويل ولحيته غير منمقة وثيابه قذرة وكانت رائحته كريهة".

قال شيرمان مكررًا كلام سترينجر: "إذن كان يبدو رثًا. وكان وجهه خاويًا من التعبيرات وتصاعدت منه رائحة كريهة، وأنت رأيتَه يطلق النار على اثنين من الناس لم يستفزاه. لم يعرفا حتى أنه موجود".

قال سترينجر: "هذا صحيح".

ارتفعت السبابة إلى الشفة العليا.

قال شيرمان لسترينجر: "إذن ما تقوله يعني أن فريد برينكلي كان يبدو أنه يتصرف كرجل مجنون؟".

قفزت يوكي واقفة وصاحت لهيئة المحلفين: "اعتراض. إنه يوجه الشاهد".

قال القاضي: "اعتراض مقبول".

استعاد شيرمان هدوءه قبل أن يسأل الشاهد: "سيد سترينجر، هل بدا لك سيد برينكلي كشخص عاقل؟".

أجابه شيرمان: "كلا. كان يبدو مجنونًا كالجحيم".

قال شيرمان: "شكرًا لك يا سيد سترينجر".

حاولت يوكي أن تفكر في سؤال لكي تحول الانتباه عن تعبيرات "رجل بلا عقل" و"مجنون" إلا أن الكلمات خرجت من شفتيها لتقول: "الادعاء يطالب باستدعاء جاك روني".

الفصل ٧٤

اتخذ جاك رونى طريقه فى الممر وهو يستند إلى عصاه ثلاثية الأقدام، وقد وضع كل ثقله على القدم اليسرى فيما أخذ يحرك فخذه الأيمن، مكررًا خطواته المرتبكة تلك طوال الطريق إلى منصة الشهادة.

قَبلَ رونى المساعدة من حاجب المحكمة الذى وضع يده أسفل مرفق الرجل، وساعده على الجلوس فى المقعد. فكرت يوكى فى أن هذا الشاهد سيكون إثباتًا لوجهة نظر ميكي.

أهو كذلك حقا؟

قالت يوكى بعد أن استقر المقام أخيرًا بالرجل: "شكرًا على الحضور يا سيد رونى". كان رونى يرتدى سترة خضراء من الصوف وقميصًا أبيض ورابطة عنق حمراء مقوسة، وكانت نظارته الطبية كبيرة ومربعة تستقر على أنف مجعد وشعر أبيض مفروق على جانبى رأسه مثل شعر تلميذ فى أول أيامه الدراسية.

قال رونى مبتسمًا: "إنه من دواعى سرورى".

قالت يوكي: "سيد رونى، هل كنتَ على متن (ديل نورتيه) فى أول أيام شهر نوفمبر؟".

قال رونى: "نعم يا عزيزتى. كنتُ هناك مع زوجتى بيتى واثنين من أصدقائنا هما ليسلى وجو ووترز. وكلنا نسكن بالقرب من ألبانى؛ حيث كانت تلك أولى رحلاتنا إلى سان فرانسيسكو".

سَألْتُه: "هل وقع أمر غير اعتيادى على المعدية فى ذلك اليوم؟".

"بالطبع. هذا الرجل الجالس هناك قد قتل العديد من الأشخاص، قالها وهو يشير إلى برينكلى متابعًا حديثه: "لقد كنتُ مرعوبًا إلى درجة أننى تبولت على نفسى تقريبًا".

سمحت يوكى لنفسها بابتسامة بينما تصاعدت الضحكات من الجالسين، ثم قالت: "هل يسمح كاتب المحكمة بأن يسجل أن الشاهد تعرف على المدعى عليه ألفريد برينكلى؟ سيد رونى، هل قمتَ بتسجيل إطلاق النار على شريط فيديو؟".

قال رونى: "حسنًا، كان ذلك من المفترض أن يكون تسجيلاً للرحلة... جسر البوابة الذهبية وألكاتراز وغيرهما. إلا أنه تحول إلى فيلم عن حادث إطلاق النار. كان التصوير بكاميرا صغيرة لطيفة أهداها إلى حفيدى". قالها وهو يضم إصبعيه السبابة والإبهام ويبقى بينهما مسافة حوالى ثلاث بوصات.

عاد يقول: "إنها فى مثل حجم قضيب شيكولاتة صغير إلا أنها تلتقط الصور والأفلام. التقطتُ الصور ووضعها حفيدى لى على الحاسب الآلى. أوه، وبعتُ الفيلم لمحطة تليفزيونية التى دفعت مقابلاً ماديًا مرتفعًا لتلك الرحلة الملعونة إلى سان فرانسيسكو".

قال شيرمان بملل من مكانه للقاضى: "عدالتكم".

فمال القاضي، وقال: "سيد روني، من فضلك أجب عن الأسئلة بـ"نعم" أو "لا" إذا لم يُطلَب منك شرحًا أكثر تفصيلاً. حسنًا؟".

قال روني: "حسنًا سيدى. عذرًا فلم أقم بذلك من قبل".

قال القاضي: "حسنًا".

شَبَّكَتْ يوكى أصابعها أمامها قبل أن تقول: "لقد أعطيتنى نسخة من الفيلم، أليس كذلك يا سيدى؟".

قال روني: "بلى، أعطيتك".

فقالت يوكي للقاضي: "من فضلك أيها القاضى أريد الإذن بعرض الفيلم وأطلب إدخاله ضمن الأدلة".

قال لها القاضي: "يمكنك ذلك آنسة كاستلينو".

وضع ديفيد هيل قرصًا مرنًا فى حاسب آلى وبدأ عرض الفيلم الذى التقطه الهاوى بينما استدارت كل العيون باتجاه شاشتى عرض تليفزيونين كبيرين فى القاعة.

أظهر أول جزء من الفيلم فترة العصر السعيدة على الشاطئ والمعالم العديدة التى مرت بها الرحلة، ومرت الكاميرا بوجهى جاك رونى وزوجته البَاسِمَين فيما ظهر بالمصادفة وجه ألفريد برينكلى فى الشريط وقد جلس خلفهما يحدق فى المياه وينتزع شعر ساعده.

كان الجزء الثانى يصور الأحداث الدموية المرعبة.

راقبت يوكى تعبيرات المحلفين فيما تصاعد فى القاعة الصغيرة صوت طلقات الرصاص والصرخات المذعورة.

أظهرت الصور المعروضة على الشاشتين ملامح الصدمة على وجه الولد الصغير فى اللحظة التى أُطْلِقَ عليه النار فيها، وكذلك أظهرت جسده وهو يندفع للخلف ويسقط فوق جثمان والدته.

شاهدت يوكى الفيلم العديد من المرات، إلا أن المشاهد كانت لا تزال تؤثر فيها.

لم يكن الكلب الأحمر على حق. كان المحلفون يشعرون بأى شىء إلا الملل وهم يشاهدون المذبحة؛ لأن طريقة عرض الفيلم فى المحكمة تختلف عن رؤيته فى المنزل.

لأن القاتل يجلس على بعد ياردات قليلة.

بعض المحلفين غطوا أفواههم أو أداروا وجوههم وبمرور الوقت وهم يشاهدون جزئى الفيلم كانوا كلهم يحدقون بفزع فى ألفريد برينكلى.

لم ينظر برينكلى إليهم بل جلس بلا حراك فى مقعده يتفرج على نفسه وهو يقتل كل أولئك الأبرياء بلا رحمة.

قال ميكى شيرمان: "لا أسئلة لدي"، قالها وهو يستدير ليهمس فى أذن ألفريد برينكلى بشىء ما، بينما قال القاضى لرونى: "شكرًا لك يا سيد رونى. يمكنك أن ترحل".

انتظرت يوكى حتى أنهى رونى رحلته البطيئة عبر الممر قبل أن تقول: "الادعاء يطلب دكتورة كلير واشبورن".

الفصل ٧٥

شعرت كلير بأعين كل الجالسين تتابعها وهى تتخذ مكانها فى منصة الشهود. أمس فى ذلك الوقت كانت فى الفراش والآن تدعو الله أن تكون بعد ساعتين من الآن فى الفراش أيضًا.

ثم رأت يوكى تلك الفتاة الذكية التى لم تتجاوز الثامنة والعشرين والتى وضحت عليها مشاعرها والتى قالت إنها خائفة حتى الموت ولكنها لا تريد أن تظهر هذا، لذلك ابتسمت لها كلير وهى تزيح المزلاج وتدخل إلى منصة الشهود.

قامت كلير بأداء مراسم "القسم"، ثم قامت بعد ذلك بتسوية ثيابها التى بدت فضفاضة عليها حيث فقدت خمسة عشر رطلاً من الوزن خلال الأسابيع الثلاثة الماضية. "حِمْيَة إطلاق النار"، هكذا فَكَّرَتْ وهى تتخذ مقعدها.

قالت يوكى: "شكرًا لحضورك يا دكتورة واشبورن. لقد خرجت من المستشفى قبل يومين فقط؟".

أجابتها كلير: "نعم. هذا صحيح".

سألتها يوكى: "وهل يمكنك أن تخبرى هيئة المحلفين بسبب دخولك المستشفى؟".

قالت كلير: "لقد تعرضتُ لإطلاق نار فى الصدر؟".

عادت يوكى تسأل: "وهل من أطلق عليك النار جالس فى المحكمة اليوم؟".

أجابت كلير: "نعم، هذا الحقير الجالس هناك".

لم يجد شيرمان مانعًا فى أن يقوم من مكانه ويقول فى بساطة: "عدالتكم. أنا أعترض. لست واثقًا من الأسباب إلا أننى واثق من أن الشاهدة ليس مسموحًا لها بأن تصف موكلى بالحقير".

قال القاضى: "دكتورة واشبورن، إنه على حق تقريبًا فيما يقول".

قالت كلير: "أعتذر عدالتكم. إن آلامى فقط هى التى تتكلم"، ثم نظرت إلى برينكلى وقالت: "أنا فى منتهى الأسف. لم يكن ينبغى أن أصفك بالحقير".

تعالت الضحكات المكتومة من القاعة وفى داخل مجلس هيئة المحلفين حتى دق القاضى بالمطرقة فى صبر، وقال: "أقول للجميع... وأنا أعنى الجميع"، حيث قالها وهو ينظر من فوق عدسات نظارته إلى كلير متابعًا: "لن يكون هناك المزيد من ذلك. هذا ليس (مسرحًا كوميديًّا) وسوف أخلى القاعة إذا ما حدث أى ضجيج. آنسة كاستلينو من فضلك اضبطى سلوك شاهدتك. هذا جزء من مهامك".

قالت يوكى: "معذرة عدالتكم. أتفهم ذلك".

ثم تنحنحت وقالت: "دكتورة واشبورن، ماذا كانت طبيعة إصابتك؟".

قالت كلير: "أُصِبْتُ بثقب فى الصدر حدث نتيجة طلقة من عيار ٣٨ ملليمتر؛ مما أدى إلى الإضرار برئتى اليسرى وكاد يتسبب فى وفاتى".

قالت يوكى: "بالتأكيد كان ذلك فى منتهى الرعب والألم".

رَدَّت كلير: "إنه يفوق أكثر من قدرتى على التوضيح".

قالت يوكى وقد استطاعت كلير أن ترى فى عينيها نظرة تعاطف: "لقد شاهدت هيئة المحلفين الفيلم. هل يمكنك أن تقولى لنا ماذا قلتِ للمدعى عليه قبل أن يطلق عليك النار؟".

قالت كلير: "لقد قلتُ له (حسنًا يا ولدى. هذا يكفى. والآن أعطنى المسدس)".

سألتها يوكى: "وماذا حدث بعد ذلك؟".

قالت كلير: "لقد قال شيئًا ما عن أن هذا هو الخطأ الذى ارتكبته ، وكان علىَّ إيقافه. الشىء التالى الذى أدركتُه هو أننى كنتُ أنقل من على سطح المعدية بواسطة الإسعاف ".

قالت يوكى متسائلة: "هل حاولتِ منعه من إطلاق النار على أى شخص آخر؟".

أجابتها كلير: "نعم".

عادت يوكى تسأل: "هل رأيتِ أشخاصًا آخرين يحاولون منعه؟".

قالت كلير: "نعم. لكنه اعتبرنا أهدافًا له وأطلق النار علينا جميعًا. لقد تناثرت أجزاء مخ سيد ناج على سطح المعدية".

قالت يوكى: "شكرًا لك أيتها الطبيبة. شاهِدَتُك".

الفصل ٧٦

كان ميكى شيرمان يعرف كلير واشبورن منذ سنوات عديدة وكان معجبًا بها كثيرًا وقد شعر بالسعادة لأنها استمرت على قيد الحياة بعد المحنة التى مرت بها على متن (ديل نورتيه).

إلا أنها كانت تهديدًا خطيرًا لموكله.

سألها: "دكتورة واشبورن، ما هى مهنتك؟".

أجابته قائلة: "رئيسة مركز الفحص الطبى فى سان فرانسيسكو".

فقال: "على عكس الطبيب الشرعى؛ فأنت طبيبة مُعَالِجَة، أليس كذلك؟".

أجابت: "نعم".

سألها شيرمان: "عندما كنتِ طبيبة امتياز، هل عَمِلْتِ فى مستشفى جامعى؟".

"نعم".

سألها مجددًا: "وهل قمت بالعمل في جناح المرضى النفسيين؟".

"نعم".

سألها شيرمان: "هل حدث في أية مرة أن رأيتِ مريضًا يتمشى وقد اعتلت وجهه نظرة خاوية في جناح الأمراض النفسية هذا؟".

هنا قالت يوكي: "اعتراض. أرجو التوضيح، عدالتكم".

لكن القاضي قال: "مرفوض. يمكن للشاهدة أن تجيب عن السؤال".

قالت كلير: "في الحقيقة لا أستطيع أن أتذكر أيًا من مرضاى النفسيين يا سيد شيرمان. كل المرضى الذين أعالجهم الآن ينظرون نظرات خاوية".

قال شيرمان مبتسمًا وهو يضع يديه في جيبيه: "حسنًا". قالها وهو يسير قليلاً ناحية مكان جلوس هيئة المحلفين، وقد أعطى ظهره لكلير قبل أن يعود فيتابع: "حسنًا يا دكتورة، لقد كانت لديك فرصة لتلاحظى سيد برينكلى، أليس كذلك؟".

قالت كلير: "كلمة (ملاحظة) لها معنى كبير".

قال لها: "نعم أم لا يا دكتورة واشبورن؟".

قالت: "نعم. لقد (لاحظته) على المعدية وأراه الآن".

قال لها: "دعينا نتكلم عما حدث على سطح المعدية. لقد قلتِ في شهادتك منذ قليل إن موكلى قال لك: (هذا هو خطؤك. يجب أن تحاولى إيقافى)".

قالت كلير: "هذا صحيح".

عاد ميكى يسأل: "هل كان إطلاق النار خطأك؟".

"لا".

"ماذا تعتقدين أن فريد برينكلى كان يقصد؟".

"ليس لدى فكرة".

"هل بدا لك سيد برينكلى عاقلاً في ذلك الوقت؟ هل بدا عليه أنه يعرف الصواب من الخطأ؟".

"لا أستطيع الإجابة في الواقع. أنا لست مُعَالِجَة نفسية".

"حسنًا. هل حاول متعمدًا أن يقتلك؟".

" نعم".

"هل كان يعرفك؟".

"لا يا سيدى".

"هل استفززت سيد برينكلى إلى حد دفعه إلى إطلاق النار عليك؟".

"ما حدث كان العكس تمامًا".

"إذن يمكنك أن تقولى إن إطلاق النار كان بالأساس فعلاً عشوائيًا لا يقوم على أى سبب كان؟".

"أعتقد ذلك".

"تعتقدين ذلك؟ لم تقابليه من قبل وقال لك أشياء بلا معنى ورأيتِه يطلق النار على أربعة أشخاص قبل أن يصوب مسدسه نحوك، أليس كذلك؟ ألا توجد كلمة يمكن بها وصف شخص يقوم بهذه التصرفات؟ ألا تكون هذه الكلمة (مجنون)؟".

"اعتراض، عدالتكم... سؤال خلافى وهذا طلب قانونى لهيئة المحلفين".

قال القاضى مور: "مقبول".

سقطت يوكى في مقعدها وشاهد ميكى عينيها تنتقل منه إلى هيئة المحلفين إلى الشاهدة قبل أن تعود إليه ففكر قائلاً في نفسه: "هذا جيد، إنها متوترة".

عاد ميكى يسأل الشاهدة: "هل بدا لك سيد برينكلى عاقلاً يا دكتورة واشبورن؟".

"لا".

"شكرًا. ليس لدى المزيد من الأسئلة".

فسأل القاضي يوكى: "آنسة كاستلينو، هل ستسألين الشاهدة مجددًا؟".

"نعم، عدالتكم".

نهضت يوكى من مقعدها واقتربت من الشاهدة فيما لاحظ ميكى انعقاد حاجبى يوكى وتشابك أصابعها. كان يعرف أن يوكى تبالغ دومًا فى استخدام حركات يديها وربما كانت تدرب نفسها على أن تحتفظ بيديها ثابتتين.

قالت يوكى للشاهدة: "دكتورة واشبورن، هل تعرفين فيم كان ألفريد برينكلى يفكر عندما أطلق النار عليك؟".

قالت كلير فى تأكيد: "كلا، لا أعرف قطعيًا".

سَأَلَتْهَا يوكى: "فى رأيك يا دكتورة، عندما أطلق سيد برينكلى النار عليك هل كان من المحتمل أنه يعرف خطأ أفعاله وهل كان يعلم أن ما يفعله خطأ؟".

أجابتها الشاهدة: "نعم".

فقالت يوكى: "شكرًا لك أيتها الشاهدة"، وقالت للقاضى: "ليست لدى أية أسئلة أخرى لهذه الشاهدة".

بينما كان القاضى يقوم بصرف كلير واشبورن كان ميكى شيرمان يتكلم بهدوء مع عميله وقد استخدم يده ليمنع أى أحد من رؤية شفتيه وهما تتحركان بالكلام، كما لو أن ما يقوله كان فى منتهى الخصوصية.

كان يقول: "هذا جيد جدًا يا فريد، أليس كذلك؟".

فهز برينكلى رأسه كدمية خشبية وكان يبدو مسكينًا وقد أرهقه تناول العلاج، وهنا سمع شيرمان يوكى تقول: "أرجو استدعاء الرقيب ليندس بوكسر للشهادة".

الفصل ٧٧

قضيت ليلة قلقة على أريكة سيندى؛ فقد كنتُ أنهض وأقوم بجولات فى ردهات مبنى بلاكلى آرمز. فحصتُ مخارج الطوارئ ومنازل السلالم والسقف والبدروم فلم أجد من يتجول خِلْسَة إلا سيدة عجوزًا كانت تقوم بغسيل ملابسها فى الثانية صباحًا. وعندما أشرقت الشمس ذهبت إلى المنزل لأغير ثيابى، والآن أجلس خارج المحكمة وقد تدفق الأدرينالين فى جسدى عندما سمعتُ الحاجب ينادى اسمى.

سرتُ عبر الباب المزدوج إلى الرواق على الألواح الخشبية الصنوبرية لأصل إلى منصة الشهادة حيث حَلَفتُ اليمين.

حيتنى يوكى بصورة رسمية وطلبت منى إبراز إثبات الشخصية.

بعد ذلك سألتنى: "هل يمكنك أن تتعرفى على الرجل الذى اعترف بإطلاق النار على المعدية؟".

قلتُ: "نعم"، ثم أشرتُ إلى جوال القمامة الذى تم تنظيفه والجالس بجوار ميكى شيرمان.

في الواقع بدا ألفريد برينكلي مختلفًا تمامًا عما كان فى آخر مرة رأيتُه فيها. لقد امتلأ وجهه وهدأت عيناه الزائغتان وقد حلق لحيته وقص شعره. بدا أصغر بست سنوات عن الوقت الذى اعترف فيه بحادث (ديل نورتيه).

ما يثير الخوف هو أنه يبدو الآن غير مؤذ، ويمكن أن يكون العم فريدى لأى منا. إنه مجرد إنسان مألوف آخر.

تقدمت يوكى منى وهى تسألنى: "هل شَعُرْتِ بالدهشة عندما دق المدعى عليه جرس بابك؟".

قلتُ: "شعرت بالصدمة فى الواقع إلا أنه عندما نادانى من النافذة وطلب منى أن أنزل وأعتقله فعلتُ ذلك".

سألتنى يوكى: "وماذا فعلتِ؟".

"جردتُه من سلاحه ووضعت فى يديه القيود وبعد ذلك طلبت المساعدة. اصطحبناه أنا والملازم وارين جاكوبى إلى قسم الشرطة، حيث تم احتجاز سيد برينكلى واستجوابه".

سألتنى يوكى: "هل تلوتِ على سيد برينكلى حقوقه؟".

أجبتُ: "نعم. قرأتها عليه خارج منزلى ومرة ثانية فى قسم الشرطة".

سألتنى من جديد: "هل بدا أنه يفهم ما تقولين؟".

قلتُ: "نعم. أجريت له اختبار حالة عقلية لكى أتأكد أنه يعرف اسمه وأين هو وماذا يفعل. وكتب تنازلاً عن حقوقه واعترف من جديد أنه أطلق النار على أولئك الأشخاص فى (ديل نورتيه) وقتلهم".

عادت يوكى تسألنى: "هل بدا لك عاقلاً أيتها الرقيب؟".

قلت: "بدا كذلك. كان متوترًا وأشعث المنظر إلا أننى والملازم جاكوبى وجدنا أنه صافى الذهن وواعٍ، وهذا من أسميه عاقلاً".

قالت لى: "شكرًا لك أيتها الرقيب بوكسر"، ثم قالت لميكى: "شاهدتك".

استدارت أعين المحلفين ناحية الرجل الأنيق النشيط الذى يجلس بجوار ألفريد برينكلى. ووقف ميكى شيرمان وأغلق الزر الأوسط فى سترته الأنيقة الرمادية بلون الفحم، وأعطانى ابتسامة متألقة.

ثم حيانى قائلاً: "مرحبًا، ليندس".

الفصل ٧٨

كنت قد اعتمدتُ على ميكى قبل بضعة أشهر عندما اتهمت بالقسوة والقتل الخطأ؛ حيث أخذتُ منه النصيحة حول الطريقة التى أقدم شهادتى بها وحتى الطريقة التى أرتدى بها ثيابى وأنا أقف فى منصة الشهادة وأية نبرة أستخدمها، ولم يخذلنى حينها.

لو لم يكن ميكى موجودًا وقتها فإننى لا أعرف ما الذى كنتُ سأصبح عليه الآن، إلا أننى بالتأكيد لم أكن لأواصل العمل فى الشرطة.

شعرت بموجة من العاطفة إزاء ذلك الرجل الذى كان بطلاً بالنسبة لى يومًا ما، إلا أننى وضعتُ حاجزًا عقليًا أمام سحره الملعون وركزت تفكيرى على تلك الصور التى لم تغادر ذهنى أبدًا؛ صور ضحايا ألفريد برينكلى. ذاك الولد الصغير الذى مات فى المستشفى وكلير التى كانت تقبض على يدى وهى تسأل عن ابنها وهى تظن أنها ستموت.

وكان موكل شيرمان مديناً بكل ذلك.

قال شيرمان: "أيتها الرقيب بوكسر. من النادر أن يقوم قاتل بتسليم نفسه إلى ضابط شرطة فى منزله، أليس كذلك؟".

قلتُ: "يمكننى أن أقول ذلك".

عاد يقول: "وكان ألفريد برينكلى يريد أن يسلم نفسه لك تحديدًا. أليس ذلك صحيحًا؟".

أجبتُه: "هذا هو ما قاله لى".

سألنى: "هل تعرفين سيد برينكلى؟".

قلتُ: "كلا. لا أعرفه".

فسألنى ميكى: "إذن لماذا طلب سيد برينكلى منك أن تعتقليه؟".

قلتُ: "لقد قال لى إنه رآنى على شاشة التليفزيون أجمع المعلومات عن حادث المعدية وأنه اعتبر أن ذلك يعنى أن عليه المجىء إلى منزلى".

سألنى: "وكيف وصل إلى عنوانك؟".

أجبته: "قال إنه توجه إلى مكتبة، واستخدم حاسبًا آليًا وحصل على عنوانى من الإنترنت".

قال: "قلتِ فى شهادتك إنك جردتِ سيد برينكلى من سلاحه. لقد أخذتِ مسدسه بعيدًا، أليس هذا صحيحًا؟".

"بلى".

"نفس المسدس الذى استخدمه فى إطلاق النار؟".

"نعم".

"وأحضر اعترافًا مكتوبًا معه إلى منزلك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"إذن لنجمع كل ذلك فى خيط واحد. لقد استمع موكلى إليك وأنت تناشدين الجمهور على شاشة التليفزيون واعتبر ذلك طلبًا شخصيًا منك، ثم استخدم محرك البحث جوجل فى إحدى المكتبات لكى يعثر على اسمك، ثم ذهب أمام باب منزلك تنفيذًا

لأوامرك، وهو لا يزال يمسك مسدسه الذى قتل به أربعة أشخاص".

قالت يوكى: "اعتراض، عدالتكم. إنه سؤال خلافى".

قال القاضي: "سوف أسمح بما قال، ولكن من فضلك يا سيد شيرمان توجه إلى الموضوع مباشرة".

قال ميكى: "نعم، عدالتكم"، قالها وهو يسير باتجاهى وقد أعطانى نظرة بعينيه البنيتين والتى كان يعنى بها (يمكنك أن تثقى بى).

قال ميكى: "ها هو ما أقصده أيتها الرقيب. ألا تتفقين معى فى أن قاتلا يحتفظ بسلاح الجريمة ويحضره إلى منزل مسئول فى مكافحة جرائم القتل يعد أمرًا غير معتاد بل سخيفا؟".

"إنه أمر غير معتاد. سأوافقك على ذلك".

"أيتها الرقيب، هل سألتِ سيد برينكلى عن سبب إطلاقه النار على أولئك الأشخاص؟".

"نعم".

"وماذا قال؟".

كنتُ أريد الهروب من هذا السؤال ولا أود أن أجيب عنه إلا أنه لم يكن لدى الخيار فقلتُ: "لقد قال إنه فعل ذلك لأن أصواتًا طلبتْ منه ذلك".

قال ميكى متسائلاً: "أصوات فى رأسه؟".

فأجبتُ: "هكذا فسرتُ أنا إجابته".

ابتسم لى ميكى وكأنه يقول لى: *"حسنًا. يبدو أن الدفاع يستمتع بيوم جيد"*، وقال لى: "هذا كل ما لدى. شكرًا لك يا ليندس".

الفصل ٧٩

جلست يوكى أمامى على منضدة بالقرب من باب مطعم ماكبينز. كانت تبدو أكثر من قلقة. كانت تبدو كما لو أنها ضَرَبَتْ نفسها ضربًا مبرحًا.

قالت لى يوكى بعد أن طلبنا الطعام: "كان يجب أن أطلب استجوابك من جديد". لقد كان المكان مزدحما بالمحامين وموكليهم وضباط الشرطة وموظفين فى المحكمة من كل الأنواع. وكان على يوكى رفع صوتها حتى يعلو فوق صوت الضجيج وهى تقول لى: "كان يجب على أن أسألك فيم فكرتِ عندما أخبرك برينكلى بأمر تلك الأصوات".

قلتُ لها: "ومن يهتم بما اعتقدته؟ إنه ليس أمرًا مهمًا".

قالت يوكى وهى تعيد شعرها إلى الوراء بيدها: "إنه أمر مهم. حسنًا، أيتها الرقيب بوكسر، فيم فكرتِ عندما قال لك سيد برينكلى بأنه سمع أصواتًا توجهه لكى يقتل؟".

هززت كتفىَّ.

عادت يوكى تقول: "هيا يا ليندس. لقد فكرتِ فى أنه بدأ فى تنفيذ خطة دفاع تقوم على أساس أنه مجنون".

قلتُ لها: "لا يمكنك إثبات كل شيء. إنك تؤدين مهمتك بنجاح. أنا أعنى ذلك حقيقةً".

زمجرت يوكى قائلةً: "ميكى ينجح فى تحويل كل ما هو سلبى إلى إيجابي. (هل موكلى قتل الناس بلا مبرر؟ هذا يعنى أنه مجنون، أليس ذلك صحيحًا؟)".

قلتُ لها: "هذا كل ما فى حوزته. انظري، برينكلى يبدو عاقلاً ولقد قلتُ ذلك. لن يأخذ المحلفون بكلمة برينكلى عن أنه كان يسمع أصواتًا".

مزقت يوكى منديلها الورقى وهى تقول: "نعم. إننى أتساءل عما قاله أخلص أصدقاء مارشا كلارك لها قبل أن تحكم هيئة المحلفين بأن أو. جي. سيمسون (ليس مذنبًا): (لا تقلقى يا مارشا. لن يهتم أحد بأمر ذلك القفاز)".

تراجعت فى المقعد بظهرى والنادل يحضر لنا ما طلبناه من شطائر الهامبرجر والمقليات. قلت ليوكى: "لقد رأيت ميكى على سلالم ساحة المحكمة وقد أحاط به المراسلون. كم كان تصرفه طريفًا عندما تعامل مع الصحافة الصيف الماضى. والآن أعتقد أنك صرت *شخصية إعلامية*".

لم تضحك يوكى.

قلت لها وأنا أضع يدى على معصمها: "يوكى. أنت تديرين قضيتك بذكاء وكثير مما تقولين صواب".

قالت: "حسنًا. حسنًا. أشعر بالرغبة فى البكاء. شكرًا على شهادتك. شكرًا على مساندتك".

"افعلى شيئًا من أجلى يا صديقتى".

"ماذا؟".

"أضيفى بعض السعرات الحرارية لجسدك وثقى قليلاً فى نفسك".

رفعت يوكى شطيرتها ثم وضعتها من جديد فى الطبق دون أن تأكل منها شيئا، وقالت: "هل تعلمين ما يشغلنى يا ليندس؟ لقد ارتكبتُ خطأً. وفى قضية مثل هذه، على المرء ألا يرتكب أخطاء، ولا حتى خطأً واحدًا، ولأول مرة أرى أننى يمكن أن أخسر".

الفصل ٨٠

قال لى جاكوبى بمجرد أن دخلت حجرة الفرقة بعد الغداء:
"لقد اتصل ماكلين لتوه". توجهت أنا وكونكلين مع جاكوبى إلى مكتبه وهو يقول: "اخْتُطِفَ صبى من الشارع فى لوس أنجلوس منذ ثلاث ساعات. ولد صغير. تم وصفه على أنه عبقرى فى الرياضيات".

إننى حتى لم أجلس.

أطلقت دفعة من الأسئلة على جاكوبي: هل تم اختطاف الولد على يد شخص ما فى شاحنة سوداء؟ هل هناك أى دليل فى ساحة الجريمة؟ بطاقة بها رقم هاتف، وصف... أى شىء؟ هل أُجْرِيَتْ مقابلة مع والدى الطفل؟ هل اتصل بهما الخاطف؟ باختَصار، هل يشبه حادث الاختطاف ذلك الذى وقع لماديسون تايلر؟

قال جاكوبى وهو يلقى بقايا شطيرة الهامبرجر بالجبن فى سلة المهملات: "بوكسر، من فضلك هدئي من حماسك، حسنًا، سأعطيك كل ما أعرف. كل تفصيل صغير".

ضحكت وأنا أقول: "حسنًا. بسرعة"، وجلستُ وقد انحنيت للأمام واضعة مرفقى على مكتب جاكوبى الذى أخذ يمدنا بالتفاصيل.

"كان الأبوان داخل المنزل بينما كان الطفل يلهو فى الفناء الخلفي. سمعت الأم صرير توقف عجلات سيارة بينما كانت تتكلم فى الهاتف فنظرت من النافذة التى تطل على الشارع فرأت شاحنة سوداء تدور حول الزاوية. لم تعرها الكثير من الاهتمام وبعد دقيقتين ألقت نظرة على الفناء فاكتشفت أن الولد غير موجود".

سأله كونكلين: "هل ذهب الطفل إلى الفناء الأمامى؟".

قال جاكوبى: "محتمل، كانت البوابة مفتوحة ربما يكون الولد قد فتحها... إنه ذكى، أليس كذلك؟... وربما يكون شخصًا آخر قد فتحها. وضع رجال شرطة لوس أنجلوس أنفسهم فى حالة التأهب إلا أن الأب لم ينتظر وأبلغ المباحث الفيدرالية".

أعطانى جاكوبى فاكسًا عليه شعار الـ (إف بى آى). كانت الصفحة الثانية عبارة عن صورة لصبى جميل المحيا... عينان كبيرتان مستديرتان. غمازتان فى الخد. يبدو تمامًا كولد صغير يحبه الجميع.

قال جاكوبى: "اسم الطفل تشارلز راى يبلغ من العمر ست سنوات. فحص رجال شرطة لوس أنجلوس آثار إطارات السيارة خارج منزل راى، ووجدوا أنها تتطابق مع الطراز الحديث من شاحنات هوندا الصغيرة. قالوا إنه لا توجد أية أدلة على استخدام السيارة في الحادث، كما أنهم لم يجدوا أية بصمات مفيدة على البوابة".

سألته: "هل للولد مربية؟".

أجاب جاكوبي قائلاً: "نعم، برايانا كيرني. كانت عند طبيب الأسنان عندما تم اختطاف تشارلي وقد تم التأكد من حجة غيابها. إنها قضية صعبة يا بوكسر. ربما يكون نفس الطرف الذي اختطف ماديسون تايلر متورطا وربما يكون لا".

قال كونكلين: "يجب أن نستجوب الوالدين".

قال جاكوبي: "من الصعب تمامًا محاولة إيقافكما. يالكما من متحمسين".

وأخرج جاكوبي ورقتين أخريين أعطاهما لنا. كانتا تذكرتي سفر طيران إليكترونيتين واحدة باسمي والأخرى باسم كونكلين إلى لوس أنجلوس، رحلة ذهاب وعودة.

قال جاكوبي: "اسمعا، حتى تتوافر لنا معلومات أخرى فسوف نعامل هذا الحادث على أنه جزء من قضية تايلر؛ لذا قدما تقريركما إلى الملازم ماكلين *وابلغاني بما يحدث باستمرار*". ثم نظر إلى ساعته وقال: "إنها الثانية والربع. ستكونان في لوس أنجلوس في الرابعة تقريبًا".

الفصل ٨١

توقفت سيارات الفرقة في صف واحد في الشارع خارج السور الخشبي لمنزل راى ذات الطراز الريفي. كان واحدًا من عشرات المنازل المشابهة التي تراصت بجوار بعضها البعض على جانبي الشارع.

كان الضباط يتكلمون وهم يسيرون في الممر الجانبي، وقد حيونا عندما أظهرنا بطاقتي هويتنا وقال لنا أحدهم: "الأم بالداخل".

جاءت إلين راى إلى الباب. كانت بيضاء في أوائل الثلاثينات وبدت حاملاً في الشهر الثامن وكانت محطمة بدرجة كبيرة جداً، وقد عقصت شعرها على شكل ذيل حصان فيما خلا وجهها من المساحيق بل كان محمراً من البكاء.

قدمتُ أنا وكونكلين أنفسنا ودعتنا سيدة راى إلى الدخول حيث كان أحد فنيي الـ (إف بي آي) يفحص الهاتف؛ فقالت

وهي تشير لنا بالجلوس على أريكة ومقعد: "كان رجال الشرطة رائعين ونحن شاكرون جداً".

كانت غرفة المعيشة مليئة باللوحات الورقية والسلال والطيور المنزلية والزهور الذابلة فيما تجمع عدد من صناديق الكارتون المفتوحة على الأرضية بالقرب من طاولة المطبخ، وقد أضافت رائحة عطر اللافندر إلى منزل آل راى طابع متجر الهدايا.

قالت سيدة راى وهى تجيب عن سؤالى الذى لم ألقه: "نحن نعمل من المنزل بنظام إى باى".

سألها كونكلين: "أين زوجك الآن؟".

قالت: "سكوتى وأحد عملاء الـ (إف بى آى) وبرايانا يتجولون بالسيارة. يأمل زوجي أن يجد تشارلى يتجول هنا أو هناك فلعله ضل طريقه"، ثم بكت وقالت فى صوت محطم: " لابد أن تشارلى خائف! يا إلهى! ما الذى يفعله الآن! من يكون قد أخذه؟ *ولماذا؟*".

لم يكن لدينا أية إجابة إلا أننا ألقينا عليها عدداً من الأسئلة... حول تحركاتها وعلاقتها مع زوجها ولماذا كانت البوابة فى الفناء مفتوحة.

وسألنا عما إذا كان أي شخص ـ من العائلة أو الأصدقاء أو الغرباء ـ قد أظهر اهتماماً زائداً أو غير مناسب بتشارلى.

ولم تقدم إجاباتها أى شيء مفيد.

كانت إلين راى تلتقط منديلاً فى يدها عندما عاد سكوت راى إلى المنزل بصحبة عميل الـ (إف بى آى) والمربية التى كانت امرأة لها وجه طفولى ولم تتجاوز بعد مرحلة المراهقة.

نهضنا وأخذ كونكلين يستجوب سكوت فى حجرة نوم الطفل، وعلى خلاف المربيات الأوربيات اللواتي يستقدمهن مكتب تسجيل ويستوود كانت برايانا كيرنى أمريكية. كانت فتاة

عادية تعيش على بُعْد ثلاثة مبان من منزل آل راى وتعتنى بتشارلى على أساس المحاسبة بالساعة.

أو بالأحرى، كانت برايانا جليسة أطفال.

بكت برايانا بحرارة ومن أعماق قلبها عندما ضغطت عليها وأنا أسألها عن أصدقائها، وعما إذا كان أحد قد سألها عن آل راى وعاداتهم.

أغلقنا دفترينا وودعنا الجميع وتركنا المنزل، بينما كانت أنوار المساء تأتى من داخل نوافذه.

قلتُ لكونكلين: "لا علاقة للفتاة باختطاف الطفل".

فقال لى زميلى: "لم أظفر بشيء سيئ فعله الوالد. يبدو الأمر وكأن أحد مختطفى الأطفال قد أغوى الطفل للدخول فى الشاحنة".

قلتُ: "نعم. من السهل جداً اختطاف طفل. يقول الخاطف (هل تريد رؤية كلبى؟) فيسير معه الطفل فيسحب الخاطف الطفل وينتهى كل شيء. لا شهود. لا دليل. والآن، نحن فى انتظار مكالمة هاتفية... قد لا تأتى أبداً".

الفصل ٨٢

تعرض الطفل تشارلى راى البالغ من العمر ست سنوات للاختطاف منذ سبع ساعات من الآن ولم يتصل الخاطفون بوالديه. كان آل راى على عكس آل تايلر فى وضع اجتماعى ومالى لا يسمح لهما بدفع فدية.

وكان هذا أمراً سيئاً.

جلسنا فى مكتب النقيب جيمينيز بينما كان عميل الـ (إف بى آى) ديفيد ستانفورد يخبرنا بملخص عن الأمر. كان ستانفورد أزرق العينين له ضفيرة شعر رمادية ، وكان يعمل كعميل سرى قبل أن يتم استدعاؤه لتلك القضية.

أخذت نشرة من كومة أوراق موضوعة على مكتب النقيب وتفحصت وجه تشارلى راى بعينيه المستديرتين وأسنانه الطفولية وشعره المجعد القصير.

فكرت فى نفسى: *"هل سيتم العثور على جثة ذلك الطفل بعد أسابيع أو شهور من الآن فى مكان رطب مهجور أم فى قبر عميق أم ملقى على الشاطئ بعد عاصفة؟"*.

عندما انتهى الاجتماع اتصلت بماكلين وأخبرته بما جرى، وبعد ذلك أوصلنا الضابط ستانفورد أنا وكونكلين إلى المطار وبينما كنا نأخذ الطريق السريع اقترح ستانفورد أن نتوقف لتناول مشروب فى فندق ماريوت لوس أنجلوس قبل أن نغادر. كان يريد أن يسمع كل ما نعرفه عن ماديسون تايلر واختطافها.

لقد كنتُ مستعدة لتناول مشروب وربما اثنين.

كانت القاعة ٣٣ بها مكان لتناول المشروبات ومطعم، وأثناء الشراب تناقشنا فى أمر ماديسون ثم أخبرنا ستانفورد بأمر قصة بشعة لاختطاف أحد الأطفال كان قد عمل فيها قبل أشهر.

تعرضت فتاة فى العاشرة من عمرها للاختطاف بينما كانت عائدة لمنزلها من المدرسة، ثم تم العثور عليها بعد ٢٤ ساعة فى إحدى دورِ العبادة مذبح إحدى الكنائس، وقد تم اغتصابها وقتلها خنقا فيما انعقدت يداها كما لو كانت تؤدى صلاة، ولم يتم العثور على القاتل حتى الآن.

سألتُه: "ما هو احتمال أن تنتهى جرائم الاختطاف بإنقاذ الرهينة؟".

قال الضابط ستانفورد: "فى أغلب الأحوال يكون الخاطف من أفراد العائلة. فى هذه الحالات يعود الطفل دون أن يتعرض للأذى. وعندما يكون الخاطف غريباً فإن نسبة استعادة الطفل المخطوف تكون ٥٠٪"، واكتسى صوته بنبرة توتر وهو يقول: "ربما تكون عاطفة منى أو هوسًا إلا أننى أعتقد أنه كلما اعتقلت المزيد من الحيوانات خاطفى الأطفال كان العالم أكثر أمنًا بالنسبة لأبنائى الثلاثة".

الفصل ٨٣

قال ستانفورد مقترحاً: "ما رأيكما في مرافقتي على العَشاء؟".

جاء النادل حاملاً قائمة الطعام للمائدة ولما كانت طائرة الساعة الثامنة المتجهة إلى سان فرانسيسكو قد أقلعت بدوننا فإننا قبلنا دعوة ستانفورد.

طلب لنا العميلُ الأمني عصيرًا وقدمنا له كل ما نعرفه عن اختطاف باولا ريتشي ومقتلها.

قلتُ لستانفورد: "بصدق، نحن في حيرة. كافة الطرق صارت مسدودة. نحن الآن في الجيل الخامس من الطرق المسدودة".

جاء الطعام وطلب ستانفورد عصيرًا إضافياً ، ولأول مرة في هذا اليوم الطويل شعرتُ بالاسترخاء والسعادة بالصحبة وبالفرصة المتاحة للتفكير أثناء الاستماع إلى الموسيقى الريفية والغربية التي تتدفق من الفرقة الموسيقية بالمكان.

كما لاحظتُ قدمي كونكلين الطويلتين المجاورتين لقدمي أسفل المائدة، وكذلك سترته البنية المدبوغة التي افترشت المساحة

بجوار ذراعي ، والآن ألاحظ إيقاع صوته المألوف بالإضافة إلى التدفق الناعم للعصير الجميل في حلقي كما ينزلق المساء ليصبح ليلاً.

في حوالي التاسعة والربع، تناول ستانفورد حبة دواء وهو يقول إنه سوف يرسل إلينا عند تفريغ تسجيل مكالمات آل راي، كذلك أشار إلى أنه سوف يخبرنا بأي شيء يمكن أن يساعدنا في قضية ريتشي / تايلر.

فقدنا رحلة أخرى متجهة إلى سان فرانسيسكو؛ لذلك ودعت أنا وريتش ستانفورد وتأهبنا إلى الانتظار لمدة ساعة خارج بوابات الخطوط الجوية الاتحادية.

كنا تقريباً خارج الباب عندما عزفت الفرقة الموسيقية لحناً لكيني تشيسني وبدأت المطربة في الغناء.

كان رواد المكان من ذلك الطراز المتهور من الشباب الذين اعتادوا القيادة بسرعة، ومن موظفي الطيران .

ابتسم ريتش وقال: "هل أنت من الغباء بحيث تغادرين المكان؟" فابتسمتُ وأنا أعود للمكان وأقول: "بالتأكيد، لماذا لا نشاركهم؟".

تركت ريتش يقودني إلى داخل الباب وأخذتُ أندفع مع الموسيقى وأرتطم بالغرباء الطائشين والكل يضحك.

لم أضحك بكل هذا الانطلاق منذ وقت وقد كان الأمر بالفعل مفيداً.

بعدما انتهت الموسيقى قال ريتش: "حقاً، أنا لا أريد الذهاب إلى المطار".

أتذكر أنني قلتُ إن القضايا يمكن حلها في مثل هذا الوقت المتأخر بعد يوم عمل طويل. كان هناك العديد من المبررات لكي نقضي الليل في لوس أنجلوس.

بعد ذلك، كنتُ أشعر أنني ممزقة بينما أعطي بطاقتي

الائتمانية لموظف الاستقبال فى فندق ماريوت بلوس أنجلوس .

وقفت أنا وريتش على جانبين متواجهين فى المصعد بينما كان يصعد عشرة أدوار فى صمت.

عندما خرجنا من المصعد قلتُ له: "طابت ليلتك يا ريتش" ، ثم أدرتُ ظهرى له وأنا أدخل المفتاح فى الباب وأنا أعلم أنه يفعل الآن نفس الشيء فى باب غرفته عبر الممر.

قال لى: "أراك فى الصباح يا ليندسى".

قلتُ له: "بالتأكيد، نم جيداً يا ريتشى".

أضيء النور الأخضر الضعيف وانفتح الباب فى يدى.

الفصل ٨٤

أغلقتُ الباب بإحكام وعقلى يموج بالتفكير بينما أشعر بالراحة. خلعتُ ثيابى وعاد الدم يتدفق فى عروقى بينما كنت آخذ دشاً ساخناً.

ارتديتُ ثيابى وأخذت أتأمل نفسى فى مرآة الحمام فوجدت نفسى لا أزال شابة وجميلة.

فكرتُ فى نفسى: *"لماذا لم يتصل بى جو؟"*.

ذهبتُ إلى الفراش وفحصت البريد الصوتى الخالى على هاتفى الخلوى. كان صوته مثل آلة الرد على المكالمات الهاتفية فى منزلى.

لقد مر ستة أيام على آخر مرة رأيته فيها.

فكرتُ: "هل انتهى الأمر بيننا حقًّا؟".

"هل لن أراه بعد الآن؟ لماذا لم يأت خلفى؟".

التف ثيابى على جسدى وفرشت اللحاف وأعددتُ الوسائد ونتيجة لدوران رأسى بسبب نشاط اليوم والحمام رقدتُ على الفراش.

سمعتُ صوت طرقة على الباب.

ثم قفز قلبى عندما تعالى صوت الطرقة مرة أخرى.

الفصل ٨٥

أحكمتُ حزام ردائى وخطوت نحو الباب. رأيت ريتش كونكلين من ثقب الباب.

كنتُ أضحك وأنا أفتح الباب؛ فلقد كان كونكلين يرتدى سروالاً، وقميصه القطنى الأزرق كان مفتوح الأزرار، بينما كان يحمل فى يده فرشاة أسنان عليها شعار فندق ماريوت بدت أشبه بعلم أبيض صغير.

"أتساءل عما إذا كان لديك أى معجون أسنان يا ليندسى. لدى الكثير من مرطبات البشرة فى خزانة الحمام إلا أنه لا يوجد معجون أسنان".

قلت: "ليس لدى أنا أيضًا معجون أسنان، لكننى أعتقد أن لدى بعضًا منه فى حقيبتى".

انحنيت لأبحث فى حقيبتى التى ألقيتُها على الأرض وكدت أسقط لأننى تعثرتُ فى حذائى.

أمسك ريتشي بمرفقي لكي يمنعني من السقوط، فشكرته على لطفه معي، وقلت له: "لا تنس غدًا ذهابنا إلى مكتب تسجيل ويستوود".

الفصل ٨٦

طرقت باب مكتب تسجيل ويستوود في ذلك الصباح الذي غابت عنه الشمس بعد عودتنا من لوس أنجلوس. ووقف كونكلين بجانبي بينما كان رجل مستدير الوجه يفتح الباب. كان في منتصف الخمسينات وقد بدأ الشيب يغزو شعره الأشقر فيما حدقت عيناه الرماديتان الصافيتان عبر نظارته التي اعتلت قمة أنفه الحادة.

تساءلتُ في نفسي: *"هل له علاقة باختطاف ماديسون؟"*.

"هل يعرف أين هي؟".

أظهرتُ له بطاقة الشرطة وقدمتُ له رفيقي ونفسي فقال:

"نعم أنا بول رينفريو. هل أنتما المفتشان اللذان كانا هنا منذ أيام قلائل؟".

أجبتُه بنعم، وأن لدينا أسئلة بشأن باولا ريتش.

دعانا رينفريو للدخول، فتبعنا ذلك الرجل الأنيق عبر المدخل الضيق من خلال الباب الأخضر الذى كان مغلقاً بالقفل فى آخر مرة رأيناه فيها.

قال رينفريو: "من فضلكما اجلسا". فجلسنا على واحدة من الأرائك الصغيرة فى أحد أركان ذلك المكتب المريح فيما جذب رينفريو مقعداً.

ثم قال: "أعتقد أنكما تريدان أن تعرفا أين كنتُ عندما اختُطِفت باولا".

قال كونكلين: "ستكون هذه هى البداية"، قالها وقد بدا عليه التعب، وأعتقد أن كلينا كان لديه نفس الإحساس.

التقط رينفريو دفتراً صغيراً من محفظته. كان دفتر يوميات صغيرًا يشبه ذلك الذى سبق استخدام الحاسبات الآلية المحمولة. وبدون مقدمات، أعطانا تقريراً كلاميًّا للمقابلات التى أجراها فى شمال سان فرانسيسكو فى الفترة التى سبقت وتلت مقتل باولا وخلال يوم مقتلها إلى جانب أسماء العملاء الذين قابلهم فى تلك الفترة.

قال مقترحاً: "يمكننى أن أعد لكم نسخة منها". لم أشعر بالراحة، بل شعرت أن هذا أمر غير منطقى؛ فقد بدا رينفريو مستعداً أكثر من اللازم، وكذلك كما لو كان قد تدرب على أن يقول ما قاله.

وافقت على الحصول على نسخة من جدول مواعيد رينفريو وسألتُه عن تحركات زوجته فى تلك الفترة فقال:

"كانت تقوم بجولة مطولة فى ألمانيا وفرنسا. ليس لدى معلومات محددة عن مسار رحلتها لأنها تضعه بعدما تسافر، لكننى أتوقع عودتها الأسبوع القادم".

سألتُه: "هل لديك أية فكرة عن وجود شخص ما قد يرغب فى إيذاء باولا أو ماديسون؟".

قال رينفريو: "كلا على الإطلاق. فى كل مرة أشاهد التليفزيون أرى تقريراً عن حادثة اختطاف. لقد صار أمراً وبائياً. كانت باولا فتاة محبوبة وأنا فى منتهى الأسى لأنها ماتت. لقد كان الجميع يحبونها".

واصل رينفريو كلامه قائلاً: "قابلتُ ماديسون مرة واحدة فقط، كيف يمكن لأى شخص أن يؤذى هذه الطفلة الغالية؟ لا أعرف كيف. إن موتها مأساة مرعبة جداً".

سألتُ رينفريو فجأة: "ما الذى جعلك تعتقد بوفاة ماديسون؟".

قال: "ألم تمت؟ لقد خمنتُ فقط... آسف. لقد أسأتُ الحديث. بالتأكيد أتمنى أن تعثروا عليها على قيد الحياة".

كنا نغادر مكتب تسجيل ويستوود عندما تركت مديرة المكتب مارى جوردان مكانها وتبعتنا حتى الباب.

وبمجرد أن خرجنا فى هواء الصباح شديد الرطوبة والذى اختلط برائحة سمك قادمة من محل مجاور حتى وضعت جوردان يدها على ذراعى وقالت فى إلحاح: "رجاءً، خذانى إلى أى مكان يمكننا أن نتكلم فيه؛ أريد أن أخبركما بشىء ما".

الفصل ٨٧

عدنا إلى مقر الشرطة بعد خمس عشرة دقيقة. جلست أنا وكونكلين مع مارى جوردان فى قاعة الطعام الضيقة الرثة، وكانت تمسك فنجان قهوتها دون أن تشرب منه شيئاً.

كانت تقول: "بعدما رحلتما قبل أيام قليلة وقبل عودة سيد رينفريو من رحلته؛ قررت أن أتجول فى المكان وعثرتُ على هذه". وأخرجت من حقيبتها نسخة من صفحة فى دفتر تسجيل، وقالت: "هذه من السجل. هكذا يسميانه".

سألها كونكلين: "أين عثرتِ عليها يا مارى؟".

أجابته: "لقد عثرتُ على مفتاح مكتب رينفريو الخاص. إنهما يحتفظان بالسجل هناك".

تكلمتُ مع مكتب المدعى العام، واستطعت التوصل إلى إحدى الموظفات فيه وتدعى كاثى فالوى. أخبرتها بالأمر وقالت إنها ستأتى إلينا خلال دقيقة.

كانت فالوى من أولئك الذين يقصدون بالفعل معنى كلمة "دقيقة". لقد جاءت إلى قاعة الطعام وقدمتها إلى مارى جوردان.

قالت فالوى لجوردان: "هل طلب منك أى من الرقيب بوكسر أو الضابط كونكلين إحضار هذه المواد؟".

قالت جوردان: "كلا بالطبع".

عادت تقول: "إذا كنتِ قد طلب منك أحدهم إحضار هذه المواد فإن ذلك سيجعلك عميلة للشرطة وهو ما يجعلنا مضطرين لاستبعاد الكتاب الذى جاءت منه هذه الورقة من قائمة الأدلة إذا ما وصل الأمر إلى المحكمة فى المستقبل".

قالت جوردان لها: "لقد فعلتُ ذلك بإرادتى فقط، لذلك ساعدينى بالله عليك".

ابتسمت فالوى، وقالت: "ليندس، يجب أن نتناول الغداء فى وقت آخر"، ثم هزت أصابعها وتركت قاعة الطعام.

سألتُ جوردان إن كان باستطاعتى أن أرى الورقة فقدمت إلى ورقة مكتوبًا بأعلاها عناوين "التعيينات، العملاء، الأتعاب". وكانت كل المداخلات عليها تاريخ السنة الحالية.

كانت قائمة التعيينات مليئة بأسماء النساء وغالبيتهن من الأجنبيات بينما كان الجزء الأغلب من قائمة العملاء يسبقه "السيد" و"السيدة" بينما كانت قائمة الأتعاب تضم مبالغ تدور فى مجال خمسة أرقام.

سألتُها: "هل تم تعيين كل أولئك الفتيات للعمل لدى تلك العائلات فى هذا العام؟".

هزت رأسها بنعم وقالت: "هل تتذكرين أننى قلت لكِ إن فتاة تسمى هيلجا من المتدربات فى المكتب قد اختفت منذ ثمانية أشهر عندما كان المكتب فى بوسطن؟".

أجبتُها قائلة: "نعم، أتذكر".

قالت مارى: "حسنا. لقد بحثت عن اسمها فى السجل. ها

هي" وأشارت إلى الاسم بسبابتها وهي تقول: "هيلجا شميدت. والناس الذين كانت تعمل معهم هنا أيضًا هم بينلوبي وويليام وايتن".

قال كونكلين: "استمرى".

قالت جوردان: "تقول الأوراق إن أسرة وايتن لديها طفلة تسمى إيريكا. إنها عبقرية في الرياضيات وتحل المسائل المدرسية وهي لا تزال في الرابعة. بحثتُ عن اسم الأسرة على الإنترنت ووجدتُ هذه المقابلة في الـ (بوسطن جلوب)".

ورقة أخرى تأتي من حقيبة ماري جوردان. أخرجت نسخة من مقالة في جريدة ووضعتها على المائدة وأدارتها بحيث يمكننا قراءتها ثم لخصتها لنا ونحن نقرأ.

قالت جوردان: "ظهرت هذه القصة في صفحة المجتمع في عدد مايو الماضي. سيد وايتن يعد أحد معارضي النبيذ وتم إجراء مقابلة معه وزوجته في المنزل. هنا تمامًا"، قالتها وهي تشير إلى صورة في نهاية المقالة، ثم تابعت قائلة: "هنا في المكان الذى قال فيه كل من سيد وسيدة وايتن إن ابنتهما سوف تغادر البلاد لتقيم عند شقيقة سيدة وايتن في إنجلترا حيث ستدخل مدرسة خاصة".

قالت لنا جوردان: "بدا لى الأمر غريبًا وغير معتاد. يبدو وكأنه لا يصدق. أسرة وايتن تستأجر مربية والمربية ترحل فجأة وتقرر الأسرة إرسال طفلتها إلى أوربا! الطفلة لا تزال في الرابعة من عمرها! يمكن للأسرة أن توفر لها معلمين خصوصيين ومربية أطفال هنا. لماذا يرسلون ابنتهم الصغيرة بعيدًا؟".

تبادلت أنا وريتش النظرات بينما واصلت جوردان قصتها قائلة:

"ربما لم أكن لأفكر في الأمر لولا مقتل باولا واختطاف ماديسون. أنا فقط لا أعتقد أن إيريكا وايتن تعيش في إنجلترا.

أتعتقدان أنني مجنونة".

قلتُ لها: "هل تعلمين ماذا أعتقد يا مارى؟ أنت لديك غريزة ضابط شرطة جيد".

الفصل ٨٨

سعل جاكوبى بشدة وهو بجانبى، فيما اصطبغ الهواء باللون الأزرق نتيجة دخان سيجار من نوع ردىء، بينما كان الهاتف يدق على مكتبه.

كان الخط مفتوحًا للاتصال مع منزل وايتن فى بوسطن، وكان عميل الـ (إف بى آى) ستانفورد هو الذى على الهاتف.

كان ستانفورد يقول: "الزوجان وايتن فى غاية الاضطراب إلا أننى استطعت أن أحصل منهما على القصة. تعرضت الطفلة إيريكا للاختطاف هى ومربيتها هيلجا شميدت قبل ثمانية أشهر".

أهكذا القصة إذن؟ أخيرًا وجدنا خيطًا يتصل بقضية ريتشي/تايلر.

لكن إذا كانت إيريكا قد تعرضت للاختطاف قبل ثمانية أشهر، فلماذا لم يبلغ ذووها الشرطة؟

واصل ستانفورد كلامه قائلاً: "لم ير أحد عملية الاختطاف حيث وجد الأبوان ورقة أسفل باب المنزل بعد ساعة من الموعد الذى كان محدداً لعودة إيريكا وهيلجا من مدرسة هيلجا وقد تم وضع ست صور مع الرسالة".

سأل ماكلين وبدا فى صوته انفجار مكتوم: "هل كانت رسالة طلب فدية؟".

قال ستانفورد: "ليس بالضبط. هل لديكم جهاز فاكس قريب؟".

أعطى تراتشيو لستانفورد رقم فاكسه. كان يمكن سماع أصوات منزل آل وايتن فى الخلفية؛ حيث كان هناك رجل وامرأة يتناقشان فى هدوء ولكن فى توتر. كان صوت المرأة يقول: "هيا يا بيل. قل لهم".

قال ستانفورد: "إلى الجميع هذا هو بيل وايتن".

حَيَّا بيل وايتن الجميعَ وقام تراتشيو بتقديمه إلى باقى الموجودين. كان الخوف والغضب قد سدا حلق بيل وايتن فبدا صوته مخنوقاً وهو يقول: "لقد قالوا إنه إذا أبلغنا الشرطة فإنهم سيقتلون الفتاة الصغيرة. ربما يكون فى منزلنا أجهزة تنصت! ربما كانوا يراقبوننا الآن. هل تفهمون؟".

تعالى صوت آلة الفاكس وراء تراتشيو وظهرت منها ورقة.

قال تراتشيو وهو يلتقط الورقة من الآلة: "انتظر قليلاً".

وضع الورقة على مكتبه لنا لكى نقرأها حيث كان مكتوباً:

"إن إيريكا لدينا. اطلب الشرطة وسوف تموت.
إذا ما شعرنا بالخطر سوف تموت.
بعد ذلك سوف نأخذ رايان.
أو كايلا أو باتى.

اهدأ وسوف تبقى إيريكا بصحة جيدة. سوف تتلقى صوراً لها وربما مكالمة هاتفية، بل إنها ربما تعود إلى المنزل.

كن ذكياً وهادئاً.

سوف يحيا كل أولادك ويشكرونك".

كان عمر الرسالة ثمانية أشهر إلا أن اللهجة القاسية المستخدمة فيها جعلت الرعب يقفز من بين سطورها. مازال الرعب قوياً كما لو أن الجريمة قد وقعت لتوها.

كانت الصدمة على وجوه الجميع إلا أن ماكلين أمسك الورقة بشدة كما لو كان يخنق عنق الخاطف.

التقط تراتشيو ورقة أخرى من آلة الفاكس ثم قال لستانفورد: "لا أستطيع أن ألتقط الصور".

فقال ستانفورد: "لقد تم تصوير إيريكا على خلفية بيضاء بالثياب التي اختطفت فيها. والصور الأخرى لقطات لابنى وايتن الأكبر سناً وهما فى المدرسة إلى جانب صورة أخرى لكايلا تم التقاطها لها من خارج النافذة وهى فى غرفة النوم. سوف نقوم بتحليل كل المجموعة".

كنتُ أفكر: "بالتأكيد سيحاولون جمع البصمات والآثار من على المظروف ومحتوياته. إلا أن ما لم يقله ستانفورد أمام الأبوين هو أن كل جثة مجهولة فى البلاد سوف تتم مقارنة حمضها النووى مع كل من إيريكا وهيلجا شميدت".

لم يكن فى ذهنى أى شك فى أن الخطاب والصور ليست إلا حيلة لكسب الوقت.

"لكن ماذا ربح الخاطفون؟".

"ماذا يريدون؟".

كان فى ذهنى شريط صور لطفلتين صغيرتين ومربيتيهما فاقدتى الحيلة مثلهما عندما دق جرس هاتفى الخلوي. كان صوت المفتش بول تشي يقول: "جاءت مكالمة طوارئ للفرقة يا ليندس. تعرض أحد الأشخاص للهجوم فى بناية بلاكلى آرمز".

الفصل ٨٩

خرجنا بصحبة كونكلين من مصعد بناية بلاكلى آرمز للممر المفروش بالسجاد فى الطابق السادس، ورأينا ضابطين فى طريقهما إلى الردهة خارج شقة ٦ جى. تعرفت من بينهما على الضابط باتريك نونان الذى كان قد اعتاد على التعامل مع قضايا القتل.

سألتُه: "ماذا حدث هنا يا نونان؟".

قال: "فوضى شديدة. هذا ما حدث أيتها الرقيب. اسم الضحية بين وايت. كان يعيش فى البناية لحوالى عام".

رفع كونكلين الشريط الذى وضعه رجال الشرطة ومررتُ من أسفله بينما كان نونان يواصل كلامه: "جاء المهاجم من الباب. إما أن الباب كان مفتوحاً أو أن الضحية سمح له بالدخول أو كان مع المهاجم مفتاح".

سألتُه: "من الذى استدعى الشرطة؟".

قال نونان: "السيدة التى تسكن الشقة المجاورة ٦ إف واسمها فيرجينيا هاوسام".

دخلنا إلى شقة الضحية المفروشة بتواضع. كانت هناك بركة من الدماء حول رأس الضحية، بركة داكنة على الأرضية الصنوبرية اللامعة.

كان رجلاً أسود البشرة في أوائل الثلاثينات رياضى القوام يرتدى سروالاً قصيراً وقميصاً رمادياً خفيفاً وحذاء للعدو. كان يرقد على جانبه الأيسر بجوار دواسة أقدام.

انحنيتُ لأرى بصورة أفضل، كانت عيناه مغمضتين، وكان تنفسه ثقيلاً ... إلا أنه كان على قيد الحياة.

تدافع عدد من الأطباء المساعدين من الباب والتفوا حول الضحية ورفعه ٣ منهم على حمالة.

قال الطبيب المساعد الذى كان واقفاً بجوارى: "إنه فاقد الوعي. سوف نأخذه إلى مستشفى سان فرانسيسكو العام. هل يمكنك أن تذهبى جانباً قليلاً أيتها الرقيب؟ شكراً".

تعالى صوت صفارة سيارة شرطة عندما دخل تشارلى كلابر واثنان من محققى مسرح الجريمة إلى حجرة معيشة وايت، ثم خطوا من فوق الأرضية إلى الدواسة.

قال لى كلابر: "لقد تم قطع الخيط الذى يربط هذا الشيء" وأرانى مكان القطع الذى بدا وكأنه تم بآلة حادة. سألنى: "هل رأيتِ الضحية؟".

أجبتُه: "نعم، إنه لا يزال على قيد الحياة على الأقل حتى الآن. يبدو كما لو أنه ضُربَ من الخلف".

وكما حدث فى حالة إيرين وولكوسكى فقد تمت إزالة الأداة التى تم استخدامها فى تنفيذ الاعتداء، وكما كان فى مسرح جريمة وولكوسكى فلم يكن هناك الكثير من الفوضى.

لم يكن هناك شك فى أن هناك رابطاً بين الاعتداءات التى جعلت الرعب شيئاً يحدث يومياً فى بناية بلاكلى آرمز.

كنتُ أفكر: "ما هو الرابط؟ ما الذى يجرى؟".

الفصل ٩٠

كانت جارة بين وايت تدعى فيرجينيا هاوسام وهى امرأة فى أواخر العشرينات من عمرها وتعمل ليلاً فى ملهى بوسط المدينة. قالت لنا إن وايت كان تاجراً وكان رجلاً لطيفاً بالفعل، الأمر الذى لا يجعل أى شخص عاقل يفكر فى إيذائه.

شكرنا سيدة هاوسام على مساعدتها وتوجهنا إلى سلم الحريق معتقدين أنه ربما سمع السكان أسفل شقة وايت أصواتاً يمكنها أن تساعد فى تحديد وقت الاعتداء.

كان كونكلين خلفى تماماً على السلم عندما تعالى صوت هاتفى فالتقطته ورأيت اسم ديف ستانفورد فى خانة اسم المُتَّصِل.

قلتُ: "معك بوكسر".

أشرت لكونكلين أن يضع أذنه بجوار الهاتف لكى يتسنى لنا معًا أن نسمع حديث ستانفورد.

سألتُه: "هل وصلت لك أنباء عن إيريكا وايتن؟".

قال ستانفورد وهو يضحك ضحكاً مكتوماً: "لا. ولكننى أعتقد أنكم تحبون معرفة أن تشارلى راى يشرب الآن مشروب الشيكولاتة الساخنة المفضل لديه مع الكثير من الكريمة المخفوقة ويرقد فى فراشه".

قلتُ: "مذهل يا ديف! ماذا حدث؟".

أخبرنى ستانفورد أن زوج إحدى السيدات المكتئبات جاء بالطفل. لقد فقدا طفلهما الذى مات قبل أسابيع.

أضاف ستانفورد: "المرأة التى اختطفت تشارلى كانت حزينة للغاية وكانت تقود سيارتها ورأت تشارلى يتطلع من خلف سور الحديقة فتوقفت واختطفته".

عدتُ أسأل: "هل هى محتجزة؟".

قال: "نعم، ولكنها ليست الشخص الذى نبحث عنه يا ليندس. ليس لها أية علاقة بإيريكا وايتن وماديسون تايلر. إنها الآن تتلقى علاجًا ضد الاكتئاب على يد أحد الأطباء، وكان الأمس هو اليوم الأول الذى تغادر فيه منزلها بعد وفاة طفلها".

شكرتُ ستانفورد وأغلقتُ الهاتف الخلوى وكان كونكلين هناك. نظرت إلى عينيه وكنتُ أشعر بالحرارة تنبعث منهما.

سأل ريتش: "إذن لم نصل إلى شىء؟".

قلتُ وأنا أواصل نزول السلالم من جديد: "لقد حصلنا على شيء. لقد حصلنا على قاتل فى هذه البناية الملعونة الكبيرة. أما بالنسبة لماديسون تايلر فقد حصلنا على طريق آخر مسدود".

الفصل ٩١

جلس ميكى شيرمان بجوار ألفريد برينكلى على طاولة الدفاع محاولاً أن يجعل موكله يفهمه على الرغم من كل الضباب المحيط بذهنه نتيجة الأدوية التى يتعاطاها.

هز شيرمان كتف موكله وهو يقول له: "فريد. فريد. فريد. لقد بدأنا الدفاع عنك اليوم. هل تفهم؟ لهذا سوف آتى بأشخاص يؤكدون مرضك".

هز برينكلى رأسه علامة على الموافقة وقال: "هل ستأتى بالطبيب الخاص بى للشهادة؟".

قال شيرمان: "صحيح. سيتحدث دكتور فريدمان عن حالتك العقلية لذلك لا تغضب؛ فهذا فى صالحك".

قال برينكلى: "أريد فرصة أشرح فيها وجهة نظرى للقصة".

أجابه شيرمان: "سوف نرى إمكانية ذلك. لا أعرف حتى الآن ما إذا كانت هناك حاجة لكى تدلى بشهادتك أم لا".

قام مساعد شيرمان بإعطائه ورقة صغيرة قائلاً إنه تمت الموافقة على كل الشهود الذين طلبهم، وبعد ذلك قال حاجب المحكمة: "قيام"، ودخل القاضى إلى القاعة من باب خلف مقعده كما دخل المحلفون واتخذوا أماكنهم.

كان هذا اليوم الرابع من محاكمة ألفريد برينكلى وكانت المحكمة منعقدة.

قال القاضى مور: "سيد شيرمان، هل أحضرت شاهدك الأول؟".

فقال شيرمان: "الدفاع يطلب سيد إيزاك كوينتانا".

كان كوينتانا يرتدى طبقات متعددة من الثياب الغربية إلا أن عينيه كانتا صافيتين، وابتسم بينما كان يتخذ موقفه فى منصة الشهادة.

بدأ شيرمان بالقول: "سيد كوينتانا".

قال الشاهد: "ادعنى أيْك. الكل ينادينى كذلك".

قال ميكى فى هدوء: "سوف أدعوك أيْك إذن. كيف تعرفت على سيد برينكلى؟".

أجابه إيزاك: "كنا فى نابا ستيت معاً".

سأله شيرمان: "هذه ليست كلية، أليس كذلك؟"، قالها وهو يبتسم في وجه الشاهد ويداعب العملات المعدنية في جيبه.

قال أيْك مبتسماً: "بلى، لقد كانت مصحة عقلية".

فعاد شيرمان يسأله: "إنها مؤسسة عقلية حكومية، أليس كذلك؟".

أجابه أيْك: "بالطبع".

عاد شيرمان يسأل: "هل تعرف لماذا كان فريد فى نابا ستيت؟".

فقال أيْك: "لقد كان محبطاً، لا يأكل، لا يغادر فراشه، يحلم أحلاماً سيئة. لقد ماتت شقيقته كما تعلم، وقد دخل المصحة لأنه كان لا يريد الحياة".

سأله شيرمان من جديد: "كيف عرفتَ أن فريد كان محبطاً وراغباً في الانتحار؟".

قال أيْك: "هو أخبرنى. كما علمتُ أنه يخضع للعلاج المضاد للاكتئاب".

قال شيرمان: "ومنذ متى وأنت تعرف فريد؟".

أجابه أيْك: "منذ حوالى عامين".

فعاد شيرمان يسأل: "وهل تعرفه جيداً؟".

رد أيْك قائلاً: "أوه، بالطبع. إنه فتى لطيف. وهذا ما يجعلنى أعتقد أنه لم يقصد قتل أولئك الأشخاص على سطح المعدية...".

قاطعه صوت يوكى صائحةً: "اعتراض يا عدالتكم! إنه رد لا يتناسب مع السؤال. أريد حذف العبارة الأخيرة للشاهد من سجل الجلسة".

قال القاضى: "اعتراض مقبول ويتم تنفيذه".

قال شيرمان محاولاً إعادة الهدوء للشاهد: "أيْك، هل كان فريد يميل للعنف فى الفترة التى عرفتَه فيها؟".

أجابه أيْك: "يا إلهى، لا. من قال لك ذلك؟ لقد كان دوماً لا يتحرك من مكانه. إن المُسَكِّنات تفعل ذلك بمن يتعاطاها. خذ حبة واحدة من تلك المسكنات ولن تقوم بأية أفعال مجنونة على الإطلاق".

الفصل ٩٢

وقفت يوكى خلف طاولة الادعاء، وفردت التجاعيد التى كانت فى تنورتها وهى تفكر فى أن كوينتانا مثل الدمى الخشبية بابتسامته الحمقاء وثيابه التى تجعله يبدو وكأنه ارتدى كل ما فى أحد محلات الملابس.

بدا وكأن كل الظروف فى صالحه. إن المحلفين ابتسموا مبدين إعجابهم به، وبالتالى إعجابهم ببرينكلي.

قالت يوكي: "سيد كوينتانا، لماذا كنتَ فى نابا ستيت؟".

قال لها: "كنتُ مصاباً بالوسواس القهرى. إنه ليس خطيراً. فقط كان يستغرق كل وقتى لأننى كنتُ أجمع الأشياء وأقوم بفحصها طوال الوقت...".

قاطعته قائلة: "شكراً لك. ولكن هل أنت أيضاً طبيب نفسى؟".

أجاب أيْك قائلاً: "لا، ولكننى أعرف القليل بالطبع".

ابتسمت يوكى عندما أطلق المحلفون ضحكات مكتومة. يحتاج الأمر إلى البراعة من أجل دحض شهادة كوينتانا دون أن تنقلب ضدها هيئة المحلفين.

عادت يوكي تقول: "أى عمل تزاول يا سيد كوينتانا؟".

أجابها قائلاً: "أنا عامل غسيل أطباق فى مطعم جيد كافيه فى بريانت. إذا كنتِ تريدين نظافةً فلن تجدى أفضل من شخص مصاب بالوسواس القهرى لغسيل الأطباق".

قالت يوكى وسط الضحكات التى انطلقت من الحضور: "أفهم ما تقول. هل تلقيتَ أى تدريب طبى؟".

قال أيْك: "كلا".

عادت تسأل: "وبعيداً عن الآن، متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها سيد برينكلى؟".

قال: "قبل خمسة عشر عاماً. لقد خرج من نابا ستيت فى عام ١٩٨٨ أو فى هذه الحدود".

فسألته من جديد: "ولم يكن هناك أى اتصال بينكما طوال الفترة من ذلك التاريخ وحتى الآن؟".

نفى قائلاً: "لا".

"إذن فأنت لا تعرف أنه مر بجراحتين فى فصوص المخ وأجرى عملية زرع قلب منذ أن رأيته آخر مرة؟".

"ها... ها. ها مضحك. هل هذا حقيقى؟".

"أعتقد يا سيد كوينتانا أن ذلك "الإنسان اللطيف" البالغ من العمر ١٦ عامًا ربما يكون قد تغير. هل أنت نفس الشخص الذى كنتَ عليه قبل خمسة عشر عامًا؟".

قال: "تغيرت بالطبع".

تعالت القهقهة من الحضور حتى من بين المحلفين فابتسمت يوكى حتى لا تُظهر أنها - لا سمح الله - تفتقد لحس الدعابة.

وعندما عاد الهدوء قالت: "أيْك، عندما قلتَ إن سيد برينكلى كان مجنوناً هذا كان رأيك كصديق، أليس كذلك؟ ولم تكن تحاول

أن تقول إن حالته تندرج تحت التعريف القانونى للجنون؟ والذى يعنى عدم معرفة الصوابِ من الخطأ؟".

قال: "لا، أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك".

قالت يوكي: "شكراً لك يا سيد كوينتانا. ليس لدى المزيد من الأسئلة".

الفصل ٩٣

سار الشاهد الثانى لشيرمان وهو دكتور سيندى فريدمان عبر الممر باتجاه منصة الشهادة، وكان رجلا جيداً تعلم فى هارفارد ويبدو طبيباً نفسياً بنظارته الأنيقة ورابطة عنقه المقوسة التى تحمل شعار بروكز برذرز. كان فى ملامحه يشبه ليام نيسُن.

قال شيرمان للشاهد بعد أن أدى اليمين وأظهر إثباتات شخصيته: "دكتور فريدمان، هل أتيحت لك الفرصة لكى تجرى مقابلة مع سيد برينكلى؟".

قال دكتور فريدمان: "نعم، ثلاث مرات منذ أن تم احتجازه أثناء المحاكمة".

سأله شيرمان: "هل قمتَ بتشخيص حالته؟".

قال دكتور فريدمان: "نعم. فى رأيى إن سيد برينكلى يعانى من اضطراب الانفصام فى الشخصية".

عاد شيرمان يسأله: "هل يمكنك أن تخبرنا ما الذى يعنيه ذلك؟".

عاد فريدمان بظهره إلى الوراء فى مقعده وهو يحاول ترتيب أفكاره قبل أن يقول: "اضطراب الانفصام فى الشخصية هو اضطراب فكرى ومزاجى وسلوكى يتضمن عناصر من انفصام الشخصية التشككى. يمكن أن نعتبره اضطراباً ثنائى الأبعاد".

سأله شيرمان: "(ثنائى الأبعاد) تعنى جنونى ـ اكتئابى؟".

أجابه دكتور فريدمان: "(ثنائى الأبعاد) تعنى أن المصاب به يعانى من صعود وهبوط فى النفسية بين اليأس والاكتئاب وبين النشاط الزائد والهيستريا، إلا أنه غالباً ما يتواءم مع مرضه لوقت طويل، وبصورة أو بأخرى يستطيع الاندماج فى المجتمع".

سأله شيرمان: "هل يسمع المصابون به أصواتاً؟".

أجاب دكتور فريدمان: "نعم. الكثير منهم يسمع أصواتاً. وهذا يكون أحد أعراض الانفصام فى المرض".

عاد شيرمان يسأل: "أصوات تهددهم؟".

ابتسم دكتور فريدمان قائلا: "نعم. وهذا يدعى جنون العظمة".

من جديد سأله شيرمان: "هل قال لك سيد برينكلى إنه يعتقد أن من يظهرون فى التليفزيون يتحدثون إليه؟".

أجابه دكتور فريدمان: "نعم. وهذا أيضاً عَرَض معتاد لاضطراب الانفصام فى الشخصية... وهو مثال على الخروج من الواقع. وجنون العظمة يجعله يعتقد أن تلك الأصوات تستهدفه".

سأله شيرمان: "هل يمكنك أن توضح ماذا تقصد بتعبير (الخروج من الواقع)؟".

قال دكتور فريدمان: "بالتأكيد. منذ اللحظة التى كان فيها مرض سيد برينكلى فى بداياته كان هناك نوع من التشوه فى الطريقة التى يفكر ويتصرف بها ويعبر بها عن مشاعره. والجانب الأكثر أهمية كان يتعلق بالكيفية التى يتلقى بها الحقائق فى عالم الواقع، وهذا هو عنصر الاختلال الذهنى؛

عجزه عن القول ما هو الواقع وما هو الخيال".

قال شيرمان: "شكراً لك يا دكتور فريدمان. والآن فيما يتعلق بالأحداث الأخيرة التى قادت سيد برينكلى إلى المحاكمة. هل يمكنك أن تحدثنا عن ذلك؟".

قال دكتور فريدمان: "فى اضطراب الانفصام فى الشخصية، يكون هناك حدث تحفيزى معين يؤدى إلى حدوث تزايد فى السلوك الجنونى. وفى تشخيصى أعتقد أن الحدث التحفيزى كان فصل سيد برينكلى من وظيفته، وبالتالى فقدان برنامج حياته وما تلى ذلك من طرده من منزله. كل هذا قد فاقم من مرضه".

قال شيرمان: "فهمت يا دكتور فريدمان. هل أخبرك سيد برينكلى بشىء عن حادث إطلاق النار فى المعدية؟".

قال دكتور فريدمان: "نعم. لقد علمتُ فى جلساتنا أن سيد برينكلى لم يركب أى قارب منذ أن توفيت شقيقته فى رحلة بحرية وقت أن كان فى السادسة عشرة من العمر. وفى يوم حادث المعدية كان هناك حدث تحفيزى إضافى. لقد شاهد سيد برينكلى قارباً وهو الأمر الذى أطلق ما جرى، وفقاً لمصطلحات ليمان فإن ذلك وضعه على الحافة. لم يستطع أن يميز بين الوهم والحقيقة".

سأله شيرمان من جديد: "هل قال لك سيد برينكلى إنه كان يسمع أصواتاً فوق المعدية؟".

قال دكتور فريدمان: "نعم. أصواتًا طلبت منه أن يقتل. يجب أن تفهم أن فريد لديه غضب عارم مكتوم بسبب وفاة شقيقته، وقد عبر ذلك عن نفسه من خلال انفجار شديد".

وأردف: "لم يكن الأشخاص على المعدية حقيقيين بالنسبة له. كانوا مجرد إسقاطات لأوهامه. كانت الأصوات هى حقيقته، وكانت الطريقة الوحيدة لكى يوقفها هى أن يطيعها".

قال شيرمان وهو يلمس شفته العليا بطرف إصبعه السبابة: "دكتور فريدمان، هل يمكنك أن تؤكد لنا بدرجة معقولة من

اليقين الطبى أن سيد برينكلى عندما أطاع الأصوات وأطلق النار على الركاب فى المعدية لم يكن يقدر الفارق بين الصواب والخطأ؟".

قال دكتور فريدمان: "نعم. استناداً إلى جلساتي مع سيد برينكلى وخبرتى طوال عشرين عاماً فى التعامل مع الاضطرابات العقلية الحادة؛ فإن رأيي أنه في وقت إطلاق النار فإن ألفريد برينكلى كان يعانى من مرض أو خلل عقلى منعه من التمييز بين الصواب والخطأ. إننى مقتنع تماماً بذلك".

الفصل ٩٤

دفع ديفيد هيل بورقة إلى يوكى. كانت عبارة عن رسم كارتونى لكلب كبير من نوع بول دوج بطوق به بروز مدببة فيما يسيل لعابه من بين أنيابه، وكانت الفقاعة التى تحمل الكلمات فى الرسم تقول: "اذهب وأحضرهم".

ابتسمت يوكى وهى تتخيل لين باريزى وقد انطلق فى خطوات واسعة في ساحة المحكمة وأخذ يمزق الشاهد الذى أجْرَه شيرمان إلى أجزاء صغيرة.

أحاطت الرسم بدائرة ووضعت أسفله خطاً، ووقفت وأخذت تتكلم قبل حتى أن تصل إلى المنصة؛ حيث كانت تقول:

"دكتور فريدمان، أنت رجل معروف بأنك خبير فى الشهادة، أليس ذلك صحيحاً؟".

أخبرها فريدمان أن ذلك صحيح وإنه قدم شهادته للعديد من فرق الادعاء والدفاع طوال السنوات التسعة الماضية.

فسألته: "فى هذه الحالة فقد قام الدفاع باستئجارك؟".

أجاب قائلاً: "نعم. هذا صحيح".

فعادت تقول: "وكم دفع لك؟".

نظر دكتور فريدمان إلى القاضي مور الذى حدق فيه قائلاً: "من فضلك أجب عن السؤال يا دكتور فريدمان".

فأجاب دكتور فريدمان: "لقد دفع لى حوالى ثمانية آلاف دولار".

قالت يوكى: "ثمانية آلاف دولار. حسنًا. ومنذ متى وأنت تعالج سيد برينكلى؟".

قال: "سيد برينكلى لم يكن مريضى بالمعنى الفنى".

قالت له: "أوه. إذن دعنى أسألك: هل يمكنك أن تشخص حالة مريض لم تعالجه أبداً؟".

فقال دكتور فريدمان فى ازدراء: "لقد عقدتُ ثلاث جلسات مع سيد برينكلى، وخلال هذه الفترة أعطيته العديد من الاختبارات النفسية. ونعم يمكننى أن أقيم حالة سيد برينكلى دون أن أعالجه".

فعادت يوكى تقول: "إذن، استناداً إلى ثلاث جلسات وهذه الاختبارات النفسية فأنت تعتقد أن المدعى عليه لم يكن قادراً على التمييز بين الصواب والخطأ فى وقت ارتكابه جرائم القتل؟".

قال: "هذا صحيح".

"لقد أجريت له فحصاً بأشعة إكس واكتشفت أن هناك ورماً يضغط على أحد فصوص مخه، أليس كذلك؟".

"لا. بالطبع لا".

هنا قالت يوكى: "إذن، كيف لنا أن نعرف أن سيد برينكلى لم يكن يكذب ويزور فى نتائج الاختبارات لكى يفلت من الإدانة بارتكاب جرائم القتل؟".

قال فريدمان: "لم يفعل ذلك. إن أسئلة الاختبار مصممة بحيث تكشف الكذب. إنها مكررة بطرق مختلفة فإذا جاءت الإجابة متسقة مع بعضها البعض فإن المريض يقول الحقيقة".

لَكِنَّ يوكى قالت: "دكتور، أنت تستخدم هذه الاختبارات لأنك بالفعل عاجز عن معرفة ما يدور فى عقل المريض، أليس كذلك؟".

قال: "حسناً. أنت أيضاً تصدرين حكماً على أساس السلوك".

قالت له: "دكتور فريدمان، هل تعى المعنى القانونى لتعبير (الوعى بالذنب)؟".

قال: "نعم، إنه يشير إلى الأفعال التى قد يرتكبها شخص والتى تشير إلى أن هذا الشخص واعٍ بأن ما يفعله خطأ".

قالت يوكي: "تماماً يا دكتور. والآن إذا ما أطلق شخص النار على خمسة أشخاص وهرب بعد ذلك كما فعل ألفريد برينكلي، ألا يشير ذلك إلى (الوعى بالذنب)، ألا يشير ذلك إلى أن سيد برينكلي يعرف أن ما فعله كان خطأ؟".

قال دكتور فريدمان: "يا آنسة كاستلينو، ليس كل ما يفعله المرء عندما يكون فى حالة اضطراب عقلى يكون غير منطقى. كان الناس على المعدية يصرخون وقد تقدموا إليه بغرض إيذائه، وبالتالى فقد فر. وأغلب الناس إذا ما وجدوا أنفسهم فى هذا الموقف فسوف يفرون".

ألقت يوكى نظرة على ديفيد الذى منحها هزة تشجيعية من رأسه، وكانت تأمل لو أعطاها شيئاً ما يمكنها به أن تهدم شهادة فريدمان لأنها لم تكن تملك شيئاً مثل هذا.

قالت يوكي: "دكتور فريدمان، هل تلعب الموهبة دوراً فى تقييمك؟".

قال دكتور فريدمان: "بالطبع، الموهبة أو الحدس تتشكل من طبقات مختلفة من الخبرة. لذلك نعم، فأنا أستخدم الموهبة إلى

جانب الأصول النفسية العلمية فى تقييمى".

سألته: "وهل قمتَ بتحديد ما إذا كان سيد برينكلى خطراً أو لا؟".

أجابها قائلاً: "لقد قابلتُ سيد برينكلى قبل أن يحال للمحكمة، وبعد أن تمت إحالته إليها، ورأيى أنه فى حالة تلقيه علاجاً جيداً فإن سيد برينكلى ليس خطراً".

وضعت يوكى كلتا يديها على منصة الشهادة ونظرت إلى فريدمان فى عينيه وقد تجاهلت كل شخص وكل شىء فى القاعة وتكلمت بأسلوب نابع من الخوف الذى يعتريها كلما نظرت إلى الشخص الغريب الجالس بجوار ميكى شيرمان، فقالت:

"دكتور فريدمان، لقد التقيتَ مع سيد برينكلى خلف القضبان وبرجاء استخدم موهبتك فى الإجابة عن هذا السؤال: هل ستشعر بالراحة وأنت تستقل سيارة أجرة عائداً إلى المنزل وبصحبتك سيد برينكلي؟ وأنت هل ستشعر بالأمان وأنت تتناول العشاء معه فى منزله؟ تستقل معه المصعد وحدكما؟".

قفز ميكى شيرمان واقفاً، وقال: "يا عدالتكم، أعترض. تلك الأسئلة يجب أن يتم حذفها".

قال القاضى متمتماً: "اعتراض مقبول".

هنا قالت يوكى: "لقد انتهيتُ من الشاهد يا عدالتكم".

الفصل ٩٥

فى الثامنة والنصف من صباح ذلك الاثنين، أخذت ميريام ديفاين حزمة البريد من الخزانة الموجودة فى الردهة وأدخلتها إلى مائدة الإفطار.

لقد عادت هى وزوجها الليلة الماضية إلى منزلهما "باسيفيك هايتس" بعد رحلتهما البحرية التى استغرقت عشر أيام فى البحر المتوسط؛ حيث انعزلا تماما عن الهواتف والتليفزيون والصحف والفواتير.

كانت تريد أن تبقى بعيداً عن العالم الحقيقى ليومين إضافيين على الأقل؛ حيث كانت تريد أن يستمر شعور الإجازة لفترة أطول، فقط لو كانت تستطيع.

قامت ميريام بإعداد قهوة غير مركزة وقامت بتسخين كعكتين وبدأت هجومها على حزمة البريد واضعةً الكتالوجات على الجانب الأيمن من مائدة المطبخ والفواتير على الجانب الأيسر وباقى الرسائل فى الجهة المقابلة لفنجان القهوة.

عندما وجدت الخطاب الأبيض الخالى الموجه إلى آل تايلر وَضَعَتْه فى قاع قائمة المنوعات، وواصلت العمل بكتابة الشيكات والتخلص من البريد غير ذى القيمة فى انتظار قدوم جيم إلى المطبخ.

تناول زوجها قهوته واقفاً وهو يقول: "يا إلهى. لا أريد الذهاب إلى العمل، سيكون الأمر أشبه بالجحيم حتى ولو لم يعرف أحد أننى هناك".

فقالت له: "سوف أعد أرغفة اللحم فى العشاء يا حبيبى، وجبتك المفضلة".

فقال: "حسناً. شىء يريده المرء على أية حال".

خرج جيم ديفاين من المنزل وأغلق الباب الرئيسى خلفه فيما أنهت ميريام مهمتها مع البريد وغسلت الأطباق، وتحدثت مع ابنتها هاتفيا قبل أن تطلب جارتها التى تسكن بجوارها إليزابيث تايلر.

قالت ميريام لإليزابيث فى الهاتف: "ليز! حبيبتي! لقد عدت أنا وجيم ليلة أمس. لدى بريد خاص بك تم تسليمه لى بطريق الخطأ. لماذا لا أحضر إليك لكى نجلس سوياً؟".

الفصل ٩٦

وقفتُ مع كونكلين فى حجرة معيشة أسرة تايلر. كان ذلك بعد خمس عشرة دقيقة فقط من إعطاء جارتهم ميريام ديفاين لهم رسالة الخاطفين المكتوبة.

وكان لهذه الرسالة تأثير قنبلة نووية شعورية على إليزابيث تايلر، وكان لها نفس التأثير علىّ.

أتذكر أننى فتشتُ منزل آل ديفاين يوم الاختطاف. إنه منزل مغطاة جدرانه بالألواح الخشبية وردية اللون ذات الطراز الفيكتورى ويماثل تقريبا منزل آل تايلر المجاور له تمامًا. لقد تحادثت مع مديرة منزل آل ديفاين وتدعى جواديلوب بيريز وأخبرتنا بإنجليزية غير واضحة أن الزوجين ديفاين كانا بالخارج.

قبل تسعة أيام لم أكن أتخيل أن جواديلوب قد سحبت خطابًا تم دفعه من أسفل الباب ووضعته مع بقية بريد الزوجين ديفاين.

فكرت فى نفسى قائلة: "ربما لم يكن يعلم أحد، إلا أننى شعرت بالحزن والمسئولية على أية حال".

قال كونكلين لهنرى تايلر: "هل تعرف آل ديفاين جيداً؟".

كان هنرى تايلر يروح ويجيء على عتبة الحجرة التى كانت مليئة بصورة ماديسون وهو يقول: "ليسوا هم، حسناً؟ آل ديفاين لم يفعلوها! ذهبت ماديسون! تأخر الوقت!"، قالها صائحًا وهو يمسك يديه بكفيه.

ألقيتُ نظرة من جديد على المائدة والحروف الكبيرة على الورقة البيضاء التى استطعتُ أن أقرأها من على بعد خمس أقدام.

"ابنتك لدينا.
اطلب الشرطة وسوف تموت.
إذا ما شعرنا بالخطر سوف تموت.
الآن ماديسون بخير وبصحة جيدة وآمنة وسوف تظل كذلك
ستبقى كذلك طالما بقيتَ هادئاً.
الصورة هى الأولى. سوف تتلقى صورة جديدة لماديسون كل عام. ربما تتلقى اتصالاً هاتفياً. بل ربما تعود إلى المنزل.
كن ذكياً وهادئاً.
يوماً ما سوف تشكرك ماديسون".

كانت صورة ماديسون المرفقة مع الرسالة قد تم التقاطها بواسطة كاميرا منزلية خلال ساعة واحدة من الاختطاف. كانت الفتاة تبدو فى الصورة نظيفة ولم تتأذ، وترتدى المعطف الأزرق والحذاء الأحمر.

سأل سيد تايلر: "هل يعرف أننا لم نتلق الرسالة؟ هل يعرف أننا لم نقصد أن نخدعه؟".

قلتُ: "لا أعلم بالفعل سيد تايلر ولا أستطيع فى الواقع أن أخمن...".

قاطعتنى إليزابيث تايلر وأخذت تتكلم وقد انتفخت رقبتها بفعل الانفعال: "إن ماديسون أكثر الفتيات اللاتى يمكنك مقابلتهن ذكاء وسعادة، كانت تغنى، كانت ترقص، كانت تعزف الموسيقى، وكان لديها أجمل ضحكة".

وأردفت: "هل اغْتُصِبَتْ؟ هل هى مُقَيَّدَة إلى فراش فى بدروم؟ هل هى جائعة وتشعر بالبرد؟ هل تعرضت للإيذاء؟ هل تم تخويفها؟ هل تصرخ وتنادى علينا؟ هل تتساءل لماذا لم نأت إليها للآن؟ أم أنها تجاوزت كل ذلك الآن وأصبحت آمنة فى حماية الله؟".

وأردفت: "هذا هو كل ما نفكر فيه يا أفراد الشرطة".

"يجب أن نعرف ماذا حدث لابنتنا. يجب أن تفعلوا ما هو أكثر مما فكرتم فى أن تفعلوا".

وأردفت لى إليزابيث تايلر: "يجب أن تعيدوا ماديسون للمنزل".

الفصل ٩٧

وُضِعَت رسالة الخاطفين . بعد أن تم حفظها في حقيبة بلاستيكية ـ على مكتبي؛ بحيث أتمكن أنا وكونكلين من قراءتها.

"ماديسون لدينا. اطلب حماية الشرطة وسوف تموت.
إذا ما شعرنا بالخطر سوف تموت".

مازلنا نشعر بالصدمة من تلك الكلمات عَاجِزَيْن عن نفض شعور الاشمئزاز الذى انتابنا؛ إذ إننا بينما نعمل بالفعل في قضية ريتشي/تايلر وجدنا أنفسنا أمام إمكانية أن تكون ماديسون قد قُتِلَتْ.

عندما وصل ديف ستانفورد بحلول الظهيرة قمنا بتحويل رسالة الخاطفين إلى عميل الـ (إف بي آي) فيما طلب جاكوبي

فطيرة من محل بريستو بيتزا بينما جذب كونكلين مقعداً لستانفورد وفتحنا ملفاتنا له.

بعد ذلك بساعة كان الأمر لا يزال يسير في اتجاه واحد: آل وايتن في بوسطن وآل تايلر في باسيفيك هايتس يشتركان في تعاملهما مع مكتب تسجيل ويستوود.

قسمنا أسماء العملاء الذين نسخت لنا ماري جوردان أسماءهم من السجل، وبدأنا في إجراء مكالمات هاتفية. وبمرور الوقت انتهينا من تلك المهمة وأصبحنا مستعدين للذهاب.

توجه كونكلين وماكلين في سيارة ستانفورد بينما اصطحبني جاكوبي في سيارته، وأصبحنا من جديد رفيقين في ذلك اليوم.

كان من الجيد رؤية وجه جاكوبي الطبيعي غير المتكلف بجانبي؛ حيث استقر جسده الضخم خلف عجلة القيادة.

قال لي: "اعذريني للملاحظة، ولكنك تبدين كما لو كنتِ قد تعرضتِ للتأنيب القاسي".

قلتُ: "هذه القضية الملعونة تزعجني. ولكن بما أنك ذكرتَ ذلك، فإنني أتساءل عن شيء ما. هل حدث أن كذبتَ على عندما يكون مظهري غير جيد؟".

قال جاكوبي: "لا أعتقد ذلك، لا".

قلتُ: "أعتقد أن هذا من الأشياء التي أحبها فيك".

ابتسم قائلاً: "لا تكوني رقيقة معي الآن"، قالها وهو ينعطف إلى اليمين بحدة في اتجاه لومبارد وأوقف السيارة.

خلال الساعات الخمسة التي تلت ذلك، قمنا بملاقاة أربعة من عملاء مكتب تسجيل ويستوود ومربياتهم. وفي الوقت الذى كانت الشمس تلقى بأضوائها على السحب القطنية الوردية في الغرب، انضممنا إلى ماكلين والآخرين في المقر.

كان الاجتماع قصيراً لأن كل مقابلاتنا التى استغرقت خمسًا وعشرين ساعة انتهت إلى لا شيء إلا المديح لمكتب تسجيل

ويستوود ومربياتهم الخمس نجوم.

وفى حوالى الساعة السابعة مساءً قلنا لبعضنا البعض إننا سوف نناقش هذه المسألة ثانيةً فى الصباح، وعبرت إلى بريانت وخلصت سيارتى من الزحام وتوجهت مباشرة إلى بوتريرو هيلز.

كانت أضواء الشمس تخبو فى الشوارع وأنا أوقف سيارتى أمام منزلى الحبيب.

وبينما كانت يدى تقبض على باب السيارة احتجب الضوء القادم من نافذة المقعد المجاور لمقعد السائق، وقد ارتمى علىَّ ظل ما.

دق قلبى وأنا أدير رأسى وأرى ذلك الشخص الذى دخل مجال الرؤية، واستغرق الأمر منى ثوانى قليلة حتى أستطيع استيعاب ذلك؛ وحتى بعد أن استوعبتُ فلم أصدق عينىَّ.

لقد كان جو!

الفصل ٩٨

لقد كان جو! لقد كان جو حقاً!

لم يكن هناك شخص في العالم أردتُ رؤيته أكثر منه.

قلتُ وقلبى يخفق فى عنف وأنا أغادر السيارة صَافِعَةً بابها: "كم مرة قلتُ لك...".

قال: "لا ينبغى أن يحاول المرء سرقة ضابطة شرطة مسلحة، أليس كذلك؟".

قلتُ: "هذا صحيح. هل هناك مشكلة بينك وبين الهواتف؟ هل لديك نوع من الخوف المَرَضِىّ؟".

ابتسم جو فى خجل وارتباك وهو يقف بجوار الرصيف قبل أن يقول: "ولا حتى كلمة تحية؟ أنت جافة يا شقرائى".

قلتُ له: "أتعتقد ذلك؟".

لم أشعر بأننى جافة على الرغم من أننى شعرتُ أننى مُسْتَنْفَدَة وهشة وقريبة من البكاء، إلا أننى كنتُ قد قررتُ

ألا أُظْهِرَ أى شىء من هذا. عبس وجهى وأنا أنقر بأصابعى على السيارة إلا أن ذلك لم يمنعنى من ملاحظة كم يبدو جو عظيماً.

قال وهو يبتسم فى انتصار مُطْلَق: "معذرة، لقد انتهزتُ الفرصة، كنت آمل فقط أن أراك. لذلك على أية حال، كيف كنت خلال الفترة الماضية؟".

قلتُ كاذبةً: "كنت أفضل، أنت تعرف، إننى مشغولة".

قال: "بالتأكيد. أعرف. أنت تظهرين فى كل الصحف. المرأة الخارقة".

قلتُ وأنا أضحك رغماً عن نفسى: "أكثر من ذلك، خارقة لأننى سوف أحل قضية" كنت قد بدأتُ أصبح أهدأ تجاه جو حيث توقفت عن النقر بأصابعى على السيارة ومِلْتُ نحوه قليلا وأنا أسأله: "كيف سارت الأمور معك؟".

قال: "لقد كنتُ مشغولاً أنا أيضاً".

قلتُ: "حسناً، أعتقد أن كلينا كان مشغولاً بالمتاعب". أغلقتُ السيارة إلا أننى كنتُ لا أزال لم أخط أية خطوة تجاهه. كنت أحب أن يظل هذا الجسم المعدنى بيننا. كانت سيارتى من طراز "إكسبلورر" هى رفيقتى وكان وجودها بيننا يعطينى فرصة لأفكر فى ماذا أفعل مع جو.

ابتسم جو قائلا: "نعم، بالطبع. لكن ما عَنَيْتُه هو أننى كنتُ مشغولاً بمحاولة بدء حياة جديدة".

قلتُ فى نفسى: "ماذا كان ذلك؟ ما هذا الذى قاله؟".

اهتز قلبى وبدأت ركبتاى فى الارتعاد. ومضى فى نفسى شىء... لقد بدا جو عظيمًا لأنه وقع فى حب واحدة أخرى. لقد جاء إلى هنا لأنه لم يستطع أن يخبرنى بهذه الأنباء عبر الهاتف.

أعادتنى كلماته إلى اللحظة الراهنة وهو يقول: "لم أكن أريد أن أتصل بك إلا عندما ينتهى الأمر إلا أننى لم أستطع أن أحرك

ذلك الطلب فى النظام بالسرعة المناسبة".

فَكَّرْتُ: "ما الذى تتكلم عنه؟".

وكان جو يتابع: "لقد انتقلتُ إلى سان فرانسيسكو يا ليندس".

عَمَّ الارتياح نفسى، وملأت الدموع عينى بينما كنتُ أحدق فى جو. تراءت لى ـ دون قدرة على منع ذلك أو وقفه ـ صور من الأشهر التى طرنا فيها فى عالم الرومانسية، إلا أنه لم يكن الجزء الرومانسى هو الذى تذكرته أكثر، فقد تذكرتُ الأوقات المرحة التى كنتُ أحدق فيها فى شعر جو المتراجع للخلف دون أن يشعر أننى أنظر إليه، أو طريقته فى احتواء إناء الطعام الخاص به حيث تربى فى منزل يضم ستة أشقاء وشقيقات ولم يكن لأى منهم الحق فى امتلاك أى شىء بمفرده. كنتُ أفكر فى أن جو كان هو الشخص الوحيد الذى يتركنى أتكلم فى حرية ولا يتوقع منى أن أكون قوية طيلة الوقت. وحسنًا، تذكرتُ كم كنتُ أشعر بالأمان فى صحبته.

أتانى صوته وهو يقول: "لقد تلقيتُ تأكيدات إلا أن الأمر ليس نهائياً"، ثم حَدَّقَ فىَّ وقال: "يا إلهى، إنك لا تدرين كم أفتقدك يا ليندس!".

هبت الريح من الساحل فأطارت دموع عينى على وجنتى. فيما كنتُ أشعر بالامتنان لهذه الهدية غير المتوقعة المتمثلة فى زيارته.

قلتُ له أخيراً: "لماذا لا نصعد إلى أعلى؟ لا ينبغى علينا أن نتحدث فى الشارع".

ظللت وجهه سحابة من الحزن وهى يقترب منى ويقول: "كنتُ أريد أن آتى إلا أن الطائرة سوف تفوتني. أريد فقط أن أقول لك لا تتركيني. أرجوك".

لم أكن أريد التطلع فى وجهه حتى لا يرانى مأخوذة أو تحت سيطرته. قبل أسابيع جَمَّدْتُ مشاعرى لكى أقطع كل صلتى به بسبب خداعه لي... الآن هو هنا، والآن هو ليس هنا.

لا شيء تغير.

قلتُ فى سرعة: "يجب أن تغادر الآن. رحلة سعيدة".

كان ينادى اسمى وأنا أجرى بكل سرعتى عبر السلالم، الأمامية للمنزل. وضعتُ المفتاح فى القفل وأدرتُ مقبض الباب فى لحظة واحدة، وصفعتُ الباب خلفى وأنا أواصل صعود السلالم، وعندما دخلتُ شقتى توجهت من فورى إلى النافذة.

فتحت الستائر فى الوقت المناسب؛ فرأيتُ سيارة جو وهى تبتعد.

الفصل ٩٩

بدأ جرس هاتفى يدق قبل أن أعيد إسدال الستائر على الزجاج. كنت أعلم أن جو يتصل من سيارته ولم يكن لدى ما أقوله له.

أخذت حماماً طويلاً استغرق ما بين ١٥ و٢٠ دقيقة وبعد أن انتهيتُ من الاستحمام كان جرس الهاتف لا يزال يدق فتجاهلت هذه المكالمة أيضاً. كان ضوء آلة الرد على المكالمات الهاتفية يلتمع فى ضراوة، وفى نفس الوقت كان رنين هاتفى الخلوى يتعالى من جيب سُتْرَتي.

وضعتُ عشائى فى فرن المايكروويف وصببتُ لنفسى بعض العصير عندما بدأ الرنين يتصاعد مرة أخرى من هاتفى المحمول.

انتزعته من سُتْرتي وانتظرت سماع: "بوكسر" وقد استعددتُ لأقول: "جو، اتركنى الآن وحدي، حسناً؟". وشعرتُ بخيبة أمل لا يمكن تفسيرها عندما جاءنى صوت زميلى فى العمل.

قال ريتش: "كم يستغرق وقت ردك على الهاتف يا ليندس؟"، لقد كان غاضباً منى ولكننى لم أهتم.

قلتُ: "كنت آخذ حماماً. وعلى حد علمى فإن ذلك لا يزال مسموحاً به. ما الأمر؟".

قال: "اعتداء آخر فى بلاكلى آرمز".

عجزتُ عن التنفس للحظات قبل أن أسأل: "جريمة قتل؟".

قال: "سوف أخبرك عندما تأتين. أنا على بُعد شارعين من المكان".

قلتُ له: "أغلق المبنى، كل المخارج، لا أحد يغادر".

فأجابنى: "بدأت أتخذ إجراءاتى أيتها الرقيب".

هنا تذكرتُ الضحية الأخيرة. كيف نسيتُ أمره؟

قلتُ لريتش: "ريتش، لقد نسينا أن نسأل عن بين وايت".

لكنه قال: "لا، لم ننس".

فسألتُه: "هل اتصلت بالمستشفى؟".

فقال: "نعم".

فعدتُ أسأل: "وهل أفاق؟".

أجابنى ريتش: "لقد مات منذ ساعتين".

قلتُ لريتش إننى سوف أراه بعد قليل واتصلتُ بسيندى لكنها لم ترد. أغلقتُ هاتفى بحدة وصفعته على مائدة المطبخ وذلك بدلاً من إلقائه من النافذة. دق المايكروويف خمس مرات معلناً أن العَشاء أصبح جاهزًا.

صحتُ فى جهاز التوقيت: "سوف أفقد عقلي! بالفعل سوف أفقده!".

"سحقاً لكل شيء!"، تركت العصير دون أن أمسه والعَشاء فى المايكروويف وارتديتُ ثيابى على عجل. اتصلتُ بسيندى وردّتْ على فأخبرتُها بما جرى.

ثم توجهت إلى تاونسيند آند ثيرد.

فى الوقت الذى كنتُ أخطو فيه داخل ردهة بلاكلى آرمز، كنتُ أتخيل محادثتى القادمة مع سيندى. لن أسمح لها بأن تقول أى هراء.

سوف تأتى لتعيش معى حتى تجد مكاناً آمنًا.

الفصل ١٠١

كانت سيندى تنتظرنى عند مدخل بلاكلى آرمز وقد تناثر شعرها وتلطخت مساحيق التجميل التى وَضَعَتْها على شفتيها.

قالت: "يا إلهى. من جديد؟ هل هذا يحدث بالفعل ثانيةً؟".

قلتُ ونحن ندخل الردهة: "سيندى، ألم يتكلم أحد فى هذه البناية؟ ألم تشر الأصابع إلى شخص ما؟".

قالت: "الشيء الوحيد الذى سمعتُه هو صوت الناس وهم يتصايحون فى انفعال".

أخذنا المصعد معاً، ومرة أخرى وجدتُ نفسى أقف خارج شقة فى هذا المبنى الغريب الذى اكتظ برجال الشرطة.

هز كونكلين رأسه محيياً سيندى ثم قدمنى إلى آيدن بلوشتاين. كان فتى أبيض طويلاً فى حدود الثانية والعشرين من العمر يرتدى سروالاً من الجينز الأسود القاتم وقميصاً من نوع "ميست" وسترة جلدية سوداء بينما كان شعره المتموج قصيراً من الخلف، وقد تهدل من الأمام على عينين مذعورتين بنيتين.

قال كونكلين: "سيد بلوشتاين هو الضحية".

سمعتُ سيندى تقول: "سيندى توماس. من الـ (كرونيكل). هل يمكنك أن تتهجى لى اسمك؟".

زفرتُ فى ارتياح. كان الفتى على قيد الحياة ولم يمسه سوء إلا أنه كان بن الواضح أنه فى حالة من الذعر أفْقَدَتْهُ نصف عقله.

سألتُ بلوشتاين: "هل يمكنك أن تقول لى ماذا حدث؟".

قال: "على اللعنة إن كنتُ أعرف! ذهبتُ إلى موعد مع صديقة قديمة فى حوالى الخامسة حيث تناولنا الطعام وعندما عدتُ إلى المنزل وَجَدْتُه وقد تحول إلى سلة نفايات".

فتح كونكلين الباب الأمامى لمنزل بلوشتاين ودخلتُ إلى الشقة تتبعنى سيندى.

قلتُ لها: "ابقى بالقرب...".

قاطعتنى تكمل العبارة: "ولا تلمسى شيئاً".

بدت الشقة مثل محل لبيع الإليكترونيات سحقه خرتيت. استطعتُ أن أحصى جهاز حاسب آلى وثلاث شاشات وستريو وشاشة تليفزيون بلازما ٤٢ بوصة تحولت إلى خردة. لم يتعرض للسرقة ولكن للتدمير! كما تحطم المكتب أيضاً من ضمن ما وقع من خسائر.

قال بلوشتاين: "لقد استغرق منى الأمر سنوات حتى استطعتُ تجميع كل ذلك معاً بالصورة التى أرضى عنها".

سَأَلَتْه سيندى: "ما هو عملك؟".

قال: "أصمم مواقع الإنترنت والألعاب. هذه الأجهزة كلفتنى حوالى خمس وعشرين ألف دولار".

قلتُ له: "سيد بلوشتاين، عندما غادرتَ المنزل هل تركتَ الباب مفتوحاً؟".

أجاب نافياً: "أنا لا أترك الباب مفتوحاً إطلاقاً".

قال ريتش: "لقد ترك سيد بلوشتاين الموسيقى دائرة عندما

غادر الشقة". قالها في لهجة تقرير حقائق دون أن ينظر إلىَ.

سألتُه: "هل اشتكى أحد من صوت الموسيقى؟".

فرد بسؤال: "اليوم؟".

قلت: "عموماً".

قال بلوشتاين: "تلقيتُ اتصالات هاتفية بذيئة من شخص ما".

سألته: "ومن هو؟".

فقال: "هل تعنين، هل قال لى اسمه؟ لم يقل حتى مرحباً. كان يقول (إذا لم تغلق هذا الهراء سأقتلك). كان هذا فى المرة الأولى، والآن منذ أسبوعين ونحن نتلقى تلك الإساءات وطوال الوقت يصبون اللعنات علىَّ وعلى أطفالى".

سألته: "هل لديك أطفال؟"، ألقيتُ السؤال وأنا عاجزة عن تخيل ذلك.

أجابنى بلوشتاين: "لا، لكنه كان يلعن أطفالى الذين يمكن أن أنجبهم في المستقبل".

عدتُ أسأله: "ماذا فعلتَ إذن؟".

قال بلوشتاين: "أنا؟ إننى أعرف كلمات بذيئة لم يسمعها هذا الشخص من قبل. المهم إذن، هو أننى سوف أتعرف على صوت هذا الرجل إذا كنتُ قد سمعتُه من قبل. إن أذناى بحالة جيدة بضمان الليودز فى لندن، لكننى لا أعرفه بينما أعرف كل سكان البناية" وقال وهو يشير إلى سيندى: "فى الدور الثالث، أليس كذلك؟".

سألتُه: "هل تعنى أنه لم يشتك أحد من صوت الموسيقى فى البناية؟".

أجاب قائلاً: "لا، لأننى أولاً، أعمل خلال النهار. ثانياً، مسموح لنا بعزف الموسيقى حتى الحادية عشرة مساء. ثالثاً، أنا لا أشغل الموسيقى بصوت عال".

أخرجتُ هاتفى المحمول واتصلت بمعمل الجريمة وطلبتُ مشرف الوردية الليلية وأخبرتُه أننا نحتاج إليه.

قال ريتش لبلوشتاين: "هل هناك من يمكنك أن تبيتَ عنده الليلة؟".

قال بلوشتاين: "ربما".

فقال ريتش: "حسناً، لا يمكنك البقاء هنا. سيتم اعتبار شقتك مسرحاً للجريمة لفترة من الوقت".

نظر بلوشتاين إلى الدمار الذى عم شقته وقد عم الأسى ملامحه، ثم قال: "لن أمضى الليلة هنا حتى لو دفعتم لى مالاً".

الفصل ١٠١

أخذت أنا وسيندى وريتش فى تجميع النقاط ونحن فى المصعد فى طريقنا إلى ردهة البناية.

كان ريتش يقول: "الكلب، البيانو، الطاحونة...".

أضافت سيندى: "وشقة مصمم المواقع".

قلتُ أنا: "فى كل الأحوال نفس السبب. إنها الضوضاء".

وافقنى ريتش قائلاً: "نعم. بغض النظر عن هوية هذا المجنون فإن الضوضاء تجعله يميل قليلاً إلى العنف".

قلتُ لريتش: "عذراً يا ريتش إن كنتُ قد تكلمتُ معك بحدة فلقد مررتُ بيوم سيئ".

قال ريتش: "انسى الأمر يا ليندس. بمجرد أن ننهى هذه القضية سوف نشعر بأننا فى حال أفضل".

انفتحت أبواب المصعد فخرجنا إلى ردهة البناية مرة أخرى إلا أن المكان كان مكتظاً بحوالى مائتين من السكان المذعورين الذين لم يكونوا يفعلون شيئًا إلا التجمع.

أخرجت سيندى دفتراً وأسرعت إلى رئيس اتحاد السكان بينما استخدم كونكلين جسده ليخترق الصفوف وكنتُ أتبعه حتى وصلنا إلى مكتب الاستقبال.

صاح أحدهم": "هدوء!"، وعندما ساد الصمت قلت: "أنا الرقيب بوكسر. لستُ فى حاجة إلى أن أقول لكم إن هناك سلسلة من الحوادث المزعجة قد وقعت فى هذه البناية...".

انتظرت حتى توقفت الانتقادات الموجهة للشرطة بأنها لا تؤدى عملها، وبعد ذلك واصلتُ كلامي قائلةً: "إننا سوف نعيد استجواب الكل ولن يتم السماح لأحد بالخروج حتى ننتهى من عملنا".

رفع رجل رمادى الشعر فى أواخر الستينات يده وقَدَّمَ نفسه على أنه أندى ديربريدج، وقال: "أيتها الرقيب، ربما كان لدى بعض المعلومات المفيدة. لقد رأيتُ شخصاً فى غرفة الغسيل بعد ظهيرة هذا اليوم وهو رجل لم أره من قبل على الإطلاق. كان لديه ما يبدو أنه علامة عضة كلب على ساعده".

سألته: "هل يمكنك أن تصف لنا هذا الرجل؟"؛ حيث شعرت مرة أخرى بتوتر فى أمعائى، ولكنه كان توترًا من النوع الإيجابى.

قال ديربريدج: "طوله يتراوح ما بين ٥ و٦ أقدام وهو مفتول العضلات وله شعر بني يزحف عليه الصلع، فى الثلاثينات من العمر كما أعتقد. لقد تَفَحَّصْتُ من حولى الآن ولكننى لا أراه هنا".

قلت له: "شكراً سيد ديربريدج. هل يمكن لأى شخص هنا أن يحدد لنا اسمًا ينطبق عليه هذا الوصف؟".

اخترقت امرأة صغيرة الحجم ذات ضفائر بلون الكراميل صفوف المحتشدين حتى وصلت إلىّ.

كانت عيناها كبيرتين، وفي وجهها شحوب غير طبيعى، وكان هناك شيء يخيفها للغاية.

قالت لى فى صوت مرتجف: "أنا بورشا فوكس. أيتها الرقيب، هل يمكنني أن أتكلم معك على انفراد؟".

الفصل ١٠٢

خرجتُ من البناية مع بورشا فوكس.

قالت لى: "أعتقد أنني أعرف ذلك الرجل الذى كان يشير إليه سيد ديربريدج. إنه يبدو مثل الشاب الذى يعيش في شقتى فى فترة النهار".

سَألْتُها: "شريك لك فى السكن؟".

أجابتنى وهى تتلفت حولها قائلة: "ليس بصورة رسمية. إنه يؤجر حجرة الطعام؛ فأنا أعمل خلال النهار وهو يعمل خلال الليل. نحن مثل السفن التى تعبر بالتتابع، هل تفهمين ذلك؟".

عدتُ أسألها: "هذه شقتك وهذا الشخص مستأجر من الباطن. هل هذا ما تريدين قوله؟".

هزت رأسها موافقة.

فسألتها من جديد: "ما اسمه؟".

قالت بورشا : "جارى تينينج. هذا هو الاسم الذى يطبعه على شيكاته".

قلتُ لها : "وأين سيد تينينج الآن؟".

قالت : "فى عمله مع شركة مقاولات".

سألتُها : "هل يعمل فى شركة مقاولات ليلاً؟ هل لديك رقم هاتف خلوى يخصه؟".

قالت بورشا : "لا ، لقد اعتدتُ أن أراه يومياً لحوالى عام فى مقهى ستاربكس عبر الشارع. كنا أحيانًا نتبادل التحيات ونقرأ الصحف معاً. بدا لطيفاً وعندما سألنى عما إذا كنتُ أعرف مكاناً للسكن بإيجار رخيص... حسناً، كنتُ أحتاج إلى المال".

لقد تَرَكتْ هذه الطفلة أحد الغرباء يدخل شقتها. أردتُ أن أُعَنِّفَهَا، أردتُ أن أشكوها لوالدتها إلا أننى بدلاً من ذلك سألتُها : "متى تتوقعين عودة سيد تينينج إلى المنزل؟".

أجابتنى : "فى حوالى الثامنة والنصف صباحاً. كما قلتُ لك، أنا أغادر المنزل لعملى فى الوقت الذى يعود هو فيه، والآن بعدما اشتريت آلة صنع القهوة فى البيت فلم أعد أذهب إلى ستاربكس".

قلتُ لها : "سوف يتطلب منا الأمر تفتيش شقتك".

فقالت وهى تخرج مفتاح الشقة من حقيبة يد وتعطيه لى : "بدون شك، أريدكم بالفعل أن تفعلوا ذلك. يا إلهى! ماذا سيكون الأمر إذا كنتُ أتقاسم السكن مع قاتل؟".

الفصل ١٠٣

قالت سيندى بينما كنا ندخل شقة بورشا فوكس : "مثل شقتى". كان الباب الرئيسى ينفتح على غرفة معيشة كبيرة تواجه الشارع... كانت غرفة واسعة تغزوها أشعة الشمس مفروشة وفق ذوق فتاة عصرية عملية.

وبجوار غرفة المعيشة كان هناك مطبخ مثل مطابخ السُّفُن، ولكن بينما كانت غرفة نوم سيندى مفتوحة، فقد أغلقت آنسة فوكس غرفة النوم فى شقتها ووضعت حوائطَ بلاستيكية حيث كان يوجد بجوارها ممر خاو.

أخبرتنى آنسة فوكس : "إنه يعيش هنا".

سألتها : "هل توجد نوافذ فى غرفته؟".

قالت : "لا ، وقد أحب هو ذلك ، وكان هذا الأمر عاملاً مساعداً فى إتمام الاتفاق".

كان من السيئ أن تم إغلاق غرفة النوم حيث كنا نحتاج فى حالة الرغبة فى تفتيشها إما إلى إذن من سيد تينينج أو إلى

تصريح بالتفتيش؛ فعلى الرغم من أن تينينج ليس مدرجاً فى عقد إيجار فوكس إلا أنه يدفع لها إيجاراً، وهذا ما يعطيه سنداً قانونياً.

وضعتُ يدى على أكرة باب غرفة تينينج على أمل أن تفتح معى إلا أنه لم تحدث أية مفاجآت... فقد كان الباب مغلقاً.

سألتُ آنسة فوكس: "هل لديك صديقة يمكنك أن تبيتى لديها الليلة؟".

وضعتُ فرد حراسة على الشقة بينما أخذت آنسة فوكس تجمع بعض الأشياء منها.

أعطيتُ سيندى مفتاح شقتى وطلبتُ منها انتظارى هناك، لكنها لم تبد حتى أى اعتراض.

بعد ذلك أمضيت أنا وريتش ساعتين أخريين نستوجب المستأجرين فى بلاكلى آرمز، ثم عدنا إلى المقر فى حوالى العاشرة ليلاً.

كانت غرفة الفرقة سيئة فى النهار إلا أنه فى الليل يكون الوضع أسوأ؛ فقد كانت الإضاءة العلوية تعطى ضوءًا أبيض مُميتًا بينما كان المكان يمتلئ برائحة الطعام الذى يتم إلقاؤه طيلة اليوم فى سلال المهملات.

ألقيت كوباً من القهوة الباردة فى سلة المهملات وعدتُ إلى حاسبى الآلى، فيما أخذ ريتش يتابع إحدى الشكاوى. بدأت فى طلب خدمة قاعدة البيانات وعلى الرغم من أننى أعددتُ نفسى لبحث طويل عن قصة حياة تينينج، فإن كل ما نحتاج إليه قد تدفق على شاشة الحاسب فى دقائق.

كان هناك أمر اعتقال بارز بحق تينينج. لكنه كان أمراً تافهاً يتعلق بعدم المثول أمام القضاء فى قضية مخالفة للقواعد المرورية، إلا أن أى أمر اعتقال كان كافياً لإحضاره هنا.

وكان هناك شىء آخر.

قال ريتش: "تينينج يعمل فى شركة مقاولات كونكو. ويمكن له أن يتجول بين مئات من مواقع البناء، وبالتالى لا يمكننا أن نحدد موقعه إلا بعد أن يفتح مكتب الشركة فى الصباح".

سَألْتُه: "هل لديه رخصة حمل سلاح؟".

ضربت أصابع ريتش على لوحة المفاتيح قبل أن يقول: "نعم. حديثة وسارية المفعول".

جارى تينينج لديه مسدس!

الفصل ١٠٤

فى الصباح التالى تعرضت سان فرانسيسكو لسيول من الأمطار تشبه الفيضان.

أوقف كونكلين سيارة الفرقة فى موقع بناء خال فى تاونسيند أمام برج بيكون الثانى، وهو مجمع سكنى تشغل طابقه الأرضى بعض محلات من بينها مقهى ستاربكس؛ حيث كان تينينج وفوكس يلتقيان.

فى أى يوم صحو، كنا سوف نلقى نظرة جيدة على كل من الأبواب الأمامية لمبنى بلاكلى آرمز ذى الطوابق الستة والمَمْشَى الضيق الذى يجرى من تاونسيند عبر الجانب الشرقى للمبنى ويقود إلى الفناء والمدخل الخلفي.

إلا أن أمطار اليوم طمست الرؤية.

كان المفتشان تشي وماكنيل فى السيارة خلفنا يحدقان فى المطر المنهمر. كنا نمسح المكان بحثاً عن رجل أبيض يتراوح طوله

بين ٥ و٦ أقدام له شعر بنى خفيف ربما يرتدى زياً خاصاً بإحدى المؤسسات، وربما يحمل مسدساً من طراز "كولت".

ما لم يغير تينينج من عاداته؛ فإنه من المفترض أن يتوقف فى مقهى ستاربكس قبل أن يعبر تاونسيند حيث يصل إلى "المنزل" ما بين الثامنة والنصف والتاسعة.

كنا نخمن أن تينينج سيأخذ المَمْشَى إلى المدخل الخلفى للمبنى قبل أن يستخدم مفتاح الباب الخلفى ويستخدم سُلَّم الحريق تجنبًا للسكان.

أخذتُ أنظر من النافذة المبتلة بالماء بينما أخذ المارة — الذين ارتدوا المعاطف واختفت وجوههم أسفل المظلات السوداء — يتوقفون فى وولجرين، أو داخل مغسلة فانتا دراى، أو يعدون إلى كولترين.

كنت أنا وريتش مَحْرُومَيْن من النوم إلى درجة خطيرة لذلك فعندما عبر شخص تنطبق عليه مواصفات تينينج تاونسيند لم أكن أستطيع التأكد ما إذا كان هو هدفنا أم أننى فقط أريد أن يكون هو هدفنا. لقد كان الأمر فى منتهى السوء فى الواقع.

تغير ضوء إشارة المرور إلى الأخضر وحجب عنا سيل السيارات الرؤية لفترة كانت كافية ليختفى المشتبه به وسط زحام المارة على الجانب الآخر من الشارع. فكرتُ فى أنه ربما يكون قد انسل داخل الزقاق الضيق الخلفى لبناية بلاكلى آرمز.

قال كونكلين: "نعم، نعم، أعتقد ذلك".

ناديتُ تشي وقلتُ له إننا سوف نتحرك. تركنا دقيقتين تمران قبل أن أرفع أنا وكونكلين ياقتى ثيابنا ونتجه إلى المدخل الأمامي لبلاكلى آرمز.

أخذنا المصعد إلى الطابق الخامس، ثم استخدمتُ مفتاح بورشا فوكس لأفتح قفل باب الشقة دون أن أفتح الباب نفسه.

وعندما وصل كل من تشي وماكنيل أشار كونكلين إلى باب شقة فوكس فدخلنا نحن الأربعة وأخذنا نفتش في الغرف الخارجية قبل أن نقترب من غرفة تينينج.

وضعتُ أذني على الباب فسمعتُ صوت دولاب ثياب ينغلق وصوت فردتي حذاء تسقطان الواحدة تلو الأخرى على أرضية غير مفروشة.

هززت رأسي لكونكلين فطرق على باب تينينج قائلاً: "شرطة سان فرانسيسكو يا سيد تينينج. لدينا أمر اعتقال لك".

جاء صوت غاضب من الداخل: "اذهب إلى الجحيم. ليس لديك أمر اعتقال لي. أنا أعرف حقوقي".

فعاد كونكلين يقول: "سيد تينينج، لقد أوقفتَ سيارتك في منطقة حريق في الخامس عشر من أغسطس من العام الماضي، ولم تمثل أمام المحكمة".

فعاد الصوت يتساءل: "وهل تريد اعتقالي من أجل ذلك؟".

فقال كونكلين: "افتح يا سيد تينينج".

دار مقبض الباب وانفتح الباب وتحول ضيق تينينج إلى غضب عندما رأى مسدساتنا مصوبة إلى صدره.

صفع الباب مغلقاً إياه في وجوهنا.

فقلت: "اكسر الباب".

ركل كونكلين الباب عند موقع المقبض فانهار الباب وانفتح متأرجحاً.

اتخذ كل منا ساتراً عند طرفي الباب، وهنا رأيت تينينج يقف على بعد ١٠ أقدام، وقد ألصق ظهره بالحائط.

كان يمسك بمسدس من طراز "كولت ٣٨" بكلتا يديه وقد صوبه إلينا، وقال:

"لن تأخذوني. أنا في غاية التعب؛ ولستُ مستعداً لذلك".

الفصل ١٠٥

تصاعدت نبضات قلبي وتصبب العرق داخل قميصي بينما كنت أقف مرتكزة على قدمي اليمنى أمام مدخل الغرفة.

شددتُ قامتي وباعدتُ بين قدمي وأنا أصوب مسدسي طراز "جلوك" إلى تينينج. وعلى الرغم من أنني كنتُ أرتدي زياً واقياً من الرصاص إلا أنه كان يستطيع أن يصيبني بطلقة في الرأس كما أن الحوائط البلاستيكية لن تحمي رفاقي.

صحتُ فيه: "اخفض مسدسك أيها الأحمق! أنا على بُعد ثانية واحدة من صنع ثقب في قلبك".

فقال: "أربعة أفراد شرطة مسلحون من أجل أمر اعتقال مروري؟ هذا مضحك! هل تعتقدون أنني أحمق؟".

قلتُ له: "أنت أحمق يا تينينج إذا كنتَ تريد أن تموت بسبب غرامة قدرها ٥٠ دولارًا".

انتقلت عينا تينينج من المسدس الذى أحمله إلى الأسلحة الثلاثة الأخرى التى كانت مصوبة نحوه قبل أن يقول: "يا له من أمر غبى!".

ثم سقط المسدس إلى الأرض.

وفى لحظتها اندفعنا داخل الحجرة الصغيرة فسقط أحد المقاعد وتحطم مكتب بالسقوط على الأرض.

ركلتُ مسدس تينينج نحو الحائط، بينما أداره كونكلين حول نفسه ووضع وجهه فى الحائط وقيده.

قال كونكلين له: "أنت قيد الاعتقال بسبب عدم المثول أمام المحكمة"، ثم أضاف وهو يلهث: "ولمقاومة رجال الشرطة".

قرأتُ على تينينج حقوقه. كان صوتى مخنوقاً بسبب التوتر وما قمتُ بفعله منذ قليل.

قلتُ وأنا على وشك أن أفقد وعيى: "عمل رائع من الجميع".

قال ماكنيل وهو يضع يده المكتظة على كتفي: "هل أنت بخير يا ليندس؟".

قلتُ: "شكراً لك". قلتُها وأنا أفكر فى أن عملية الاعتقال هذه كانت ستتحول إلى حمام دماء رغم أن كل ما نملك للآن ضد تينينج هو مخالفة كسر قواعد المرور.

تجولتُ بنظرى فى الحجرة التى استأجرها. كانت مساحتها ١٠ أقدام فى ١٢ قدما بسرير واحد ودولاب ثياب صغير من خشب الصنوبر. بالإضافة إلى درجين لحفظ الملفات كانا يشكلان قاعدة مكتبه، بينما كان سطح المكتب عبارة عن لوح خشبى سقط الآن أرضاً إلى جانب حاسب آلى وحزمة من الورق المبعثر.

كان هناك شيء آخر قد تحرك من مكانه خلال المشاجرة. ماسورة تدحرجت من أسفل الفراش.

كان قطرها حوالى بوصة ونصف بينما يبلغ طولها ١٨ بوصة، وكان هناك كرة تم تثبيتها فى إحدى نهايتيها.

كان شيئاً يشبه الهراوة.

انحنيت لأسفل كى أفحصه عن قرب.

كانت هناك بقع بنية تلطخ الخيوط التى كانت تربط الكرة بالعصا نفسها. لفتُ انتباه كونكلين فانحنى بجوارى والتقت عيوننا لثانية.

قال كونكلين: "تبدو وكأنها قد تم استخدامها فى الضرب!".

الفصل ١٠٦

كنا في حجرة الاستجواب رقم ٢ وهي أصغر حجرات الاستجواب التابعة للفرقة. جلس تينينج إلى الطاولة في مواجهة النافذة ذات المرايا المزدوجة بينما كنتُ أجلس في مواجهته.

كان يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً من الجينز فيما استند بمرفقيه على الطاولة. كان وجهه إلى أسفل فالتمع الضوء الساقط من أعلى بشدة على صلعته.

لم يكن يتكلم لأنه طلب محامياً.

استغرق خمس عشرة دقيقة حتى يتم عرض طلبه على مكتب المحامي العام، ثم خمس عشرة دقيقة أخرى قبل أن يحضر المحامي ويجد موكله في حجرة الاستجواب.

في هذه الأثناء لم يقل تينينج أي شيء يمكن أن يُستَخدَم ضده.

قلتُ له: "لقد استغللنا أمر الاعتقال للحصول على أدلة ضدك؛ العصا غريبة الشكل التي استخدمتها لقتل إيرين

وولكوسكي وبين وايت؟ إنها في المعمل الآن. سوف نحصل على النتائج قبل أن يحضر محاميك".

ابتسم في سماجة: "لذلك دعيني وشأني حتى يأتي. حسناً؟ اتركيني وحيداً مع أفكاري".

قلتُ له: "ولكنني مهتمة بأفكارك. كل تلك الإحصاءات التي وجدناها على الورق الذي في حجرتك. ماذا تعني؟".

قال: "أنا أكتب كتاباً وفي الواقع أحتاج إلى العودة إليها".

جاء كونكلين إلى الحجرة ومعه مذياع يعمل بالبطاريات الجافة. صفع ريتش الباب خلفه بشدة ثم استدار إلى المذياع الذي كانت تنبعث منه شوشرة استاتيكية عالية فأخذ يضبط المؤشر قبل أن يرفع الصوت.

قال ريتش لتينينج: "على الرغم من أننا هنا إلا أنني أريد أن أعرف متى سوف يتوقف المطر".

رأيت ملامح الإنذار بالخطر تغزو وجه تينينج عندما تحولت الشوشرة الاستاتيكية إلى صراخ كهربائي. كان يراقب إصبع كونكلين وهو يضبط المؤشر فيما أخذ العرق يتصبب منه.

وفي النهاية قال تينينج: "مهلاً. ألا يمكنك أن تغلق ذلك الشيء؟".

قال كونكلين: "دقيقة. دقيقة" ثم أخذ يضبط صوت المذياع قبل أن يضعه على الطاولة ويقول لتينينج: "هل يمكنني أن أشرب بعض القهوة يا تينينج؟ إننا لسنا في ستاربكس ولكن يمكنك الحصول على أي نوع من المنبهات التي تريدها".

قال له تينينج وهو يحدق في المذياع وعيناه تدوران في انزعاج: "لا يمكنك أن تستجوبني في غياب المحامي. يمكنك أن تضعني فقط في زنزانة احتجاز".

قال كونكلين: "نحن لا نستجوبك يا رجل"، ثم أخذ مقعداً معدنياً ووضعه على الأرض بقوة بجوار تينينج وجلس عليه متابعاً: "نحن نريد أن نساعدك. إنه أمر طيب"، ثم قال مباشرة

فى أذن تينينج: "إلا أنك تُضَيِّعُ على نفسك فرصة الاعتراف وعقد اتفاق، ونحن لا يصنع معنا هذا الأمر فارقاً. أليس كذلك أيتها الرقيب؟".

قلتُ بصوت أعلى من صوت الشوشرة الاستاتيكية: "جيد". ثم عبثتُ بالمؤشر حتى وصلت إلى المحطة ٨٠ والتى تذيع موسيقى الـ (هيفى ميتال) ورفعت من مستوى الصوت حتى إن الصوت هز الطاولة تقريباً.

قلتُ فى صوت يعلو فوق صوت الموسيقى: "سوف ننبش قبر الكلب الذى قَتَلْتَهُ يا تينينج. سوف نطابق أسنانه مع تلك الجروح التى فى ساعدك. كما سنطابق الحمض النووى للدماء التى على هراوتك بالحمض النووى لضحاياك".

وأردفت: "وسوف أجلس أنا والمفتش كونكلين فى المقاعد الأمامية لمحاكمتك ونراك وأنت تتلقى حكمًا بالسجن عشرين عاماً أو ما شابه ذلك ما لم تجعلنى أطلب لك عقوبة الإعدام".

ثم نظرت إلى ساعتى وقلتُ: "أمامك ١٠ دقائق لتقرر".

كانت فرقة تسمى جروس ريسايبتس قد بدأت تعزف مقطوعة موسيقية قوية بعنوان "برين باستر" فتحول جسد تينينج إلى كرة ووضع ذراعيه حول أذنيه وصاح:

"توقفوا، توقفوا، الغوا استدعاء المحامي. سوف أخبركم بكل شيء، فقط أرجوكم. أغلقوا ذلك الشيء".

الفصل ١٠٧

كانت السماء لا تزال تمطر عندما توقفت بسيارتى خلف سيارة كلير.

عبرتُ الشارع وسط السيول المنهمرة لمسافة خمسين ياردة حتى وصلتُ إلى الباب الأمامى لمحل سوزى ففتحتُه ليصلنى صوت الطبول ورائحة الدجاج المطبوخ.

علقتُ معطفى على مشجب خلف الباب ورأيت سوزى تسلى زبائنها بينما تعالى صوت الموسيقى.

قالت لى: "ليندس، اخلعى حذاءك المبتل. يمكنك أن تفعلى ذلك".

ضحكتُ: "لا فائدة يا سوز. لا تنسى، لقد رأيتُ ذلك من قبل". ذهبت إلى حجرة فى آخر المنزل وعدلت من ثيابى وسلمت على لورين.

لوحت لى يوكى من المائدة الخلفية، ثم نظرت سيندى إلىّ وابْتَسَمَتْ بينما انسللتُ وجلستُ بجوار أفضل صديقاتي كلير. لقد مضى وقت طويل قبل أن نلتقى معاً. منذ وقت طويل جدًا.

وعندما جاء الشراب قامت سيندى بتحيتى لنجاحى فى إلقاء القبض على تينينج.

ضحكتُ من تلك التحية قائلةً: "لقد كان لدى دافع قوى فى ذلك، وهو أننى لم أكن أريد من يشاركنى فى السكن، بينما كنتِ سوف تأتين لتعيشى معى إذا لم نكن قد ألقينا القبض على ذلك الوغد". لم تكن كل من يوكى وكلير تعلمان التفاصيل لذلك قمت بإخبارهما بها قائلةً:

"كان (يكتب) كتاباً بعنوان (الحساب). وكان عنوانه الفرعى (خلاصة إحصائية وافية للقرن العشرين)".

سألتنى يوكى: "هيا. هل كان يكتب عما حدث خلال المائة عام الأخيرة؟".

قلتُ: "نعم، إذا كنتِ تسمين وضع الإحصاءات فى صفحة وراء الأخرى (كتابة)! مثل كمية إنتاج اللبن والحبوب فى كل ولاية كل عام، كم طالبًا تخرج فى السنة النهائية؟ عدد الحوادث المرتبطة بأجهزة المطبخ المنزلية...".

قاطعتنى يوكى قائلة: "أوه! يمكنك البحث فى الإنترنت عن هذه المعلومات".

فقلتُ: "إلا أن تينينج كان يعتقد أن كتاب (الحساب) هو دعوته"، وتابعت بينما كانت لورين قد جاءت بالشراب وقوائم الطعام: "كان يكسب قوته من العمل كحارس ليلى فى مواقع البناء وهى الوظيفة التى أعطته الوقت لكى يفكر فى أمور عظيمة كما قال لنا".

سألتنى كلير: "كيف سمع كل أولئك الناس وأصواتهم من حجرته الصغيرة المغلقة؟".

قالت سيندي: "الصوت ينتقل عبر المواسير والفتحات، ويأتى من أماكن غريبة؛ فأنا يمكننى أن أسمع الناس يتكلمون من فتحات التهوية فى حمام منزلى. من هم؟ أين يعيشون؟ لا أعلم".

قالت كلير: "إننى أتساءل عما إذا كان يعانى من مشكلة حدة سمع؟".

قلتُ لها: "ما هذا؟".

قالت كلير: "يحدث هذا عندما يعانى مركز عملية السمع فى المخ من مشكلة فى تلقى الأصوات المرتفعة" ثم أشارت إلى الجلبة الصادرة من الحجرة الخلفية وصوت آلة غسيل الأطباق الصادر من المطبخ وتابعت قائلةً: "الأصوات التى يمكن أن يسمعها الآخرون بصعوبة تكون غير محتملة بالنسبة لذلك الشخص الذى يعانى من حدة السمع".

سألتها: "وما هى التأثيرات؟".

قالت كلير: "هذا المرض يجعل المرء يعانى من العزلة وهو ما يظهر بعد ذلك على شكل انفجار فى الغضب أو أمراض اجتماعية. حسناً، لقد استطعتِ إلقاء القبض على تينينج".

قالت سيندي: "إنه شبح بلاكلى آرمز. فقط قولوا لي، ألا توجد فرصة يمكنه من خلالها الإفلات من العقوبة؟".

قلتُ: "لا، لقد اعترف. ولدينا سلاح الجريمة. إنه متورط ولقد انتهى الأمر".

قالت يوكى بينما أحضرت لورين العشاء: "إذا كان بالفعل يعانى من اضطراب حدة السمع فإنه سيفقد عقله فى السجن بلا شك".

قالت سيندى وهى تشير لأذنيها: "اسمعن، اسمعن".

انغمسنا فى الحديث وأخذنا نتبادل الحكايات والمخاوف وقالت لنا كلير إن عبء العمل تضاعف عليها و"سوف نودع دكتور جي الليلة حيث حصل على وظيفة لم يستطع رفضها. إنها فى مكان ما فى أوهايو".

قالت يوكى وهى تضحك: "أشعر أننى منقسمة إلى جزأين. أحياناً أشعر أن فريد سوف يقنع القاضى بأنه مريض نفسياً وفق الشروط القانونية، وفى الصباح التالى أستيقظ وأنا متأكدة تمامًا من أننى سوف أسحق ميكى شيرمان".

دخلنا فى مسابقة لاختيار اسم طفل كلير الذى لم يأت بعد. صاحت سيندى: "مارجريتا، إذا كان المولود فتاة"، ونالت الجائزة بعشاء مجانى فى المرة القادمة.

مر الوقت بسرعة حيث سرعان ما تلاشى العشاء، ودارت القهوة وشبع القادمون لتناول العشاء، وتراصوا فى الممر استعداداً للرحيل.

تركنا الحساب على المائدة وكانت لدينا الجرأة لنندفع واحدة تلو الأخرى أسفل المطر، وكنتُ آخر من غادر المكان.

توجهت بالسيارة نحو بوتريرو هيل وقد امتصنى صوت حفيف أوراق الشجر والأضواء المنعكسة من السيارة، بينما اكتشفتُ أن فراغ الصمت بعد اليوم الصاخب ورفقة الصديقات قد أحبطني.

لن أجد جو جالسًا على السلالم الأمامية لمنزلى عند عودتى.

ولا تزال مارثا فى إجازة.

دوى صوت الرعد بينما كنتُ أرتقى درجات السلم متجهة إلى شقتى. كانت لا تزال تمطر عندما دخلتُ إلى الفراش وحيدة.

الفصل ١٠٨

جلست أنا وريتش على مكتبينا ننتظر قدوم مارى جوردان. جاءت متأخرة عشر دقائق وقد بدت مرتبكة ومشوشة.

دعوتُ مديرة مكتب تسجيل ويستوود لكى تجلس معنا فى الزنزانة الخالية من النوافذ والتى نسميها حجرة الطعام. جذب لها ريتش مقعدًا بينما أعددتُ لها قهوة ثقيلة بمكعبى سكر، وهى الطريقة التى تناولتها بها أمامنا عندما رأيناها لآخر مرة.

قالت مارى وهى تضم ذراعيها إلى صدرها: "إننى أدعو الله من أجل ماديسون. أشعر أننى فعلتُ ما يريد منى الله أن أفعل". كانت هناك بقع داكنة أسفل عينيها.

أثارت كلماتها تيارًا من الخوف فى أمعائى فقلتُ لها: "ماذا فعلتِ يا مارى؟".

قالت مارى: "عندما غادر سيد رينفريو هذا الصباح، فتحتُ درج مكتبه ثانية وبحثتُ بعمق أكثر".

ورفعت حقيبة يد تشبه مظهر الحقيبة الجلدية إلى المنضدة، وأخرجت دفترًا لونه رمادى مائل للأزرق مبطنًا بالقطن ويشبه دفاتر المحاسبين، وكان مكتوبًا عليه: "مكتب تسجيل كوينزبرى".

قالت مارى وهى تشير إلى الحروف والأرقام المكتوبة بخط أسود منمق: "هذا خط سيد رينفريو. إنه سجل أعمال آل رينفريو فى مونتريال قبل عامين".

فتحت الدفتر حيث كانت هناك ورقة مقواة على شكل مثلث موضوعة بين صفحتين فأخذتها جوردان وأرتها لنا.

كانت عبارة عن صورة فوتوغرافية لصبى أشقر الشعر فى الرابعة من العمر له عينان مذهلتان لونهما أخضر تشوبه الزرقة.

سألتُ جوردان: "أستأذنك دقائق قليلة؟".

فهزت رأسها موافقة.

كنتُ قد استقللت المصعد مع كاثى فالوى مساعدة المدعى العام صباح اليوم؛ لذا كنتُ أعرف أنها فى مكتبها. فاتصلتُ بها وشرحتُ لها أمر مكتب تسجيل كوينزبرى وصورة الولد.

قلتُ لها: "الزوجان رينفريو يجوبان أوربا ويفتحان ويغلقان مكاتب تسجيل. أعتقد أننا أمام صورة لضحية أخرى".

لابد أن كاثى كانت ترتقى السلم كل درجتين معًا لأنها كانت فى قاعة الطعام تقريبًا قبل أن أضع سماعة الهاتف.

سَأَلَتْ مارى جوردان من جديد عما إذا كانت قد حصلت على تلك المعلومات على مسئوليتها الخاصة، ومن جديد أقسمت جوردان بأنها لا تعمل كعميلة لنا.

قالت فالوى وهى تحدق فى الصورة وتمرر يدها على شعرها الأسود القصير: "سوف أتصل بالقاضى ميرفي. سوف أرى ما يمكنني عمله".

وبعد دقائق من مرافقتنا جوردان إلى المصعد، قالت كاثى فالوى عبر الهاتف: "سوف أرسل لكِ أمر التفتيش بالفاكس الآن".

الفصل ١٠٩

استجاب بول رينفريو لطرقاتنا وفتح لنا باب مكتب تسجيل ويستوود. كان يبدو أنيقًا في حلته المخططة وقميصه المموج ورابطة عنقه المقوسة وشعره القمحي المقصوص بعناية. ارتفع حاجباه فوق العدستين الطبيتين الخاليتين من الإطار فيما اتسعت ابتسامته.

بدا مسرورًا تمامًا لرؤيتنا.

سألنا: "أنباء طيبة؟ هل وجدتم ماديسون؟".

ثم ما لبث أن جذب انتباهه أفراد الشرطة الأربعة الذين نزلوا من الشاحنة.

قلتُ له: "لدينا أمر تفتيش يا سيد رينفريو".

أشار كونكلين إلى رجال الشرطة فصعدوا السلالم وفي أيديهم صناديق كارتونية فارغة. تبعونا إلى الردهة الواسعة لمكتب رينفريو.

كان مكان العمل مرتبًا... كان هناك كوب من الشاي على المكتب، وطبق به فطيرة أُكِلَ نصفها. كان مستقرًا بجوار حزمة من الملفات المفتوحة.

سألتُ رينفريو: "لماذا لم تخبرنا عن مكتب تسجيل كوينزبرى؟".

قال وهو يشير إلى واحدة من أريكتين صغيرتين كانتا في المكتب: "اجلسي. اجلسي". جلستُ على واحدة فيما اتجه رينفريو ليجلس على مقعد مكتبه وهو لا يتوقف عن النظر بقلق، بينما كان كونكلين يشرف على الضباط وهم يفرغون الملفات في الصناديق.

قال رينفريو: "كوينزبرى ليس سرًا. بالتأكيد كان ينبغي أن أخبركم، ولكننا أغلقنا ذلك المكتب لأنه فشل".

ورفع راحتي يديه كأنما يريني أنه لا يخفي شيئًا أسفل أكمامه، وقال: "أنا فقط رجل أعمال يرتكب الكثير من الأخطاء".

قلتُ له: "نحتاج إلى الحديث مع زوجتك".

قال رينفريو: "بالطبع، بالطبع. وهي تريد الحديث معكم. سوف تطير من زيورخ هذا المساء".

كان أسلوب رينفريو المنفتح يمكن أن يحقق له الفوز، لذا تركتُه يعتقد أنه حقق الفوز. ابتسمتُ ثم سألتُه: "هل تعرف هذا الولد؟".

أخذ رينفريو صورة الصبي أشقر الشعر صاحب العينين ذاتي اللون الأخضر المشوب بالزرقة. وفحصها قبل أن يقول: "لا أستطيع أن أتعرف عليه، هل يجب أن أعرفه؟".

عاد كونكلين مع أحد أفراد الشرطة وقد حمل تحت ذراعه عدة دفاتر تسجيل ذات أغلفة زرقاء، وقال: "سيد رينفريو، أنت ممنوع من مزاولة عملك لمدة ٧٢ ساعة، وهذا يتضمن استخدام هاتف العمل. هذا هو الضابط بات نونان وستكون مهمته التأكد

من أن المكتب مغلق لحين انتهاء مدة إذن التفتيش".

سأله رينفريو: "هل سيقيم هنا؟".

أجابه كونكلين: "إلى أن تنتهي ورديته بعد حوالى ثماني ساعات. هل تعرف أى شيء عن كرة القدم؟ بات أحد كبار مشجعي فريق (المقاتل الأيرلندى). يمكنه الحديث معك عنه طالما سمحت له".

ابتسم نونان بينما شحب وجه رينفريو.

وعاد كونكلين يقول: "ويا سيد رينفريو، لا تحاول أن تغادر البلدة؛ فإن ذلك سيبدو سيئًا".

الفصل ١١٠

كان التوتر فى مكتب تراتشيو غير محتمل. لم يكف وحش الإعلام النهم عن الزمجرة لأكثر من أسبوع... على الهواء، وعلى صفحات الجرائد، وفى الجرائد الصفراء. ولم يكن لدينا أية أخبارٍ إيجابية.

قُتِلتْ فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها، وفُقِدَت طفلة من عائلة بارزة وتم اعتبارها ميتة.

كان شعورًا فظيعًا وقد أخذ كل فرد فى مكتب تراتشيو الأمر على محمل شخصى.

قال جاكوبى لى معطيًا تعليماته: "لخصى الأمر للرئيس يا بوكسر".

نظرت إلى جاكوبى نظرة تحمل معنى وأنا أقول: "أنا أعرف ما علىَّ فعله أيها الملازم".

وصفتُ كل ما لدى وطرحتُ على المكتب السندين القانونيين اللذين فى حوزتى؛ حيث كان السند الأول نسختين من الخطابين

اللذين وصلا من الخاطفين، والثانى صور الأطفال الثلاثة إيريكا وايتن، وماديسون تايلر، والطفل غير المعروف صاحب العينين الخضراوين المشوبتين بالزرقة.

قلتُ: "لا نعرف هوية هذا الولد الصغير. ويقول رينفريو إنه لا يعرفه إلا أن الصورة كانت داخل هذا الدفتر الذى يملكه".

وضع ريتش سجل كوينزبرى على المكتب بجوار سجلى مكتب تسجيل ويستوود.

قلتُ: "نحن نعرف أن رينفريو يدير ثلاثة مكاتب لتدريب المربيات أحدها فى بوسطن، والثانى الذى يديره هنا، وواحد كان يديره فى فترة مبكرة وكان فى مونتريال".

تابعتُ كلامى قائلة: "شرطة مونتريال لديها قضية محفوظة. طفل صغير يدعى أندريه ديفيريو قد تعرض للاختطاف من أحد الملاعب بجوار منزله قبل عامين. وكان لديه مربية".

سأل تراتشيو: "وهل كانت من مكتب تسجيل كوينزبرى؟".

أجاب كونكلين: "نعم. لقد فحصتُ السجلات. بما فيها من الإيجار وتكلفة التعيين واستقدام الفتيات من أوربا وتكاليف المكتب والتكاليف القانونية، وحتى تكاليف الإقامة الكبيرة. إن آل رينفريو ينزفون الأموال".

قلتُ: "ولا يزالون يعملون حتى الآن. ويجب أن يتساءل المرء لماذا، ما هو العائد؟".

قدم الملازم ماكلين صورة مطبوعة لتراتشيو قائلاً: "هذا هو أندريه ديفيرو. يبدو شبيهًا بذلك الذى تم العثور على صورته داخل سجل كوينزبري".

"المربية أندريه كانت تسمى بريت أوسترمان. إنها مواطنة سويدية تم تعيينها بواسطة مكتب تسجيل كوينزبري. وبعد أسبوع من اختطاف ديفيرو تم العثور على أوسترمان قتيلة فى مصرف بجوار طريق فرعى؛ حيث كانت مصابة برصاصة فى الرأس".

"كان مكتب تسجيل كوينزبرى ملكًا لاثنين من الأمريكيين يطلقان على نفسيهما اسمى جون وتينا لانجر. لقد اختفيا بعد حادث اختطاف ديفيرو/أوسترمان. وأرسلت الشرطة الكندية صورة المَالِكَيْن لانجر بالبريد الإلكترونى".

ووضع ماكلين صورة أخرى مطبوعة بالليزر على مكتب تراتشيو. كانت لرجل وامرأة أبيضى البشرة فى أواخر الأربعينات.

كانت صورة غير رسمية تم التقاطها خلال حفل فى إجازة، داخل حجرة جميلة وبها نقوش جميلة. رجال يرتدون حُلَل العشاء ونساء يرتدين فساتين الحفلات.

وضع ماكلين إصبعه على الصورة؛ حيث توجد امرأة شقراء فى أواخر الأربعينات ترتدى فستانًا برونزى اللون. كانت تستند على رجل باسم كان يضع ذراعه حولها.

لم أستطع التعرف على المرأة إلا أننى عرفتُ الرجل. كان شعره أسود وتم تصفيفه بحيث يكون مستقيمًا للخلف. ولم يكن يرتدى نظارات.

إلا أننى كنتُ أتطلع إلى الوجه منذ وقت قريب، وعرفتُه.

لقد كان جون لانجر هو بول رينفريو!

الفصل ١١١

بعد ظهيرة ذلك اليوم، توجهت مع كونكلين إلى آنكلز كافيه فى تشاينا تاون. طلب كل منا طبق يوم الأربعاء، وهو لحم مشوى وبطاطس مهروسة وفاصوليا خضراء. اكتسح كونكلين ما فى طبقه من بطاطس، إلا أننى لم يكن لدى شهية للطعام.

كنا ننظر من خلال الزجاج عبر الشارع الكئيب إلى مجموعة من المنازل بها مكتب تسجيل ويستوود.

أعادت سيدة صينية حامل لديها ضفيرة منسدلة ملء كوبى الشاى. وعندما نظرتُ عبر النافذة بعد ذلك بثانية رأيت بول رينفريو ـ كما يُطْلِقُ على نفسه ـ ينزل من مدخل المبنى ويتجه إلى السلالم الأمامية.

قلتُ لكونكلين بينما أطرق على طرف طبقه بالشوكة: "انظر إلى ذلك". فى هذه اللحظة دق جرس هاتفى الخلوى؛ حيث كان المتحدث بات نونان، وقال: "قال سيد رينفريو إنه ذاهب لتناول الغداء وسيعود خلال ساعة".

شككتُ فى الأمر.

رينفريو يحاول الهرب.

وهو لا يدرى كم من الأعين تراقبه.

دفع كونكلين الحساب، وأجريت مكالمات هاتفية مع ستانفورد وجاكوبى، وأغلقت سترتى على قميصى المضاد للرصاص وتابعتُ مشية رينفريو النشيطة بجوار متاجر الأعشاب والهدايا فيما كان يتجه نحو زاوية ويفرلى وكلاي.

ركبت مع كونكلين سيارتنا، فيما كان يفتح رينفريو باب سيارته الـ (بى إم دبليو) ذات اللون الأزرق القاتم. نظر خلف كتفيه ثم دلف إلى سيارته وانطلق نحو الجنوب.

انطلق ديف ستانفورد وزميله هيذر طومسون وراء رينفريو عندما وصل شارع ساكرامنتو، فيما أخذ جاكوبى وماكلين طريقا شماليا نحو برودواي. وأخذت أجهزة اللاسلكى تعمل بينما كان أعضاء فريق العمل يخبرون بعضهم البعض بأماكن تواجدهم وموقع السيارة الـ (بى إم دبليو) وهم يتبعونها باتخاذ طريق متعرج فى أحيان، وبالمتابعة المباشرة فى أحيان أخرى.

كان قلبى يدق بانتظام بينما نتابع رينفريو فى سيره الذى كنا لا نعلم إلى أين سيأخذنا فيه.

عبرنا جسر الشاطئ واتجهنا شمالاً على الطريق السريع ٢٤ ودخلنا أخيرًا مقاطعة كونترا كوستا.

كنت أنا وكونكلين فى المقدمة عندما ترك رينفريو طريق ألترايندا وسلك طرقًا أكثر فرعية فى أوريندا، وهى بلدة مرتفعة عن مستوى سطح البحر تحيط بها التلال.

سمعتُ جاكوبى عبر مذياع السيارة يخبر الشرطة المحلية بأننا نقوم بعملية مراقبة فى تحقيق خاص بجريمة قتل. طلب ماكلين الدعم من شرطة الولاية كما طلب من شرطة أوكلاند توفير مروحية للمراقبة. كان الصوت التالى الذى سمعته صوت

ستانفورد الذى طلب فرقة "البنادق الكبيرة" وهو فريق خاص فى الـ (إف بى آى).

قلت لكونكلين: "لقد فقدت شرطة سان فرانسيسكو السيطرة". قلتها بينما كانت سيارة رينفريو تبطئ من سرعتها وتدخل في ممر داخل منزل كثير المثلثات ذى بوابات زرقاء.

قاد كونكلين حول المنزل بصورة تبدو غير متعمدة.

قمنا بجولة على شكل حرف "U" عند الملف فى الطريق، وعدنا إلى الشارع وتوقفنا فى بقعة تظللها الأشجار على الجانب الآخر من المكان الذى أوقف فيه رينفريو سيارته بجوار شاحنة صغيرة سوداء من طراز "هوندا".

لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة!

لابد أن هذه هى الشاحنة التى تم استخدامها فى اختطاف ماديسون تايلر وباولا ريتشى.

الفصل ١١٢

كتبتُ أرقام الشاحنة فى كومبيوتر السيارة وأنا أفكر فى طلب أمر تفتيش لاحتجاز الشاحنة على أمل أن أعثر على بقعة من دماء باولا ريتشى على فرشها وهو ما سيكون دليلاً حقيقيًا يربط آل رينفريو باختطاف باولا ريتشى وماديسون تايلر.

وخلال الساعة التالية تم عمل نطاقين أمْنِيين: الأول هو نطاق داخلى أحاط بالمنزل المثلث، والثانى نطاق خارجى أغلق المنطقة المحيطة.

لم يكن هناك أى نشاط فى المنزل، الأمر الذى دفعنى إلى التساؤل عما يحدث بالداخل "هل يحزم آل رينفريو حقائبهم؟ هل يدمرون أية تسجيلات؟".

كانت تقريبًا الساعة الرابعة من بعد الظهر عندما ظهر خمسة من رجال الـ (إف بى آى) وتوقفوا على جانب الطريق فى خط عمودى على المنزل المثلث.

اقترب ديف ستانفورد من نافذة سيارتي وأعطاني مكبر صوت. كان قد حلق ذيل الحصان في شعره وفق قواعد الـ (إف بي آي) فيما ذهب المرح من عينيه الزرقاوين. إن ديف لم يعد يعمل تحت التغطية.

قال ديف: "نحن نطلب القناصة، ولكن بما أن رينفريو يعرفك فحاولي أن تجتذبيه خارج المنزل".

أدخل كونكلين المفتاح في المحرك وسرنا بالسيارة عبر الشارع وتوقفنا أمام المدخل الخاص بالمنزل. لقد سددنا الطريق على كل من الـ (بي إم دبليو) والشاحنة الصغيرة.

أخذت مكبر الصوت ووقفتُ خلف باب سيارتي المفتوح. وصحتُ: "بول رينفريو. الرقيب بوكسر تتكلم. لدينا أمر اعتقال لك للاشتباه في تورطك في جريمة قتل. رجاء اخرج من المنزل ويداك مرفوعتان في الهواء".

دوى صوتي في وسط الضاحية الهادئة فطارت العصافير؛ مما أسقط بعض أوراق الأشجار.

قال كونكلين: "هناك حركة في الطابق الثاني".

توترت كل عضلة في جسدي وتركز بصري على واجهة المنزل. لم أر شيئًا إلا أن جلدي اقشعر، كما لو كنت أشعر بأن هناك مسدسًا مصوبًا إليّ.

رفعتُ مكبر الصوت من جديد وضغطت الزر وقلت:

"سيد رينفريو، هذه آخر فرصة لك. هناك أسلحة نارية مصوبة إلى المنزل تكفي لتحويله إلى أنقاض. لا تدعنا نستخدمها".

انفتح الباب الأمامي وظهر رينفريو في الظلال قائلاً: "أنا قادم. لا تطلقوا النار! من فضلكم. لا تطلقوا النار!".

نظرتُ إلى يساري لأرى رد فعل فريق الـ (إف بي آي) فرأيتُ دستة أو أكثر من بنادق الـ (إم ١٦). لا تزال موجهة إلى واجهة

المنزل. كنتُ أعلم أنه في مكان ما على أحد الأسطح ربما يكون على بعد ١٠٠ قدم يوجد قناص معه بندقية من طراز "ريمينجتون ٧٠٠" بمنظار مقرب قوي مصوبةً إلى جبهة رينفريو.

قلتُ للرجل الذي وقف في الممر: "تقدم خارجًا إلى حيث يمكننا رؤيتك. قرار حكيم يا سيد رينفريو. والآن استدر واتبع اتجاه صوتي".

كان رينفريو يقف أسفل زخارف تحف الطريق إلى المنزل. كانت تفصلنا عنه الآن مسافة ٣٠ قدمًا من الخضرة.

قال رينفريو في صوت ضعيف يحوي الكثير من الرجاء: "لا يمكنني أن أفعل ذلك. إذا خرجتُ فسوف تُطلِقُ عليَّ النار!".

الفصل ١١٣

بدا رينفريو مذعورًا وكان لديه مبرر لذلك. إذا ما قام بأية حركة فإن حياته ستنتهي بعد ثانيتين.

لكنه لم يكن خائفًا منا.

صحتُ: "من التي ستطلق النار عليك؟".

قال: "زوجتي لورا. إنها فى الأعلى ومعها مسدس نصف آلي. لا يمكنني أن أخرجها من هنا. أعتقد أنها سوف تحاول أن تمنعني من الاستسلام".

كان هذا تحولاً سيئًا. إذا أردنا أن نعرف ما الذي جرى لماديسون تايلر فينبغي الحفاظ على حياة بول رينفريو.

صحتُ فيه: "افعل ما أقول لك تمامًا. خذ سترتك وألقها بعيدًا عنك. حسنًا... جيد. والآن انزع سروالك".

كان المايكروفون في جهاز اللاسلكي مفتوحًا لذلك كان الكل يستطيع سماع ما أقول.

ألقى على رينفريو نظرة إلا أنه أطاع الأمر. نزع سرواله فبدا قميصه يغطيه حتى أعلى فخذيه.

عدتُ أقول: "والآن استدر ببطء. ٣٦٠ درجة. ارفع قميصك إلى حد يجعلني أرى خصرك". قلتُ عبارتي ورأيته يكافح من أجل إطاعة الأمر فعدتُ أقول: "حسنًا. يمكنك ارتداء سروالك"، فأسرع بالاستجابة.

قلتُ له: "والآن أريدك أن ترفع طرفي سروالك حتى ركبتيك".

قال لي كونكلين عبر سطح السيارة: "والآن دعينا نخرجه من ذلك المكان".

هززتُ رأسي موافقة وأنا أفكر فى أنه إذا كانت زوجته تقف فى الطابق السفلي فإنها تستطيع إصابته عبر الباب المفتوح.

طلبت من رينفريو أن ينزل طرفي سرواله ويخرج ويمشي ملاصقًا لحائط المنزل وقلتُ له: "إذا فعلتَ ما أقول فلن تستطيع هي أن تنال منك شيئًا. خذ الركن الجنوبي من المنزل. بعد ذلك ارقد أرضًا، وشبك يديك خلف عنقك".

عندما استلقى رينفريو على الأرض دخل أحد سكان الضاحية السود إلى المرج فانقض عليه اثنان من الـ (إف بي آي) وقيداه وألقياه أرضًا.

أجلساه في المقعد الخلفي لسيارتهما عندما سمعتُ صوت زجاج يتهشم فى الطابق الثاني للمنزل. أوه. اللعنة!

ظهر وجه سيدة فى النافذة.

كانت تمسك بمسدس وكان موجهًا إلى صدغ فتاة صغيرة تجمدت الانفعالات على وجهها بحيث انفتح فمها ولا شيء غير ذلك.

كانت الفتاة الصغيرة هي ماديسون تايلر.

كانت المرأة التى تمسك بالفتاة هى تينا لانجر، المعروفة أيضًا بلورا رينفريو وقد بدت كقاتلة. كانت ملامحها منعقدة فى غضب ولم أر لمحة خوف فى وجهها.

صاحت من النافذة: "نهاية اللعبة هو أكثر الأجزاء إثارة فيها، أليس كذلك أيتها الرقيب بوكسر؟ أريد وسيلة خروج آمنة. أوه. لى ولماديسون. هذه المروحية تصلح. من الأفضل أن يتصل أحد بالطيار. دعوه يهبط فى المرج. افعلوا ذلك الآن. الآن".

ثم أضافت: "أوه. إذا ما قام أحد بأى تحرك فسوف أقتل هذه الـ...".

رأيتُ الثقب الأسود يظهر فى جبهتها حتى من قبل أن أسمع صوت البندقية الـ(ريمينجتون) من سطح مبنى عبر الشارع.

صرخت ماديسون بينما تجمدت السيدة التى كانت تطلق على نفسها اسم لورا رينفريو فى النافذة!

لقد تركت الفتاة وسقطت!

الفصل ١١٤

هل ماديسون تايلر بخير؟ كان هذا هو ما أفكر فيه عندما اندفعتُ مع كونكلين إلى حجرة النوم الرئيسية فى الطابق الثانى، إلا أننا لم نر الفتاة على الرغم من ذلك.

صحتُ بصوت عال: "ماديسون؟".

كان هناك سرير غير مرتب وحيد فى الغرفة بجوار الباب، وكانت عليه حقيبة ثياب مفتوحة بها ثياب الفتاة.

قال ريتش كونكلين ونحن نقترب من الحمام: "أين أنت يا عزيزتي؟ نحن الشرطة".

وصلنا إلى الحمام فى نفس الوقت فقلتُ وأنا أدير مقبض الباب: "ماديسون. كل شيء بخير يا حبيبتي. لن يؤذيك أحد".

فتحتُ الباب ورأيت كومًا من الثياب على أرضية الحمام يتحرك كأنما أحد يتنفس تحته. انحنيتُ وأنا مازلتُ خائفة مما قد أرى وقلت: "مادى، اسمى ليندسى وأنا شرطية. أنا هنا لأنقذك".

أزحتُ كوم الثياب جانبًا على أرضية الحمام حتى رأيتُ أخيرًا الفتاة الصغيرة والتي كانت تبكي في هدوء. تحتضن نفسها وترتعد وقد أغلقت عينيها.

يا إلهي لك الحمد! إنها ماديسون.

قلتُ لها في صوت مهتز: "كل شيء بخير يا حبيبة قلبي. كل شيء سيكون على ما يرام".

فتحت ماديسون عينيها ومددتُ ذراعي لها فألقت بنفسها علي فاحتضنتها بشدة .

أخرجتُ هاتفي الخلوي وطلبتُ رقمًا حفظتُه في ذاكرتي. كانت يداي ترتجفان بشدة إلى درجة أنني اضطررت أن أعيد طلب الرقم.

جاءني الرد بعد الرنة الثانية.

قلتُ: "سيدة تايلر. معك ليندسي بوكسر. المفتش كونكلين، وقد عثرنا على ماديسون"، ووضعت الهاتف بجوار وجه ماديسون وهمستُ لها: "قولي شيئًا لوالدتك".

الفصل ١١٥

في ساعة مبكرة من هذا المساء كنت أنا وكونكلين في مقر الـ (إف بي آي) في شارع جولدن جيت في الطابق الثالث عشر. جلسنا في الغرفة مع خمسة عشر آخرين من العملاء وأفراد الشرطة نتابع على شاشة الاستجواب الذي كان يجريه ديف ستانفورد وزميله هيذر طومسون لرينفريو.

جلستُ بجوار كونكلين أتابع ستانفورد وطومسون وهما يشرحان الأفعال الإجرامية التي قام بها ذلك الشخص المعروف ببول رينفريو، وكذلك بديفيد كورنوول، وبجوزيف وولر، وهو اسمه الأصلي.

قلتُ: "إنه يجذب الانتباه".

قال كونكلين: "من الجيد أنني لست في حجرة الاستجواب معه. لم أكن لأستطيع التعامل مع الأمر".

كان "هذا الأمر" يشير إلى اعتداد وولر بنفسه وأدبه في الحديث؛ فبدلاً من الاندهاش أو الظهور بمظهر المدافع عن

نفسه؛ كان وولر يتحدث إلى ستانفورد وطومسون على أنهما زميلان كما لو كان سيقيم معهما علاقة صداقة بعد أن ينتهي من سرد قصته ببراعة.

تسمرنا أنا وماكلين وكونكلين في مقاعدنا ونحن نتابع وولر وهو يسرد أسماءهم: أندريه ديفيرو وإيريكا وايتن وماديسون تايلر وطفلة صغيرة تسمى دوروثا ألفيريز من مكسيكو سيتي.

طفلة لم نعرف شيئًا عنها.

طفلة ربما لا تزال على قيد الحياة.

بينما كان يحتسي قهوته، قال وولر لستانفورد وطومسون إن الأطفال الثلاثة المفقودين يعيشون الآن في منزل عدد من الأغنياء حول العالم، ويتعرضون للانتهاك الجنسي.

وقال وولر: "كانت فكرة زوجتي أن نستقدم فتيات أوربيات جميلات ونوظفهن للعمل كمربيات لدى الأسر الجيدة. بعد ذلك نجد مشترين للأطفال. كنت أعمل مع المربيات؛ حيث كانت هذه وظيفتي، وكانت فتياتي يفتخرن بالأطفال حسني المظهر والأذكياء والموهوبين، وشجعتُ الفتيات على أن يخبرنني بكل شيء عن الأطفال".

قال تومسون: "أي إن الفتيات كُنَّ يشرن إلى الأطفال إلا أنهن لم يكنَّ يعرفن شيئًا عن خططكما للتعامل معهم".

ابتسم رينفريو.

فسأله ستانفورد: "وكيف كنتَ تجد المشترين؟".

قال رينفريو: "كلمة شرف. كل عملائي من الرجال الأثرياء وذوي المنزلة الرفيعة وكنتُ أشعر أن الأطفال دومًا في أيد أمينة".

شعرت بالرغبة في القيء، إلا أنني تمسكت بذراعي مقعدي وثبّتُ عيني على الشاشة التي أمامي.

قال طومسون: "لقد احتفظتَ بماديسون لأسبوعين، وفي هذا الأمر مخاطرة إلى حد ما".

قال وولر في أسف: "كنا ننتظر تحويل الأموال، لقد تم عرض خمسة ملايين من أجل ماديسون إلا أن الصفقة تأجلت. كان لدينا عرض آخر ولكن ليس في مستوى العرض الأول، ثم عاد صاحب العرض الأول وظهر في الصورة. لقد كلفتنا هذه الأيام الإضافية كل شيء".

قال ستانفورد: "فيما يتعلق باختطاف ماديسون وباولا، كان هناك الكثير من الناس في الساحة في ذلك اليوم وكان الأمر في وضح النهار. يجب أن أعترف أنها عملية خطف مذهلة. أريد بالفعل أن أعرف كيف نجحتم في تنفيذها".

قال وولر: "آه. نعم، لكن ينبغي أن أخبرك. لقد ذهب كل شيء تقريبًا"، قالها وولر وهو يعتصر ذاكرته وبدا كما لو كان يفكر في الكيفية التي سيروي بها القصة ثم عاد يقول ذلك المختل نفسيًا الذي يرتدي الحلة الفاخرة: "قدنا الشاحنة إلى ساحة ألتا بلازا. وطلبتُ من باولا وماديسون أن تأتيا معنا. تعرفون أن الأطفال يثقون بالمربيات والمربيات يثقن فينا".

قال ستانفورد: "منتهى الذكاء!".

أومأ وولر برأسه إيجابًا، وبعد أن تلقى المزيد من الشجاعة بدأ يتابع القصة فقال: "قلنا لباولا وماديسون إن هناك حالة طوارئ في منزل آل تايلر؛ إذ فَقَدَتْ إليزابيث تايلر وعيها".

"أفقدتُ ماديسون وعيها بالكلوروفورم في المقعد الخلفي. كانت نفس الخطة الرائعة التي استعملناها في ثلاث حالات اختطاف أخرى. إلا أن باولا حاولت أن تجذب عجلة القيادة وكان يمكن أن نموت كلنا. فاضطررتُ لقتلها. ماذا كنتَ ستفعل؟". ألقى رينفريو السؤال الأخير على ديف ستانفورد.

قال ستانفورد: "كنتُ سأخنقك وأنت في الميلاد. أتمنى من الله تعالى لو كنتُ فعلتُ ذلك".

الجزء الخامس

فريد الأبله

الفصل ١١٦

كانت قاعة المحكمة مكتظة بالمحامين ومراسلي صفحات الحوادث وعائلات الضحايا وعشرات الناس من الذين كانوا على متن "ديل نورتيه" عندما أطلق ألفريد برينكلي طلقاته القاتلة. ارتفعت أصوات تهدئ من الضجيج بينما دفع حارسان برينكلي للدخول في قفص الاتهام.

"ها هو!".

"قاتل المعدية".

وقف ميكي شيرمان بينما يتم نزع قيود ألفريد. جذب مقعدًا لعميله الذى سأله: "هل سأحصل على تبرئتي؟".

فقال له شيرمان: "أنا أفكر في ذلك. هل أنت متأكد من ذلك يا فريد؟".

هز برينكلي رأسه، وقال: "هل أبدو على ما يرام؟".

قال شيرمان: "نعم، تبدو بحالة طيبة".

جلس ميكى وألقى نظره على موكله الشاحب الذى أصبح جلدًا يكسو عظامًا بشعر قصير أشعث وجروح من أثر حلاقة اللحية وحلة لامعة على جسد أشبه بخيال الظل.

وكقاعدة عامة لا تضع عميلك على المنصة إلا إذا كنتَ فى منتهى البراعة، وإلى جانب ذلك لا تضع العميل على المنصة إلا إذا كان ذا مصداقية وقابلية للتعاطف معه؛ بحيث يمكنه كسب تعاطف هيئة المحلفين.

كان فريد برينكلى غير مهذب وأحمق.

وعلى الجانب الآخر، ماذا لديهم ليخسروا؟ الادعاء لديه شهادات شهود عيان وشريط فيديو و"اعتراف" لذلك فقد تخلى شيرمان عن الفكرة؛ فهو بذلك يتجنب المخاطرة الكبيرة التى تعترض إمكانية نجاح فريد فى إقناع المحلفين بأن الأصوات التى سمعها فى رأسه كانت قاسية للغاية وأنه لم يكن فى وعيه عندما أطلق النار على أولئك المساكين.

إن فريد كان لديه الحق فى الدفاع عن نفسه إلا أن شيرمان كان يعتقد أنه يستطيع أن يقنعه بالعدول عن هذه الفكرة. كان لا يزال مترددًا بينما كان المحلفون والقاضى يأخذون أماكنهم فيما نادى حاجب المحكمة على الشهود ولف غطاء من الصمت المليء بالترقب قاعة المحكمة ذات الأرضية الخشبية.

نظر القاضى مور من فوق الإطار الأسود لنظارته السميكة وسأل: "هل أنت مستعد يا سيد شيرمان؟".

قال شيرمان وهو يقف عاقدًا زر سُتْرَتِه الأوسط: "نعم يا عدالتكم"، ثم خاطب موكله قائلاً: "فريد...".

الفصل ١١٧

قال شيرمان لفريد: "ولذلك دخلتَ مستشفى نابا ستيت بعد الحادثة التى تعرضت لها شقيقتك؟" قالها شيرمان وقد لاحظ أن فريد يقف هادئًا جدًا على منصة الشهادة، هادئًا أكثر مما توقع شيرمان.

قال فريد: "نعم. لقد ذهبتُ بنفسي. لقد كنتُ أتحطم".

قال شيرمان: "أفهم ذلك. وهل خضعتَ للعلاج فى المستشفى؟".

قال فريد: "نعم. أن تكون فى السادسة عشرة من العمر هو أمر سيئ فى حد ذاته ، ناهيك عن رؤيتك شقيقتك الصغرى تموت أمام عينيك".

سأله شيرمان: "لذلك شعرتَ بالإحباط عندما اصطدمت شقيقتك بعارضة المركب وسقطت من فوقه دون أن تستطيع إنقاذها؟".

قالت يوكى وهى تقف: "يا عدالتكم، ليس لدينا أى اعتراض على شهادة سيد شيرمان ولكن يجب أن ندخل فى الموضوع مباشرة".

قال شيرمان مبتسمًا فى هدوء متحدثًا إلى موكله: "سوف ألقى سؤالاً آخر. فريد، هل سمعتَ أصواتًا فى رأسك قبل حادثة شقيقتك؟".

قال فريد: "لا. لقد بدأتُ أسمعها بعد ذلك".

سأله شيرمان ثانيةً: "هل يمكنك أن تخبر المحلفين بهوية من تتكلم عنه؟".

عقد برينكلى يديه على أعلى رأسه وهو يتنهد في عمق كما لو أن الحديث عن هوية من يتكلم عنه سوف تجعله بشرًا ثم قال موضحًا:

"انظروا. لقد كان هناك أكثر من صوت. هناك صوت امرأة، كان خليطا من الغناء والأنين لكن انسوا أمرها. هناك صوت آخر وكان غاضبًا بالفعل، لقد كان خارجًا عن السيطرة يصرخ غاضبًا وكان يسيطر عليّ".

عاد شيرمان يسأله: "وكان هذا الصوت هو من أمرك بإطلاق النار في ذلك اليوم على سطح المعدية؟".

أومأ برينكلى برأسه إيجابًا فى أسى وقال: "كان يصيح (اقتل. اقتل. اقتل). ولم يكن هناك أى شيء آخر يهمنى وقتها إلا هو. لم أكن أسمع أى شيء إلا هو. كل ما كان يمكنني فعله كان ما يقوله لي. كان هو فقط وما عداه. كان كابوسًا مخيفًا".

سأله شيرمان: "فريد، هل سيكون من العدل أن نقول إنك لم تكن لتطلق النار أبدًا على أحد لولا تلك الأصوات التى (تسيطر عليك) طوال الخمس عشرة سنة التى تلت حادثة شقيقتك؟".

لاحظ شيرمان أنه فقد انتباه موكله حيث كان فريد يحدق فى الحضور، ثم قال بصوت تملؤه الدهشة: "هذه والدتي. إنها أمي!".

استدارت الرءوس باتجاه سيدة جذابة رقيقة البشرة أمريكية من أصل إفريقى فى أوائل الخمسين بينما تتقدم بين المقاعد؛ حيث ابتسمت لابنها وجلست.

قال شيرمان: "فريد".

صاح برينكلي: "أمي! سوف أتكلم" وتابع وقد امتلأ صوته بالعاطفة والألم: "هل تستمعين إليّ؟ استعدوا لتلقى الحقائق! سيد شيرمان، لقد وصل إليك الأمر خطأ. لقد دأبتَ على وصف الأمر بالحادثة. إن موت ليلى لم يكن حادثة!".

استدار شيرمان إلى القضاة وقال بلهجة تقرير الحقائق: "يا عدالتكم، من الممكن أن يكون ذلك وقتًا مناسبًا لراحة...".

قاطع برينكلى محاميَه قائلاً فى حدة: "لا أحتاج إلى راحة. وبصراحة لا أريد مساعدتك بعد الآن يا سيد شيرمان".

الفصل ١١٨

قال شيرمان: "يا عدالتكم". قالها في هدوء باذلاً في ذلك أقصى جهده ليبدو الأمر كما لو أن موكله لم يخرج عن الطريق أو يبدأ في السقوط من حافة الهاوية وتابع: "أطلب ألا يتم الأخذ بشهادة سيد برينكلي".

سأله القاضي: "على أية قاعدة يا سيد شيرمان؟".

صاح برينكلي بأعلى صوته: "كنا نلهو معًا يا أمي. عندما تحركت عارضة المركب...".

تعالى صوت في القاعة يقول: "يا إلهي!".

وقال شيرمان: "يا عدالتكم، هذه شهادة لا يجب الالتفات إليها".

قفزت يوكي واقفة، وقالت: "يا عدالة القاضي، لقد فتح سيد شيرمان الباب لشاهده... الذي هو أيضًا موكله".

استدار برينكلي بعيدًا عن والدته ناظرًا إلى هيئة المحلفين التي تسمرت في مكانها بفعل قوة نظراته.

وقال برينكلي وقد تعالت الضوضاء من القاعة على الرغم من تعالي صوت مطرقة القاضي الذي ضاع وسط الضوضاء: "أقسم إنني أقول الحقيقة، والحقيقة هي أنني لم أحرك إصبعًا واحدًا لإنقاذ شقيقتي"، قال تلك العبارة واللعاب يتطاير من شفتيه، ثم أضاف: "وقتلتُ أولئك الناس على المعدية لأنه طلب مني ذلك. أنا رجل خطير جدًا".

جلس شيرمان في مقعده خلف طاولة الدفاع في هدوء وأخذ يجمع الملفات في ملف واحد كبير بينما كان برينكلي يصيح:

"في ذلك اليوم على المعدية، وضعتُ أولئك الناس في مرمى مسدسي وضغطتُ على الزناد، ويمكنني أن أفعل ذلك مرة ثانية".

كان المحلفون تتسع أعينهم من الدهشة بينما كان ألفريد برينكلي يمسح الدموع من على وجنتيه الغائرتين براحتي يديه.

تعالى صوت القاضي قائلاً: "هذا يكفي يا سيد برينكلي".

عاد برينكلي يصيح قائلاً وهو يضرب على ركبتيه: "لقد أقسمتم أيها الناس أن تحققوا العدالة. يجب أن تعدموني على ما فعلته بأولئك الأشخاص. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تضمنون بها عدم تكراري لذلك، وإذا لم تصدروا ضدي حكم الإعدام أقسم إنني سوف أفعلها من جديد".

وضع ميكي شيرمان الملف الكبير في حافظة ملفاته الجلدية اللامعة وأغلق أقفالها. أغلق أبواب المتجر.

قال القاضي وقد أعطى السخط وجهه لونًا ورديًا: "سيد شيرمان، هل لديك أية أسئلة أخرى لشاهدك؟".

أجابه شيرمان: "كلا، عدالتكم".

سأل القاضي يوكي: "آنسة كاستلينو، هل تريدين أن توجهي إليه أية أسئلة؟".

لم يكن هناك ما يمكن أن تضيفه يوكي على كلمات برينكلي: "وإذا لم تصدروا ضدي حكم الإعدام أقسم إنني سوف أفعلها من جديد".

فقالت: "ليست لدى أية أسئلة أخرى يا عدالتكم".
ولكن بينما كان القاضي يأمر برينكلي بالجلوس بدأ ضوء أحمر صغير يومض في ذهن يوكي.
"هل كان برينكلي يدق المسمار الأخير في نعشه؟".
أم أنه فعل ذلك لكي يقنع هيئة المحلفين بأنه مجنون بصورة تفوق كل ما كان يمكن لميكي شيرمان أن يقوله أو يفعله؟".

الفصل ١١٩

جلس فريد برينكلي على سريره الصلب في زنزانته البالغ اتساعها ٦ × ١٠ أقدام في الدور العاشر من مبنى المحكمة.
كانت الضوضاء تنبعث حوله في كل مكان من صوت المساجين الآخرين إلى صوت عجلات عربة الطعام إلى صوت إغلاق الزنازين، وهي كلها الأصوات التي كانت تتردد عبر الممر.
كان عشاء برينكلي موضوعًا في صينية في حضنه فأكل صدر الدجاجة والبطاطس المهروسة والخبز الجاف. كان الأمر يبدو كما لو أنهم يخدمونه في ليلته الأخيرة فأخذ يلوك الطعام في فمه دون شهية.
مسح فمه بمنشفة ورقية بنية وأخذ يكورها حتى صارت ضيقة ومستديرة كالكرة، ثم ألقاها في منتصف طبقه بالضبط.
ثم رَتَّبَ أدوات المائدة البلاستيكية في أحد الجوانب ونهض من فراشه، وخطا خطوتين، ثم ألقى بالصينية من أسفل الباب.

عاد إلى سريره ثم استلقى عليه في مواجهة الحائط ومن موقعه هذا كان يمكنه رؤية المنضدة الواقعة على يساره وكذلك الحائط ذى الكتل الحجرية الرمادية.

كان الحائط مدهونًا باللون الرمادى، بينما كانت هناك بعض الكتابات المحفورة عليها فى بعض الأماكن مثل أرقام هواتف وكلمات عامية وأسماء رجال عصابات ورموز لأشياء لم يفهمها.

بدأ فى عد الكتل الحجرية فى الحائط أمامه وبدأ يفكر فى الخرسانة التى تلصقها ببعضها البعض باعتبارها متاهة وأن الحل يكمن فى الخطوط بين الكتل الحجرية.

وخارج زنزانته أخذ أحد الحراس الصينية؛ حيث كانت بطاقة التعريف المعلقة على زيه تقول إن اسمه أوزى كوين.

قال أوزى: "وقت تناول دوائك".

توجه برينكلى إلى الباب ذى القضبان ومد يده متناولاً كوبًا ورقيًا به حبات الدواء. أخذ الحارس يراقب برينكلى وهو يسكب محتويات الكوب فى فمه، وقال له: "خذ هذا أيضًا". قالها وهو يمد له كوبًا ورقيًا مليئًا بالماء هذه المرة، وأخذ يراقب برينكلى بينما يبتلع حبات الدواء.

قال أوزى لفريد: "عشر دقائق ويتم إطفاء الأنوار".

فقال له برينكلى: "لا تترك بق الفراش يعض".

استدار إلى فراشه واستلقى فى مواجهة الحائط وبدأ يحاول الغناء: "آى. آى. آى. ماما سيتا ليندو".

ثم أمسك بحافة الفراش، ورفع جسده وضرب مقدمة رأسه فى الحائط ذات الحجارة الأسمنتية.

ثم فعل ذلك ثانية.

الفصل ١٢٠

عندما دخلت يوكى قاعة المحكمة من جديد كان رئيسها ليونارد باريزى يجلس بجوار ديفيد هيل عند طاولة الادعاء. طلبت يوكى حضور باريزى بمجرد أن علمت بأمر محاولة انتحار برينكلى، إلا أنها لم تتوقع أن يحضر إلى المحكمة.

قالت له: "ليونارد، تسعدنى رؤيتك"، قالتها بصوت مرتفع بينما كانت تقول فى نفسها: "اللعنة! هل سيستولى على القضية منى؟ هل يمكنه أن يفعل ذلك بى؟".

سألها ليونارد: "هل سيكمل المحلفون القضية ؟".

قالت يوكي: "هكذا أخبروا القاضي. لا أحد يرى إمكانية بطلان المحاكمة . حتى ميكى لم يطلب الاستئناف".

غمغم ليونارد: "جيد. أنا أحب هذا الوغد".

وعبر الممر كان شيرمان يتحدث إلى موكله. كانت عينا برينكلى زرقاوين داكنتين. وكانت هناك ضمادة كبيرة من الشاش

تغطي جبهته؛ حيث كان يرتدى سترة مستشفيات ذات لون أزرق باهت على سروال منامة مخطط.

حدق برينكلى فى الطاولة وهو يعبث فى شعر ساعده بينما كان شيرمان يتكلم ولم ينهض عندما كان حاجب المحكمة يطلب من الجميع الوقوف.

جلس القاضي وصب كوبًا من الماء، وسأل يوكى ما إذا كانت مستعدة لاختتام القضية أم لا.

قالت يوكى إنها مستعدة.

تقدمت إلى منصة الخطابة وسمعت صوت دقات قلبها تتردد فى أذنيها. تنحنحت قليلاً ثم حَيَّتِ المحلفين قبل أن تبدأ فى إلقاء كلمتها الختامية:

"لسنا هنا اليوم لكى نقرر ما إذا كان السيد برينكلى لديه مشكلات نفسية أم لا. كلنا لدينا مشكلات وبعضنا يعالجها بصورة أفضل من الآخرين. قال سيد برينكلى إنه سمع صوتًا غاضبًا فى رأسه وربما يكون قد سمع فعلاً".

"لا يمكننا أن نعرف، وهذا لا يهم".

"المرض العقلى ليس رخصة للقتل سيداتي وسادتي، وسماع أصوات فى رأسه لا يغير من حقيقة أن ألفريد برينكلى كان يعرف أن ما فعله خطأ عندما قتل أربعة من الأبرياء ومن بينهم الأكثر براءة وهو طفل فى التاسعة من العمر".

ووجهت يوكى السؤال إلى المحلفين قائلة: "كيف لنا أن نعرف أن سيد برينكلى كان يعرف أن ما فعله خطأ؟ لأن سلوكه وأفعاله دفعته إلى الهروب".

وقفت يوكى لتعطى الفرصة لكلماتها كى تلقى بأثرها وتلفتت فى القاعة. لاحظت ملامح وجه لين باريزى الضخمة وبدا عليها الضيق من الحملقة المجنونة التى بدت على برينكلى... ورأت أن القضاة كلهم جلسوا يستمعون بتركيز وينتظرون منها الاستمرار...

فتابعت يوكى: "دعونا ننظر إلى سلوك سيد برينكلي. أول شيء أنه حمل مسدسًا محشوًا بالطلقات من طراز سميث & ويسون طراز ١٠ على سطح المعدية".

"بعد ذلك انتظر حتى ترسو المعدية حتى لا يكون فى وسط الماء؛ الأمر الذى لم يكن ليترك له فرصة للفرار".

"هذه الأفعال تعطى لنا صورة التفكير المسبق. هذه الأفعال توضح لنا التعمد والإصرار".

وتابعت يوكى وهى تركز عينيها على المحلفين: "حدد ألفريد برينكلى أهدافه بدقة وأفرغ طلقات مسدسه فى خمسة أشخاص. ثم فرّ. هرب كالجحيم. هذا هو الوعى بالذنب. كان يعرف أن ما فعله خطأ".

"تجنب برينكلى الاعتقال لمدة يومين قبل أن يسلم نفسه ويعترف بالجريمة... لأنه كان يعرف أن ما فعله كان خطأ".

"لا يمكننا أن نعرف تحديدًا ماذا كان فى عقل سيد برينكلى فى الأول من نوفمبر، إلا أننا نعرف ماذا فعل".

"ونحن نعرف على وجه التحديد ما أخبرنا به سيد برينكلى بنفسه عصر أمس".

قالت يوكى: "لقد صوب مسدسه على الضحايا". قالتها وهى تجعل من يدها مسدسًا وترفعها ببطء وتدور به فى شبه دوائر وقد رفعت كتفيها وهى تصوب أصابعها باتجاه الحضور والمحلفين.

"جذب الزناد ست مرات. لقد حذرنا من أنه (رجل خطر)".

"بصراحة، أفضل دليل على صحة عقل سيد برينكلى هو أنه يتفق معنا فى نقطتين".

"إنه مذنب".

"وإنه يجب أن ينال العقوبة القصوى التى يسمح بها القانون. رجاء أعطوا سيد برينكلى ما طلبه؛ حتى لا نقلق بصدد حمله سلاحًا محشوًا بالطلقات مرة ثانية".

شعرت يوكى بالدماء تتدفق فيها وبالإثارة وهى تجلس بجوار لين باريزى الذى همس لها: "ختام رائع يا يوكى. درجة أولى".

الفصل ١٢١

وقف ميكى شيرمان على الفور وواجه هيئة المحلفين وأخبرهم بقصة بسيطة ومأساوية، كما لو كان يتكلم إلى والدته أو إلى صديقته.

قال شيرمان: "كان يجب أن أقول لكم. لقد كان فريد برينكلى يقصد إطلاق النار على أولئك الأشخاص وقد فعل ذلك. لم ننكر ذلك أبدًا ولن نفعل".

"لكن ماذا كان الدافع؟".

"هل كان على خلاف مع أحد من الضحايا؟ هل كان ذلك محاولة سرقة مصحوبة بجريمة قتل أم صفقة مخدرات فاشلة؟ هل أطلق النار على أولئك الأشخاص دفاعًا عن النفس؟".

"لا. لا. لا. لا."

"لقد فشلت الشرطة فى إيجاد أى مبرر عقلانى لإطلاق فريد برينكلى النار على أولئك الأشخاص لأنه لا يوجد دافع، وعندما

لا يوجد دافع لارتكاب جريمة فإن المرء يبقى أمام السؤال... لماذا؟".

"فريد برينكلى يعانى من اضطراب سلوكى يتمثل فى الانفصام فى الشخصية وهو مرض مثل سرطان الدم أو تصلب الأنسجة. إنه لم يفعل أى شيء خاطئ لكى يمرض بهذا المرض. إنه حتى لا يعرف أنه مصاب به".

"عندما أطلق فريد النار على أولئك الأشخاص فإنه لم يكن يدرى أن ذلك خطأ أو حتى أن هؤلاء الأشخاص حقيقيون. لقد قال لكم. كل ما يعرفه هو أن هناك صوتًا مرتفعًا ساخطًا فى داخل رأسه كان يطلب منه أن يقتل، وكانت الطريقة الوحيدة لإسكات ذلك الصوت هى إطاعته".

"لكن لا ينبغى عليكم أن تقوموا بتفسير كلامى هذا على أن برينكلى غير عاقل وفق الشروط القانونية".

"إن لفريد برينكلى جذورًا فى المرض العقلى تعود إلى ما قبل خمسة عشر عامًا عندما كان مريضًا فى إحدى مستشفيات الأمراض النفسية والعصبية".

"عشرات الشهود قالوا فى شهاداتهم إنهم سمعوا سيد برينكلى يتحدث إلى أجهزة التليفزيون ويغنى لنفسه ويصفع جبهته بقوة أدت إلى أن تظل آثار راحته ظاهرة فى جبهته، وهذا بسبب أنه كان يريد أن يُسكِتَ الأصوات التى تتكلم فى رأسه".

تابع شيرمان كلامه وقد بدأ يروح ويجيء: "ولقد سمعتُم أيضًا شهادة دكتور ساندى فريدمان، وهو طبيب نفسى مرموق فى مجالى العلاج والطب الشرعي، وقد فحص سيد برينكلى ثلاث مرات وشَخَّصَ ما يعانيه على أنه مرض انفصام فى الشخصية".

"أخبرنا دكتور فريدمان أنه فى وقت الجريمة كان فريد برينكلى فى حالة من الاختلال العقلى ويعانى من الاختلالات

النفسية. لقد كان يعانى من مرض أو ضعف عقلى منعه من التوافق سلوكيًا مع قوانين المجتمع، وهذا هو التعريف القانونى للجنون".

ثم سار شيرمان إلى طاولة الدفاع والتقط كتابًا مغلفًا بغلاف سميك وهو يقول: "هذا ليس مرضًا من اختراع محام. هذا الكتاب هو الجزء الرابع من الكتاب الحجَّة فى مهنة الطِّب النفسى. يجب أن يكون معكم فى حجرة المداولات حتى تتمكنوا من قراءة أن الانفصام فى الشخصية هو اضطراب عقلى حاد... مرض عقلى يقود أفعال الشخص الذى يعانى منه".

"موكلى ليس شخصًا رائعًا ولن نعلق ميدالية على صدره. لكن فريد برينكلى ليس مجرمًا ولا يوجد شيء فى تاريخه يقول بذلك. إن سلوكه بالأمس يدل على مرضه. هل أى شخص عاقل يمكن أن يطلب من هيئة المحلفين أن تحكم عليه بالإعدام؟".

عاد شيرمان إلى طاولة الدفاع ووضع الكتاب وأخذ رشفة من الماء قبل أن يعود إلى منصة الخطابة قائلاً: "دليل الجنون واضح بشدة فى هذه القضية. فريد برينكلى لم يقتل بسبب الحب أو الكراهية أو المال أو الإثارة. إنه ليس شيطانًا. إنه مريض. وأنا أطلب منكم اليوم أن تفعلوا الشيء الوحيد العادل. أن تعلنوا أن فريد برينكلى (ليس مذنبًا) لأسباب تتعلق بفقدان العقل".

"وسيطروا على النظام لكى تجعلوا الناس آمنين بعيدًا عن ذلك الشخص".

الفصل ١٢٢

قالت سيندى: "أمر سيئ ألا تفهموا الكلمة الختامية ليوكى فى القضية"، قالتها وهى تضع ذراعها بحنو حول يوكى وتنظر مبتسمةً عبر المائدة لكلير ولى.

قالت يوكى وهى تضع شعرها خلف أذنها وقد احمر وجهها خجلاً لكن اعتلته بسمة: "هل هذا رأيك الصحفى غير المنحاز؟".

فَرَدَّتْ سيندى وهى تضحك: "لا، إطلاقًا. هذا رأيى الشخصى وهو ليس للتسجيل".

كنا فى كافيتيريا ماكبين التى تقع فى الشارع الموجود به مقر الشرطة. كنا نجلس نحن الأربعة ومعنا هواتفنا المحمولة وقد أحضرت لنا النادلة سيدنى ماكبين، وهى ابنة صاحبة الكافيتيريا، أربعة أكواب وزجاجتين من المياه المعدنية.

قالت سيدنى: "ماء، ماء فى كل مكان؟ ما الأمر أيتها النساء؟ هذا مكان لبيع المشروبات. هل فهمْتُنَّ ما أعنيه؟".

قلت وأنا أشير إلى كل واحدة منا: "الأمر يشبه ذلك يا سيدني. العمل. العمل. العمل"، ثم أشرت إلى كلير وقلت: "حامل وتعمل".

ضحكت سيدنى وهنأت كلير وأخذت طلباتنا وتوجهت إلى المطبخ.

سألتُ يوكى: "إذن كان يسمع أصواتًا؟".

"ربما. لكن كثيرًا من الناس يسمعون أصواتًا. من ٥ إلى ١٠ آلاف شخص في سان فرانسيسكو يعيشون وحدهم. ربما يوجد بعض منهم هنا فى تلك الكافيتيريا، إلا أنهم لا يطلقون النار فى المكان. ربما يكون فريد برينكلي يسمع أصواتًا بالفعل ولكن ماذا عن ذلك اليوم؟ لقد كان يعلم أن ما يفعله خطأ".

قالت كلير: "الوغد. هذا الكلام على لسانى للتسجيل كإحدى الشاهدات المنحازات وإحدى الضحايا".

عاد ذلك اليوم إلى ذاكرتى بكل وضوح... سطح المعدية الغارق فى الدماء والركاب الصارخون ومقدار الرعب الذى كان يملؤنى خشية أن تموت كلير. تذكرت بحثى عن ويلى وشكرى الله على أن طلقة برينكلى الأخيرة أخطأته.

سألتُ يوكي: "هل تعتقدين أن هيئة المحلفين سوف تصوت لصالح إدانته؟".

قالت يوكي: "لا أعرف. يجب أن يفعلوا ذلك. إذا كان هناك من يستحق العقاب فهو برينكلي". قالتها وهى تضع الملح بشدة على المقليات الفرنسية التى طلبتها، بينما تهدل شعرها أمام عينيها؛ فلم يستطع أحد قراءة عينيها.

الفصل ١٢٣

تلقت يوكى هذه المكالمة بعد الساعة الثانية من بعد ظهيرة ذلك اليوم، وهو اليوم الثالث على بدء أعضاء هيئة المحلفين مداولاتهم، وسَرَت رجفة في جسدها.

لقد حانت اللحظة!

جلست متصلبة فى مكانها للحظات، فقط ترمش بعينيها قبل أن تنفض عن نفسها ذلك كله.

اتصلت بليونارد وبسرعة اتصلت بكل من كلير وسيندى وليندسى؛ حيث وصلوا كلهم إلى قاعة المحاكمة فى دقائق. نهضت يوكى من مكانها وعبرت القاعة ومالت على ديفيد، وقالت له: "لقد انتهوا!".

وضع ديفيد شطيرة التونة التى كان يتناولها، وتبع يوكى إلى المصعد قبل أن يأخذاه إلى الطابق الأرضى.

عبرا الردهة الرئيسية ودخلا إلى الردهة الثانية عبر الباب الجلدى المزدوج، وخرج أفراد الأمن خارج قاعة المحكمة، وأخذا مكانهما خلف الطاولة.

امتلأت قاعة المحكمة عن آخرها؛ فقد حان وقت النطق بالحكم. كان هناك مراسلو تليفزيون، كما كان هناك مراسلون من الصحف المحلية ومن صحف الحوادث، إلى جانب وكالات الأنباء والصحف القومية، وكانت سيندى من بينهم.

رأت يوكي كلا من كلير وليندسى جالستين فى الصفوف الوسطى، إلا أنها لم تر أم المدعى عليه - إلينا برينكلى - فى أى مكان.

دخل ميكى شيرمان عبر البوابة يرتدى حلة زرقاء داكنة لامعة، ووضع حقيبته المعدنية أمامه، وهز رأسه محييًا يوكى قبل أن يجرى مكالمة هاتفية.

دق جرس هاتف يوكى، فقالت: "لين" بعدما قرأت اسمه في خانة اسم المتصل، ثم قالت له: "اليوم النطق بالحكم".

قال لها: "أنا لدى طبيب القلب الملعون. والينى بالأخبار".

انفتح الباب يسار مقعد القاضى، ودخل حاجب المحكمة مع ألفريد برينكلى.

الفصل ١٢٤

أزيلت الضمادة التى كانت على جبهة برينكلى كاشفة عن خط من الغُرَز يسير رأسيًا من منتصف جبهته وحتى خط شعره، كما كانت الكدمات التى تحيط بعينيه قد تلاشت تاركة مكانها لونًا يشبه صفار البيض الذى تعرض للسلق بصورة زائدة عن الحد وهو اللون الأصفر المخضر.

فك حاجب المحكمة القيود التى أحاطت بخصر وأيدى برينكلى الذى جلس بجوار محاميه.

انفتح الباب الواقع على يمين مكان جلوس هيئة المحلفين، حيث دخل عشرة محلفين والبديلان إلى المحكمة وقد تأنقوا فى مظهرهم كما ارتدت النساء المجوهرات فى الأيدى والأعناق. لم ينظروا إلى يوكي ولم ينظروا إلى المدعى عليه. فى الواقع بدوا متوترين، كما لو أنهم ظلوا يتناقشون بشأن الحكم حتى ما قبل ساعة من الآن.

انفتح الباب خلف مقعد القاضى، ودخل القاضى مور إلى القاعة. وأخذ ينظف نظارته بينما كان يتم افتتاح الجلسة ثم قال: "سيدى رئيس هيئة المحلفين، أفهم أن الهيئة قد توصلت إلى حكم؟".

قال الرجل: "نعم يا عدالتكم".

فقال له القاضي: "هلا أعطيته إلى الحاجب؟".

كان شعر رئيس المحلفين طويلا يصل إلى الكتفين وله أصابع غلفها النيكوتين. بدا متحفزًا بينما كان يعطى مظروفًا إلى حاجب المحكمة الذى أعطاه إلى القاضى.

فك القاضى المظروف ونظر إلى ما بداخله، ثم طلب من الحضور الالتزام بقواعد المحكمة، وألا يتصرفوا بانفعال عندما يتم النطق بالحكم.

وضعت يوكى يديها على الطاولة التى أمامها وكان بإمكانها سماع صوت أنفاس ديفيد هيل، وللحظة من اللحظات شعرت بالحب تجاهه.

بدأ القاضى مور فى القراءة: "فيما يتعلق بالاتهام بالقتل من الدرجة الأولى بحق أندريا كانيلو فإن هيئة المحلفين تجد أن المدعى عليه ألفريد برينكلى (غير مذنب) لأسباب تتعلق بالمرض العقلى".

شعرت يوكي بموجة من الدوار تجتاحها.

مالت إلى الخلف فى مقعدها وهى تستمع بصعوبة إلى صوت القاضى وهو يتلو كل اسم وكل تهمة ويؤكد أن النتيجة هى (غير مذنب) لأسباب تتعلق بفقدان العقل.

وقفت يوكى فيما جاءت كلير وليندسى إليها لتقفا بجوارها. كانا يقفان حولها بينما كان برينكلى مقيدًا ورأوه جميعًا وهو ينظر إلى يوكى.

كانت نظرة غريبة، جزء منها تحديق والجزء الآخر ابتسامة مختفية، ولم تعرف يوكى مقصد برينكلي منها إلا أنها شعرت بقشعريرة تجتاحها.

قال لها برينكلي: "محاولة جيدة يا آنسة كاستلينو. محاولة جيدة جدًا. لكن ألا تعلمين؟ أحدهم يجب أن يدفع الثمن".

دفع أحد الحراس برينكلي، وبعد نظرة أخيرة إلى يوكى بدأ يسير فى الممر بين حارسيه.

وسواء كان مريضًا أو عاقلاً فإن ألفريد برينكلى سيسير فى الطرقات لفترة طويلة. إن يوكى تأكدت من ذلك.

إلى جانب ذلك؛ فقد كانت تشعر بالرعب.

الفصل ١٢٥

بعد ذلك بشهر عدت بصحبة كونكلين إلى ساحة آلتا بلازا حيث بدأ كل شيء.

فى ذلك الوقت شاهدنا هنرى تايلر قادمًا من الممر ومعطفه يتطاير حوله بسبب الريح. صافح كونكلين بشدة ثم مد يده إلىّ.

قال لنا: "لقد أعدتما لنا حياتنا. لا يمكننى أن أجد الكلمات الكافية لشكركما".

نادى تايلر على زوجته وابنته التى كانت تلهو ببناء مكعب وهى لعبة ذكاء جديدة، وما إن رأتنا ماديسون حتى تهلل وجهها فى مفاجأة وألقت ما فى يدها من قضبان وقطع اللعبة وأسرعت إلينا.

احتضن هنرى تايلر ابنته بين ذراعيه، وانحنت ماديسون على كتف والدها ووضعت يدها حول عنقى وعنق ريتش وهى تحتضننا جميعًا فى نفس الوقت.

قالت: "أنتم أحب الناس إليَّ".

كنتُ مازلتُ أبتسم عندما وضع هنرى تايلر ابنته أرضًا وقال لنا ووجهه يشع بالرضا: "نحن كلنا مدينون لكما. أنا وليز ومادى. نحن أصدقاؤكم مدى الحياة".

اغرورقت عيناى بالدموع قليلاً.

كان هذا من الأيام الجيدة بالنسبة لضابط شرطة.

بينما كنت أنا وريتش عَائِدَيْن إلى السيارة تبادلنا الحديث عن الجحيم الذى يتَعَيَّنُ علينا خوضه لحل قضية... العمل الشاق والاصطدام المباشر مع القتلة ومدمنى المخدرات والأدلة الزائفة.

قلتُ: "والآن انتهت تلك القضية نهاية جيدة".

توقف ريتش عن السير ووضع يده على ذراعى، وقال: "لنتوقف هنا لدقيقة".

جلستُ على إحدى الدرجات التى دفأتها أشعة الشمس وجلس ريتش بجواري. كان باستطاعتى معرفة أن هناك أمرًا ما فى رأسه.

قال لي: "ليندسى، أعرف أنك تعتقدين أننى أحمل لك غرامًا صبيانيًا. إلا أن الأمر أكثر من ذلك. صدقيني".

لأول مرة يبدو النظر الى وجه كونكلين الوسيم مؤلمًا.

قال لى: "هل تعطينى فرصة؟ دعينا نتناول العشاء معًا، أنا فقط أريد لكلينا أن... آه...".

قرأ ريتش مشاعرى على وجهى وتوقف عن الحديث ثم هز رأسه، وقال أخيرًا: "سوف أنهى الحديث الآن".

مددتُ يدى ووضعتها على يده، وقلت: "أنا آسفة".

فقال لي: "لا تكونى كذلك... انسى الأمر يا ليندسى. انسى أننى قلتُ أى شيء. حسنًا؟" حاول أن يبتسم، وتقريبًا انتزعها وهو يقول: "سأحاول أن أتعالج من الأمر خلال السنوات القليلة القادمة".

سألته: "هل ستخضع للعلاج؟"

ضحك وهو يقول: "وهل سيفيد ذلك؟ لا، أنا فقط... انظري. أنت تعرفين ما أشعر به، وهذا تقريبًا يكفي".

كانت رحلة صعبة أثناء العودة إلى المقر. توقف الحديث بيننا حتى تلقينا اتصالاً هاتفيًا بشأن تقرير عن جثة فى التينديرلوين. وعملنا فى القضية معًا قبل فترة انتهاء ورديتنا، وفى فترة الوردية التالية. وكان ذلك جيدًا كما لو كنا زميلين منذ أعوام.

وبعد التاسعة تمامًا، قلتُ لريتش إننى سوف أراه فى الصباح، وبمجرد أن فتحتُ باب سيارتى رن الهاتف.

غمغمتُ: "ماذا الآن؟".

كان هناك صوت طقطقة استاتيكية ثم أتى صوت عميق رنان من الهاتف محولاً الليل إلى نهار من جديد.

كان الصوت يقول: "أعرف أنه لا يجب أن أفاجئ ضابطة شرطة مسلحة عند عتبة منزلها. يا شقرائي... تحذير. سأكون فى البلدة خلال عطلة نهاية الأسبوع. لدى أنباء وأريد رؤيتك بالفعل".

الفصل ١٢٦

دق جرس الباب فى منزلى.

ضغطتُ مفتاح جهاز الاتصال الداخلي، وقلتُ: "أنا قادمة". وقفزت السلالم هابطة. كانت كارين تريبل جليسة الكلبة مارثا فى الخارج. احتضنتها وملتُ لكى أضم مارثا العزيزة فى حضنى.

قالت كارين: "إنها تفتقدك جدًا يا ليندسى".

قلتُ: "أتعتقدين ذلك؟" كنتُ أضحك بينما قفزت مارثا ونبحت ودفعتنى حتى كدتُ أسقط .

قالت كارين وهى تتجه نحو سيارتها الفولفو القديمة: "سوف أذهب الآن. أرى أن كليكما تريدان البقاء معًا وحدكما".

قلتُ لها: "كارين اصعدى لدى شيك لك".

قالت وهى تختفى فى سيارتها وتحاول إدخال جزء من ثيابها انغلق باب السيارة عليه: "حسنًا. سوف أقابلك فى المرة القادمة"، وتعالى صوت المحرك.

قلت لها وهى تنطلق بالسيارة وتلوح لى: "شكرًا لك"، واستدرت إلى طفلتى العزيزة وقلت لها فى واحدة من أذنيها الحريريتين: "هل تعرفين كم أحبك؟".

بالتأكيد كانت تعرف.

هرعتُ إلى أعلى معها وارتديت قبعتى ومعطفى وحذاء للعدو. سرنا فى الشوارع التى نحبها كثيرًا، وجرينا فى الشارع التاسع عشر إلى ساحة ريك المركزية؛ حيث جلست على أحد المقاعد أراقب مارثا وهى تلهو. جرت فى دوائر وأخذت تلهو مع الكلاب الأخرى وقضت وقتًا ممتعًا.

بعد فترة عادت إلى المقعد وجلست بجوارى، وأراحت رأسها على فخذى، ورَفَعَتْ إلى عينيها البنيتين المتسعتين.

قلتُ لها: "سعيدة بالعودة إلى المنزل؟".

سرنا بخطى متمهلة ونحن نعود إلى المنزل وصعدنا السلالم وأطعمتُ مارثا وأخذتها إلى الحمام، وفى الوقت الذى انتهيتُ فيه من تجفيف شعرى كانت مارثا قد نامت على فراشي.

كانت نائمة تمامًا، وقد اهتز جفناها وفكاها، بينما راحت قدماها تتحركان وكأنها تحلم.

بل إنه حتى لم يفتح لها جفن بينما أرتدى ثيابى استعدادًا لموعدى مع جو.

الفصل ١٢٧

كان مطعم الأربعة الكبار يقع فى مقدمة نوب هيل فى مواجهة دار العبادة. كان المطعم مسمى على اسم بارونات الـ "باسيفيك سنترال ريلرود". كانت أرضيته من الخشب الداكن وكان مزدانًا بالورد والأضواء ووفقًا للمجلات المتخصصة فإن مطعم الأربعة الكبار كان لديه أفضل الطهاة فى البلدة.

جاءت إلينا أطباق البداية حيث طلب جو كبد البط المغموسة بعصير التفاح، فيما طلبتُ أنا كمثرى بالزبد تم إعدادها على الطريقة الفرنسية، إلا أننى لم أكن مسرورة بالجلسة وبالجو العام؛ حيث لم أر الخجل فى عينى جو كما أنه لم يستطع التوقف عن التحديق فىّ.

قال لي: "لدى حزمة من الأفكار المبتذلة ولا تسأليني ما هي، حسنًا يا ليندس؟".

ابتسمتُ وقلتُ: "لا. بالطبع لا. ليس أنا". وضعتُ طبقة رقيقة من الزبد على قطعة من الكمثرى وتركتها تذوب فى فمى.

عاد جو يقول: "وبعد الكثير من التفكير العميق...، لا بالفعل يا شقرائى. بالفعل تفكير عميق، توصلتُ إلى أمر ما وسوف أخبرك به".

وضعت شوكتى على المائدة وتركت النادل يأخذ طبقى وقلت: "أريد أن أسمع".

قال جو: "حسنًا. تعرفين عن شقيقاتى الستة وكيف أننا تربينا فى منزل عسير الظروف فى كوينز وكيف أن والدى كان دائمًا بالخارج".

قلتُ: "رجل مبيعات جوال".

قال: "نعم. أقمشة وأدوات صغيرة مختلفة. سافر عبر مختلف مناطق الساحل الشرقي وكان يسافر ستة أيام فى الأسبوع وأحيانًا أكثر. كنا نفتقده كثيرًا إلا أن والدتى كانت تفتقده أكثر".

"كان سعادتها الحقيقية وذات يوم اختفى. وكان دومًا يكلمنا هاتفيًا ليلاً قبل أن نذهب إلى فراشنا، إلا أنه فى ذلك اليوم لم يكلمنا، فطلبت والدتى شرطة الولاية الذين عثروا عليه نائمًا فى سيارته عند إحدى الخرائب قرب ورشة إصلاح سيارات خارج بلدة صغيرة فى تينيسى".

سألتُه: "هل تحطمت سيارته؟".

قال جو: "نعم. لم يكن لديهم فى هذه الأيام هواتف خلوية بالطبع، ولا يمكنك بالطبع أن تتخيلى كيف كان شعورنا حتى سمعنا بأخباره. كنا نفكر فى أن سيارته ترقد فى أحد المصارف أسفل المياه، أو أنه تعرض لإطلاق النار فى عملية سرقة فى محطة وقود، أو ربما يكون قد بدأ حياة جديدة".

هززتُ رأسى وأنا أقول: "آه يا جو. أفهم".

توقف جو وأخذ يعبث فى أدوات المائدة ثم بدأ من جديد: "رأى والدى كيف أن والدتى كانت تعانى ـ كلنا فى الواقع ـ وقال إنه سوف يترك وظيفته، إلا أنه لم يستطع واستمر فى مواصلة

الطريق. بعد ذلك وفى أحد الأيام وبينما أنا فى السنة الثانية من الكلية ترك والدى وظيفته، وعاد للمنزل بشكل نهائى".

أعاد ملء كوبينا بالشراب فأخذ كل منا رشفة بينما كان النادل يضع الأطباق الرئيسية للعشاء أمامنا، إلا أنه بسبب نبرة صوت جو وشعور أخذ ينمو فى داخلى لم أشعر بأية رغبة فى الأكل.

سألتُه: "ماذا حدث يا جو؟".

قال: "بقى فى المنزل وغادرناه نحن واحدًا بعد الآخر. وتدبر والدنا أمرهما وكانا سعيدين بذلك. لا يزالان سعيدين حتى اليوم. رأيت ذلك وتعهدتُ بألا أفعل فى أسرتى ما فعله فينا والدى بالبقاء بعيدًا عنا".

"وبعد ذلك نظرتُ إلى وجهك عندما قابلتك وقلت لك إننى يجب أن ألحق بالطائرة، وكل شيء كنتِ تريدين قوله وصل إلىّ".

"رأيتُ ذلك دون أن أقصد. لقد فعلتُ ما فعله والدي. لذلك يا ليندسى هذه هى الأنباء التى أردتُ أن أخبرك بها. سوف أظل هنا دائمًا".

الفصل ١٢٨

أمسكتُ بيد جو عندما أخبرنى أنه استقر فى سان فرانسيسكو. كنتُ أستمع إليه بينما أراقب ملامح وجه جو التى كانت مليئة بحبى، إلا أن عقلي كان يدور.

تكلم جو طويلاً حول ما يجب أن يكون فى الوقت والمكان المناسبين قبل أن أقطع أنا الكلام؛ لأننى شعرتُ أننا سقطنا فى فخ الكلام بعيدًا عن رسم خطة معينة تجعل كلامنا يتحول إلى حقيقة.

والآن وبينما أنا أجلس بالقرب من ذلك الرجل كنتُ أتساءل عما إذا كانت المشكلة هي بالفعل وظيفة جو أم أننا تآمرنا سويًا لكى نبقى على مسافة آمنة من علاقة محتمل أن تكون دائمة وحقيقية.

التقط جو ملعقة القهوة ووضعها فى منديله. كنتُ واثقة من أنه يخفى الملعقة نظارة القراءة الخاصة به.

بعد ذلك وضع يده في جيبه وأخرج صندوقًا ذهبيًا مغلفًا بالمخمل الأسود ويبلغ طول ضلعيه بوصتين، ثم قال: "هذا شيء أريد أن أعطيك إياه يا ليندسي".

نَحًا المزهرية التي على المائدة جانبًا وأعطاني الصندوق، وقال:

"افتحيه من فضلك".

قلتُ: "لا أعتقد أنني أستطيع".

فقال: "فقط ارفعي الغطاء. هناك مِفْصَل في الخلف".

ضحكتُ لهذه الدعابة إلا أنني كنتُ متأكدة من أنني توقفت عن التنفس وأنا أفعل ما قاله لى. وفى الداخل استقر على المخمل خاتم بلاتيني به ثلاث ماسات كبيرة، وواحدة صغيرة على كلا جانبيه تلتمعان أمامي.

أخيرًا استطعتُ التقاط أنفاسي وكان يجب أن أفعل ذلك. كان الخاتم "يخطف الأنفاس"، ثم نظرتُ عبر المائدة إلى عيني جو. كانتا تقريبًا تحدقان في عيني. هذا أمر أعرفه جيدًا عنه.

قال لي: "أنا أحبك يا ليندسي. هل تتزوجينني؟ هل تصبحين زوجتي؟".

جاء النادل و ـ دون أية كلمة ـ غَادَرنا. أغلقتُ الصندوق فأصدر تكة خفيفة مكتومة، وأكاد أقسم أن الضوء في المكان قد خفت قليلاً بمجرد إغلاقي الصندوق.

ازدردت لعابي بصعوبة لأنني لم أعرف ماذا أقول. كانت العجلات في رأسي لا تزال تدور، وكنتُ أشعر أن الحجرة تدور أيضًا.

لقد تزوجنا أنا وجو بالفعل.

ولقد انفصلنا أنا وجو بالفعل.

هل أنا مستعدة لنيل الفرصة من جديد؟

قال: "ليندس؟".

استطعتُ في النهاية أن أقول بصوت مبحوح: "أنا أحبك أيضًا يا جو. أنا... أنا... أشعر بالارتباك".

كان صوتي متقطعًا وأنا أجاهد لكي أتكلم وأضيف: "أحتاج بعض الوقت لأفكر في الأمر جيدًا بمفردي. أحتاج لأن أكون متأكدة تمامًا. هل يمكنك أن تسمح لى بذلك، من فضلك؟" قلتها وأنا أعيد الصندوق إليه عبر المائدة.

عدت أقول: "دعنا نر كيف ستسير حياتنا لفترة. لنفعل فقط الأشياء الاعتيادية التي نفعلها غسيل الملابس الذهاب إلى السينما. عطلات نهاية الأسبوع التي لا تنتهي بذهابك إلى المطار لتلحق بالطائرة".

كان الإحباط مرسومًا على كل ملامح جو وقد آلمني بعمق أن أرى ذلك. بدا ضائعًا لدقيقة ثم أدار يدى لأعلى ووضع الصندوق في كفي وأغلق أصابعي عليه، وقال:

"احتفظي به يا ليندسي. لن أغير رأيي. لقد ألزمت نفسي بك بغض النظر عن عدد المرات التي سوف نذهب فيها إلى المغسلة أو التي نغسل فيها سيارتي أو نتخلص فيها من قمامتنا أو حتى عدد المرات التي سوف نتشاجر فيها حول من عليه الدور في فعل هذه الأشياء. أنا بالفعل أتطلع إلى كل ذلك"، وابتسم.

كان جو يبتسم وقد أمسك كلتا يدي بيديه وقال: "عندما تكونين مستعدة أخبريني بحيث أستطيع وضع ذلك الخاتم في إصبعك، وأخبر عائلتي أنني سوف أقيم حفل زواج كبيرًا على الطريقة الإيطالية".

الفصل ١٢٩

في السادس من يونيو استدعاني جاكوبي أنا وريتش إلى مكتبه. كان يبدو بالفعل غاضبًا، وفي حالة مزاجية سيئة لم أره إطلاقًا عليها.

قال: "لدى أنباء سيئة؛ لقد فر ألفريد برينكلي".

فغرت فاهي من الدهشة.

لم يهرب أحد من أتاسكاديرو، وهي مؤسسة علاج نفسي للمجرمين المختلين عقليًا، الأمر الذي يعني أنها سجن عالي التأمين أكثر منها مستشفى.

سأله كونكلين: "وكيف حدث ذلك؟".

قال: "ضرب رأسه في حائط زنزانته...".

قاطعتُه متسائلة: "ألم يتلق علاج؟ ألم يكن تحت الرقابة خشية الإقدام على الانتحار؟".

هز جاكوبي كتفيه، وقال: "لا أعرف. على أية حال فإن الطبيب يذهب إلى الزنزانة، إلا أن هذا الطبيب ويدعى كارتر

أصر على أن يحضروا السجين إلى مكتبه. وهو ما تم برفقة أحد الحراس في الجناح الأقل تأمينًا في السجن".

قلتُ وقد فهمتُ الأمر دون أن يقوله لي أحد: "اللعنة! وبالطبع كان الحارس مسلحًا".

قام جاكوبي بشرح الأمر لكونكلين قائلاً: "يحمل الحراس أسلحتهم فقط عندما يتم نقل سجين من جناح إلى آخر وقد طلب الطبيب أن تتم إزالة قيود برينكلي حتى يتم إجراء اختبار الأعصاب له".

واستمر جاكوبي يشرح لكونكلين كيف أن برينكلي أمسك بمشرط وجرد الحارس من سلاحه وارتدى زي الطبيب، واستخدم المفتاح الذي كان مع الحارس في الخروج وانطلق بسيارة الطبيب.

وأضاف جاكوبي: "حدث الأمر منذ ساعتين. وتم تشكيل فريق بحث عن سيارة دكتور كارتر السوبارو الزرقاء من طراز (إل إل بين)".

قال كونكلين: "ربما يكون قد غادر السيارة الآن".

فَرَدَّ عليه جاكوبي قائلاً: "نعم. لا أعرف فائدة ذلك ولكن وفقًا للحارس؛ فقد كان برينكلي مفتونًا بالقاتل المتسلسل الذي قرأ عنه وهو إدموند كيمبر".

هز كونكلين رأسه قائلاً: "لقد قتل ستًا من النساء وكان يعيش مع أمه".

فقال جاكوبي: "هو ذاك. ففي ليلة ما عاد من موعد ما ووجد أمه تقول شيئًا مثل (الآن أعتقد أنك سوف تخبرني بكل ما كنتَ تفعله طيلة الليل)".

سألتُ: "هل كانت أمه تعرف بأمر جرائم القتل؟".

قال جاكوبي: "لا يا بوكسر. لم تكن تعلم؛ لقد كنتُ في طريقي إلى السجن عندما جاءت المكالمة. لذلك هل يمكنني أن أنهي القصة؟".

ابتسمتُ في وجهه وقلت: "استمر يا سيدى".

قال جاكوبى: "لذلك، قالت الأم عبارتها فانتظر إدموند حتى ذهبت إلى فراشها، وهناك قطع رأسها ووضعه على رف المدفأة، وبعد ذلك أخبر رأس والدته بكل ما فعله فى تلك الليلة. بكل التفاصيل. أنا متأكد".

قال كونكلين: "لقد سلم هذا المريض النفسى نفسه"، قالها وهو يطقطق أصابعه، وهى حركة لا يقوم بها كونكلين إلا عندما يكون متوترًا.

كنتُ أنا أيضًا متوترة من فكرة أن يكون برينكلى مطلق السراح ومسلحًا ومريضًا نفسيًا، وتذكرتُ النظرة التى ألقاها برينكلى على يوكى بعد المحاكمة. لقد نظر إليها شذرًا وقال (يجب أن يدفع أحد الثمن)".

كان جاكوبى يواصل قائلاً: "نعم، سلم كيمبر نفسه. لكن ما يهم هو أنه فى أثناء التحقيقات أخبر رجال الشرطة أنه قتل أولئك الفتيات بدلاً من أمه. هل فهمتما هذه النقطة؟" ثم استدار يخاطبنى قائلاً: "وفى النهاية نجح فى قتل الشخص المطلوب بالفعل".

سألته: "وقال حارسه إن كيمبر كان يعنى شيئًا لألفريد برينكلى؟".

قال جاكوبى وهو يقف ويضبط وضع سرواله مع حزامه ويدور حول قدمى كونكلين الطويلتين متجهًا إلى الخارج: "تمامًا، كان كيمبر يستحوذ على فكر برينكلى".

الفصل ١٣٠

سار ألفريد برينكلى فى شارع سكوت ناظرًا إلى الأمام من أسفل مقدمة قبعة دكتور كارتر الرياضية. كان يراقب القمم الصغيرة للمراكب فى المرسى الواقع فى نهاية الشارع وهو يتنسم رائحة الهواء القادم من الخليج.

كانت رأسه لا تزال تؤلمه إلا أن الأدوية هدأت الأصوات ، وبالتالى بات باستطاعته التفكير. شعر بأنه قوى وأحس بقوة الحرية بعد السجن. كان نفس الشعور الذى انتابه عندما قتل أولئك البؤساء على سطح المعدية.

وبينما كان يسير استعاد فى ذهنه ما جرى فى مكتب دكتور كارتر، وكيف أنه انفجر بالنشاط عندما نُزِعَتْ عنه القيود كما لو أنه تحول إلى بطل.

المس أنفك.

المس أطراف أصابع قدميك.

امسك المشرط.

ضعه على وريد العنق للطبيب واطلب من الحارس أن يعطيك سلاحه.

كان فريد يضحك الآن وهو يفكر فى الحارس الغبى عندما كان يزمجر بينما كان برينكلى يقيده مع الطبيب ويكممهما بعد أن جردهما من ثيابهما ووضعهما فى دورة المياه.

"سوف تعود أيها الأحمق".

لمس المسدس فى جيب سترة الطبيب وهو يفكر: "سوف أعود. حسنًا".

"أنا أخطط لذلك. لكن ليس الآن".

كانت المنازل المزخرفة المتراصة على جانبى شارع سكوت تقع على بعد عشرين قدمًا من الطريق. كانت المنازل قريبة من بعضها البعض بصورة شبيهة بالبقر المتراص فى المزرعة أمام وعاء الشرب. وكان المنزل الذى يقصده برينكلى به أبواب ملونة بالبنى الغامق، بالإضافة إلى مرآب سيارات يتسع لسيارة واحدة يقع أسفل حجرة المعيشة التى كانت فى الطابق الثانى.

وها هو المنزل، بحشائشه الخضراء وشجرة الليمون، تمامًا كما يتذكره. كانت السيارة فى المرآب الذى كان مفتوح الباب.

كان هذا ممتازًا. كما كان الوقت مناسبًا أيضًا. هكذا فَكَّرَ برينكلى.

سار برينكلى الأقدام العشرين على الطريق الأسفلتى ثم تسلل إلى داخل المرآب ثم وقف بجوار السيارة (بى إم دبليو) ١٩٩٥ طراز (بيبى بلو) المكشوفة ثم التقط مسدس مسامير من صندوق المعدات ووضع فيه مسمارًا ثم أطلقه فى الحائط ليتأكد من أن السلاح يعمل. لقد كان يعمل بالفعل.

بعد ذلك صعد السلالم القصيرة، وأدار مقبض الباب وخطا على الأرضية المصنوعة من الخشب القوى فى غرفة المعيشة، ثم وقف قليلاً أمام "المزار المقدس".

وأخذ ألبوم الصور ذا الغلاف الجلدى من الدولاب، ثم أخذ رسمًا ملونًا وذهب بما يحمله إلى المطبخ.

كانت هناك جالسةً إلى المائدة تعد الفواتير، وكان هناك جهاز تليفزيون صغير ينقل... "حرارة المحاكمة".

أدارت المرأة سوداء الشعر رأسها عندما دخل المطبخ، واتسعت عيناها وهى تحاول أن تفهم.

قال فى مرح: "مرحبًا يا أمى. إنه أنا. لقد حان موعد عرضى فريد وإلينا برينكلى)".

الفصل ١٣١

قالت له أمه: "يجب ألا تكون هنا يا ألفريد".

وضع ألفريد المسدس على رف المطبخ وأغلق باب المطبخ خلفه، ثم أخذ يتصفح ألبوم الصور ويرى أمه صور ليلى وهى فى عربة الأطفال أو وهى مع أمها أو وهى تلهو.

شاهد فريد عينى أمه وهما تتسعان عندما أراها الرسم الملون لليلى وحطم إطاره الزجاجى على الطاولة.

قالت أمه: "لا".

فقال فريد: "نعم يا أمي، يا سيدتى هذه صور قذرة. قذرة جدًا".

وفتح غسالة الأطباق ووضع الألبوم فى الرف السفلى بينما وضع الرسم الملون فى الرف العلوى، وصفق باب غسالة الأطباق على مجموعة الصور الخاصة بشقيقته الملوثة، وضبط المؤقت على خمس دقائق.

سمع صوت الغسالة وقد بدأت تعمل.

قالت أمه وقد بدأت فى النهوض: "ألفريد، هذا ليس مُضْحِكًا".

دفعها ألفريد فسقطت فى مقعدها، وقال لها:

"لن تدخل المياه إلى الغسالة قبل خمس دقائق. كل ما أريده منك هو أن تمنحينى انتباهك كاملاً لمدة أربع دقائق وبعدها سوف أطلق سراح ألبومك الثمين".

جذب ألفريد مقعدًا وجلس بجوار والدته تمامًا. نَظَرَتْ إليه نظرة معناها "أنت مُسْتَفِز" وأشعرته بالازدراء الذى كان السبب وراء كراهيته لها طوال حياته.

قال لها: "لم أنته مما كنتُ أقوله لك فى ذلك اليوم فى المحكمة".

قالت وهى تدير رأسها ناحية غسالة الأطباق التى واصلت عدها التنازلى، وهى تسترق النظر إلى باب المطبخ المغلق: "هل تعنى ذلك اليوم عندما كذبت؟".

أخرج ألفريد المسدس الـ(بريتا) الذى أخذه من الحارس وأزال مفتاح الأمان قائلاً:

"أريد أن أتكلم معك يا أمي".

قالت له: "هذا ليس محشوًا بالطلقات".

ابتسم فريد ثم أطلق طلقةً فى الأرضية فتحول وجه أمه إلى اللون الرمادى قبل أن يقول:

"ضعى ذراعيك على الطاولة. افعلى ذلك يا أمي. أنت تريدين تلك الصور، أليس كذلك؟".

جذب فريد أحد ذراعى أمه ووضعه على المائدة ووضع رأس مسدس المسامير على كمها وجذب الزناد.

إنه يعمل. ثم فعل نفس الشيء بالطرف الآخر من الكم. إنه يعمل. إنه يعمل.

قال لها: "هل رأيتِ؟ ماذا تعتقدين يا أماه؟ هل تظنين أننى سوف أؤذيك؟ أنا لستُ مجنونًا. أنت تعرفين ذلك".

وبعد أن اطمأن إلى أن الكم الأول مثبت إلى المائدة فعل نفس الشيء بالكم الثانى، وشعرت الأم بالذعر من صوت كلا المسمارين وبدا عليها أنها على وشك البكاء.

تحرك رأس مؤشر المؤقت فى غسالة الأطباق بعدما مرت دقيقة.

تِك. تِك. تِك.

قالت له: "أعطنى الصور يا ألفريد. إنها كل ما أملك...".

وضع ألفريد فمه بالقرب من أذن أمه وتكلم فى همس مرتفع النبرة: "لقد كذبتُ فى المحكمة يا أمى لأننى كنتُ أريد أن أؤلمك. دعينى أقل لك كيف أشعر طوال الوقت".

قالت إلينا برينكلي: "لا وقت لدى لأستمع إليك"، قالتها وهى تجذب يديها لتنزع المسامير.

لكن ألفريد قال: "بل لديك الوقت. اليوم كله لي. هل رأيتِ؟". قالها ثم أطلق مسمارًا آخر من تلك المسامير التى يبلغ قطرها ثلاثة أرباع البوصة قرب مرفقها.

إنه يعمل. إنه يعمل. إنه يعمل.

قال ألفريد: "الحقيقة هى أننى كنتُ أريد أن أسيء إلى ليلى وكان ذلك خطأك".

دق جرس الهاتف فأدارت إلينا برينكلى رأسها إليه فى لهفة فيما نهض ألفريد من مكانه ونزع السلك من الحائط، ثم أخذ مجموعة السكاكين من على رف المطبخ ووضعها بقوة على المائدة.

قال ألفريد: "انسى الهاتف. لا يوجد أحد تحتاجين إلى محادثته. أنا الشخص الأهم فى عالمك".

سَألَتْه: "ماذا تفعل يا ألفريد؟".

قال لها وهو يأخذ سكينًا طويلة: "ماذا تعتقدين أنى فاعل بك؟ هل تعتقدين أننى سوف أقطع لسانك؟ أى مجنون تظنيننى؟".

وضحك عندما رأى الهلع فى وجه أمه، ثم قال:

"الأمر كله يا أمى هو أننى رأيتُ ليلى تقابل ذلك الشاب بيتر بولانتينى الذى يعمل فى الميناء".

قالت أمه: "إنها لم تفعل مثل ذلك الشيء".

بدأ برينكلي فى سن سكين طولها ثمانى بوصات فى حجر السَّنِّ وكان صوت السَّنِّ ممتعًا.

قالت له أمه: "يجب أن ترحل الآن. الشرطة تبحث...".

قاطعها قائلاً: "لم أنته من كلامى بعد. سوف تستمعين إلىَّ لأول مرة فى حياتك البائسة...".

تعالى صوت مؤشر الميقاتى فى غسالة الأطباق تِكتا. تِكتا. تِك.

كان ذلك الصوت يتردد فى ذهنه، ويقول: "اقتلها. اقتلها".

وضع فريد السكين جانبًا ومسح العرق من على راحتيه فى قبعة دكتور كارتر، ثم التقط السكين من جديد.

عاد فريد يقول: "كانت ليلى تضايقني. وكانت تلتقى مع بولانتيني. انسى أمر الصور واستمعى إلىّ!".

"جلست أنا وليلى فى مكان على سطح المركب لم يكن أحد يستطيع أن يرانا فيه".

"كاذب. جبان. كيف تلومها؟!".

"وبدأتُ فى مضايقتها. نظرت إلى نفس النظرة التى تلقيها أنت الآن على كما لو أننى كلب قذر".

قالت إلينا برينكلي: "لا أريد سماع ذلك".

قال برينكلى وهو يضع حد السكين على جلد عنق والدته المجعد: "سوف تسمعين. لقد قالت لي: "سوف أخبر أمي".

"كانت هذه كلماتها الأخيرة يا أمى. (سوف أخبر أمى)".

"عندما استدارت بعيدًا عنى جذبت عارضة الشراع وضربتُ ليلى بها فاصطدمت بمؤخرة رأسها و...".

قاطعه صوت تحطم زجاج تبعه صوت ارتجاج يصم الآذان، ثم لمع ضوء قوى.

اعتقد فريد برينكلى أن العالم ينفجر!

الفصل ١٣٢

نظرتُ عبر نافذة المطبخ الصغيرة وأنا مملوءة بالذعر حيث كان برينكلى يضع سكينًا حادًا على جانب عنق والدته.

كنا مسلحين ومستعدين إلا أننا كنا نحتاج إلى مجال واضح ومحدد لإطلاق النار وكانت سيدة برينكلى تسد زاوية إطلاق النار وفى حالة الاختراق من باب المطبخ فإن ذلك قد يمنحه فرصة لقتلها.

تسلل الخوف على تلك المرأة إلى عمودى الفقرى مثل سلك كهربى مشتعل. كنتُ أريد الصراخ.

وبدلاً من ذلك استدرتُ إلى راى كويفاز رئيس فرقة الاقتحام الخاصة، فهز رأسه نافيًا وأخبرنى من جديد أنه لا يستطيع إطلاق النار. كان يمكن للموقف أن يزداد سوءًا فى لحظة مهما انتظرنا، فعندما طلب السماح للاقتحام وافقتُ على الفور.

وضعنا الأقنعة والنظارات فيما ضرب راى النافذة بكعب رامية قذائف، فكسر الزجاج ثم أطلق النار.

اصطدمت القذيفة بالحائط البعيد للمطبخ وانفجرت فى صوت يصم الآذان مسببة ارتجاجًا قويًا.

وفى أقل من نصف ثانية كسر رجال القوات الخاصة باب المطبخ ودخلنا المكان الذى كان مليئًا بالدخان وكل ما يهمنا أمر واحد: السيطرة على برينكلى قبل أن يستجمع نفسه ويسحب مسدسه.

وجدتُ برينكلى ملقى على الأرضية ووجهه لأسفل وقدماه أسفل المائدة، فباعدتُ بين قدميه ووضعت ذراعيه خلفه.

كنتُ تقريبًا قد أحكمتُ القيود عليه عندما انقلب ودفعنى بعيدًا عنه. لقد كان قويًا كثور هائج. كافحتُ لأعتدل فيما التقط هو المسدس الذى كان ملقى على الأرض.

نزع كونكلين قناعه وصاح: "ضع يديك بحيث أستطيع أن أراهما".

وتجمد الموقف!

الفصل ١٣٣

كانت البنادق موجهة إلى جبهة برينكلى إلا أنه كان يمسك المسدس بكلتا يديه فى وضع منبطح. إن خبرته العسكرية قد عادت إليه. كان مسدس الـ (بريتا) موجهًا إلى كونكلين بينما كان مسدس ريتش موجهًا إلى برينكلي.

وكنتُ هناك.

ضغطت بشدة على الفقرة الأولى لبرينكلى وبالتأكيد كان يشعر بذلك، وصحتُ بصوت عال عبر قناعي: "لا تتحرك. لا تتحرك وإلا ستموت".

ركل ريتشي مسدس برينكلى فانزلق على الأرضية.

كانت هناك ستة أسلحة مصوبة إلى برينكلى وأنا أقيده والابتهاج يغمرنى رغم أن برينكلى يسخر منا.

نزعتُ القناع وأخذتُ أحرك الهواء الذى كان لا يزال به بعض الفسفور من أثر الطلقات النارية، ولم أستطع أن أفهم ما الذى يجده برينكلى مضحكًا فى ذلك.

لقد ألقينا القبض عليه. لقد ألقينا القبض عليه حيًا.

صاحت أمه في جاكوبي: "لقد كاد يقتلني. ألا يمكن أن تحتجزوه؟".

نظر برينكلي إلى من فوق كتفيه، وقال: "ماذا حدث؟".

سألْتُه: "هل تتذكرني؟".

فقال: "أوه، نعم. صديقتي ليندسي بوكسر".

قلتُ له: "أنت قيد الاعتقال بسبب هروبك من السجن، كما أعتقد أنك ارتكبتَ فعلاً طائشًا لكي تتمكن من الهرب، وربما محاولة قتل أيضًا".

خلفي، كان جاكوبي يطلب من أمه الهدوء واستطاع أن يجعلها تقوم من على المقعد الذى كانت تجلس عليه.

حَرَّرَتْ إلينا نفسها بعدما مَزَّقَتْ كم ثوبها الأول ومزقت جزءًا من سترتها حين حررت ذراعها الثانى، ثم توجهت لتشاهد ابنها.

قالت: "أنا أكرهك. أتمنى لو كانوا قد قتلوك"، ثم صفعته بشدة على وجهه.

قال لى فى مكر: "واو يا لها من صدمة".

واصلتُ كلامى: "أى شيء ستقوله سوف يُسْتَخْدَمُ ضدك".

صاح فِيّ: "ممن تسخرين؟"، قالها وهو يبدو مدركا لوجود كل أولئك الرجال المسلحين الذين لا يحبون شيئًا قدر محبتهم أن يسحقوه. وتابع قائلا: "كل ما يمكنكم فعله هو أن تعيدونى إلى أتاسكاديرو. أى شيء ستتهموننى به سوف يكون بلا قيمة".

قلتُ له: "اخرس يا أحمق. عليك أن تكون سعيدًا لأننا لم نضعك فى كفن".

فصاح فِيّ: "بل اخرسى أنت!" والتمع فى وجهه غضب مجنون وهو يضيف: "أنا لستُ مدينًا بأى شيء. تعلمين ذلك. أنا مجنون وفق القانون".

وفجأة سمعتُ إلينا برينكلى تقول: "لا!"؛ حيث كانت غسالة الأطباق قد بدأت تعمل.

الخاتمة

الطلقة السادسة

الفصل ١٣٤

لم أكن أعرف الرجل المسكين الذى كانت جثته العارية مسجاة على منضدة كلير. لم أكن أعرف سوى أن موته مرتبط بالمأساة التي وقعت على (ديل نورتيه). كانت كلير قد شقت فروة رأس الرجل وأزاحتها على وجهه مثل ثنية جورب، فيما شقتْ قمة جمجمته ونزعت مخه.

والآن كانت تحمل جزءًا من طلقة رصاص بين إصبعيها الإبهام والسبابة، وقالت:

"لقد مرت عبر شيء ما في البداية، سكر أو قطعة من الخشب، ومهما يكن الأمر فقد قلل ذلك من قوة اندفاعها وتأثيرها، إلا أنها في النهاية قتلت الرجل على كل حال".

استدعيت جاكوبى الذى قال: "أنت تعرفين ما ينبغي فعله يا بوكسر. أخبريه بقصتك ولكن كوني بسيطة".

ثم أوصلني إلى الرئيس.

أخبرتُ تراتشيو بملخص وافٍ للقصة وهى أن واى فونج وهو عامل بناء يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا قد توفى صباح اليوم. لقد ظلت حالته ثابتةً طيلة أشهر فى مستشفى لاجونا هوندا وهو تحت العناية المركزة بسبب جرح ناتج عن رصاصة أصابت رأسه بطريقة جعلت من المتعذر إجراء جراحة لعلاج الإصابة. لقد أصيب بتلك الرصاصة فى اليوم الذى أطلق فيه ألفريد برينكلى النار على المسافرين على متن (ديل نورتيه).

قلتُ: "لقد أصابت الطلقة السادسة لبرينكلى هدفها. لقد قتلت فى النهاية واى فونج".

سألنى تراتشيو: "هل لديك رقم هاتفى الخلوى؟".

وضعت كلير ـ بيدين ثابتتين من فرط دقة التعامل مع تلك الأمور ـ الرصاصة في مظروف شفاف، وبعد ذلك وقع كل منا على التقرير ثم استدعيتُ المعمل الجنائي.

سمعتُ كلير تقول للرجل الميت على منضدتها: "سيد فونج يا عزيزى، أعلم أنك لا تستطيع سماعى لكننى أريد أن أقول: شكرًا لك".

كانت سيارة كلير الـ(باثفايندر) خارج مركز الإسعاف، فأزحتُ آلة التنظيف الجاف من على المقعد المجاور لمقعد السائق وجلستُ.

قلتُ بينما انطلقنا فى شارع هارييت: "يبدو الأمر مثل جرائم مانسون. سلسلتان من الجرائم، تيت ولابيانكا. وهناك فريقان من الشرطة يعملان جنبًا إلى جنب لأسابيع قبل أن يلاحظا أن نفس الجانى هو الذى ارتكب الجريمتين. والآن الوضع متشابه. لقد عمل فريق ماكلين على قضية واى فونج ليصل إلى لا شىء".

سألتنى كلير: "وحتى مات، هل توصلتِ إلى كل شىء؟".

قلتُ: "نعم، لقد فعلتُ".

كانت شظية الرصاصة فى جيب سترتى بينما كان المسدس فى حقيبة ورقية مغلقة بين قدمى، وانطلقنا بسرعة ٢٨٠ كيلومترًا فى الساعة لمنطقة سيزر شافيز، ومن هناك توجهنا إلى حوض هنترز بوينت لبناء السفن، حيث يقع المعمل الجنائى فى مبنى خرسانى رمادى أزرق.

أوقفت كلير السيارة فى بقعة أسفل واحدة من النخلات الثلاثة لفينكس اللاتى ينتصبن مثل الحراس فى ساحة الانتظار.

كنتُ خارج السيارة قبل أن تجذب كلير مكبح السيارة اليدوى.

الفصل ١٣٥

كان جيم مادج مدير المعمل الجنائى ينتظر فى داخل مكتبه.

حيانا وأخذ الحقيبة الورقية منّى وكشف عن صديق ألفريد برينكلى المسدس (باكى).

تبعنا مادج عبر القاعة إلى الباب الثانى على اليمين حتى إحدى القاعات الداخلية حيث سلم المسدس إلى خبير الأسلحة النارية الذى أطلق المسدس طراز سميث ويسون ١٠ فى حجرة مليئة بالماء، ثم تناول الرصاصة ذات القطر البالغ ٠,٣٨ بوصة قبل أن يعطيها لى.

قال الخبير: "خذى أيتها الرقيب. حظًا سعيدًا معه. اسحقوا هذا الوغد".

قادنى مادج أنا وكلير إلى حجرة فى نهاية الردهة، وهى الحجرة التى كانت بها المناضد والحواسب الآلية مرتبة على شكل حدوة حصان؛ بالإضافة إلى عدد كبير من ميكروسكوبات المضاهاة.

حيتنا امرأة شابة قائلة: "أنا بيترا. دعونا نَرَ ما لدينا".

أعطيتُها الرصاصة ذات الـ ٠,٣٨ بوصة، والشظية التى استخرجتها كلير من رأس واى فونج.

سحبتُ نفسًا عميقًا ودعوت الله فى سرى.

تزاحمنا أنا وكلير حول الموظفة الفنية التى وضعت كلا الجسمين أسفل الميكروسكوب.

كانت بيترا تبتسم عندما انتهت من المضاهاة وقالت: "انظرا بنفسيكما".

كان الأمر واضحًا حتى بالنسبة لى بعدما تطلعتُ عبر الشريحتين الزجاجيتين للميكروسكوب وقارنتُ القطعتين المعدنيتين.

كانت العلامات والخطوط على القطعة متطابقة مع تلك التى على الرصاصة التى انطلقت للتو من مسدس ألفريد برينكلى.

كانت الشظية من الرصاصة السادسة التى أطلقها ألفريد برينكلى على ويلى ابن كلير وأخطَأَته.

نفس الطلقة فى طريقها إلى أن تضع ألفريد برينكلى أمام القضاء من جديد.

استدرتُ إلى كلير ولم أعرف ما إذا كان من الأفضل أن أصافحها بحرارة أم أحتضنها... لذلك فعلتُ الأولى ثم فعلتُ الثانية.

قالت كلير ونحن نحتضن بعضنا البعض: "لقد نلنا منه".

الفصل ١٣٦

بعد ذلك بساعة كنت واقفة مع ريتش كونكلين فى حجرة رمادية مليئة بالمناضد الصغيرة والمقاعد فى أتاسكاديرو. دخل برينكلى أحمر الوجنتين، وقد بدت عليه أمارات التغذية السليمة.

بدا سعيدًا جدًا لرؤيتي، وقال: "هل تفتقدينني يا ليندسى؟ لأنني كما هو متوقع أفكر فى آخر مرة رأيتك فيها!".

قلتُ له: "لا تتعب نفسك بالجلوس يا فريد. لقد جئنا هنا لنعتقلك. نحن نتهمك بارتكاب جرائم قتل".

فقال ألفريد: "أنت تمزحين معي، أليس كذلك؟".

أعطيتُه ابتسامة أردت منعها؛ لأن صوت إطلاق النار الذى شاهدتُه فى الفيلم كان لا يزال يدوى فى رأسي. لقد كنتُ سعيدة، وقلتُ له:

"هل تذكر يومك العظيم فى (ديل نورتيه)؟".

سألني: "ماذا عنه؟".

قلتُ: "الرصاصة الأخيرة التى أطلقتها أخطأت ويلى واشبورن؛ إلا أنها عَثَرَتْ على هدف آخر. نحن هنا لنعتقلك بتهمة قتل سيد واى فونج. إنها جريمة قتل من الدرجة الثانية".

قال برينكلى وهو يهز كتفيه فى لا مبالاة: "لا فائدة يا ليندسى. أنت تقولين إننى أطلقتُ النار على شخص لم أره حتى؟".

قلتُ: "نعم، أنت مصوب بارع".

قال ألفريد: "أنت تحلمين يا سيدتى الصغيرة. لقد تمت تبرئتى من إطلاق النار على (ديل نورتيه). أنا فاقد العقل وفق القانون، هل تذكرين؟ ما تتحدثين عنه هو محاولة لمعاقبة شخص أكثر من مرة على نفس الجريمة".

قلتُ: "أنت لم تُتَّهمْ بقتل واى فونج فى المحاكمة يا فريد. هذه جريمة أخرى، دليل جديد. هيئة محلفين جديدة، وأعتقد أن أمك ستكون شاهدة للادعاء هذه المرة".

تلاشت ابتسامة برينكلى وأنا أطلب منه أن يستدير، وقَيَّدْتُه فيما تلا عليه كونكلين حقوقه.

قدنا ألفريد برينكلى إلى سيارتنا فى الخارج، وبمجرد أن وضعناه فى المقعد الخلفى وراء الشبكة حتى تغير وجهه واكتسب تعبيرًا بالألم جعلنى أفكر فى أنه قد عاد إلى مرحلة مبكرة من عمره... عندما كان صبيًا وبدأت الأشياء السيئة تحدث له.

إلا أن برينكلى كان يغنى بينما كنا على الطريق السريع. كان يقول: "غن ولا تبك؛ لأنه بالغناء تنير السماء وتصبح جميلة".

سألتُه: "هل علمتك والدتك هذه الأغنية؟"؛ حيث كنت أعرف معنى كلمات تلك الأغنية القديمة.

اختلستُ نظرة على مرآة السيارة واندهشتُ عندما رأيتُ برينكلى ينظر إلى انعكاس عينى، وتوقف عن الغناء، ثم قال فى همس مسموع: "مرحى يا ليندسى، هل تعتقدين بالفعل أنك نلتِ منى؟".